وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الاسكندرى أحمد أمين بك على الجارم بك

عبد العزيز البشرى الدكتور أحمد ضيف

الجزء الثانى

للسنة الثانية الثانوية

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٥

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَب
رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقى
www.lisanarb.com

فهرس

صفحة

العصر العباسى الثانى — الأدب فى خراسان والعراق :

(١) الشعر

الشريف الرضى :

قال يتغزل ١

وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك بهاء الدين البويهى ٢

وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسى فى أحد مجالسه ٣

وقال يفتخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت ٣

وقال فى صغره ٥

مهيار الديلمى :

قال فى الفخر بقومه فارس و بالإسلام ٦

وقال من قصيدة فى التشوق ٧

وقال من قصيدة فى الحكمة والشكوى ٧

وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له ٩

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن و يهنئه بالمهرجان ٩

أبو سعد الكاتب :

قال فى الشوق إلى بغداد ١٠

ابن لنكك :

قال فى الهجاء ١١

التنوخى :

قال يصف الليل والنجوم ١١

وقال أيضا فى هذا المعنى ١٢

وقال فى وصف رسالة ١٢

صفحة

الدينورى :

قال يشكو ولده... ... ... ١٣
وقال أيضا فى شكوى الكبر ١٣

ابن المنجم :

قال فى الشكوى والتوجع ١٤

الضبى :

قال يصف الليل والسهر ١٤

أبو الفضل الميكالى :

قال فى التوجع وشكوى الدهر... ... ... ١٤
وقال فى وصف النرجس ١٥

الأبيوردى :

قال فى الشكوى ١٦
وقال أيضا يستحث على اقتفاء أثر الآباء الكرام... ... ... ١٦

الطغرائى :

قال يصف الغدير ١٧
وله فى الأعداء والحساد ١٧
ومن لاميته المشهورة فى الحكم ١٨
وقال يرثى مؤيد الملك وقد مات مقتولا ١٨
وقال يرثى زوجته ١٩
وقال فى أعدائه ٢٠

السهروردى :

قال فى الفلسفة والتصوّف ٢٠

الرفاعى :

من قوله فى العشق الصوفى... ... ... ٢٠

صفحة

السرى الرفاء :

قال يصف مجلسا ٢١
وقال يصف الروض والجوّ فى يوم ظهر فيه قوس قزح ٢٢
وقال يعاتب صديقا أفشى له سرا ٢٢

الجرجانى :

قال يمدح الوحدة ويذم مخالطة الناس ٢٣

الصابئ :

قال يهجو ٢٣

الصاحب بن عباد :

قال يذم الشيخوخة ٢٣

الخوارزمى :

قال يوصى بتخير الأصدقاء ٢٤

ابن نباتة السعدى :

قال يصف فرسا أدهم ٢٤
وقال يعزى صمصام الدولة فى أبيه ٢٥

البستى :

قال يغرى بالكرم ٢٥
وقال أيضا فى المداولة بين الراحة والتعب ٢٥
وقال فى جواب كتاب ٢٦
وقال أيضا فى هذا الغرض ٢٦

الناشئ الأصغر :

قال فى معاملة الصديق ٢٦

الأبهرى :

قال فى الحكم ٢٧

صفحة

صردر :

قال يصف كتيبة ٢٧
وقال يستهدى مدادا و يصف الدواة والقرطاس والقلم ٢٨

السلامى :

قال يصف نهرا نبتت عليه أشجار الرمان ٢٩

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى :

ابن العميد :

من كتاب له فى التهديد واللوم ٣٠
وكتب إلى أبى عبد الله الطبرى ٣١

الصاحب بن عباد :

رقعة منه إلى القاضى أبى بشر الجرجانى ٣٢
وله ، فصل من كتاب إلى ابن العميد جوابا لكتاب إليه فى وصف البحر ٣٣

الخوارزمى :

كتب إلى قاضى سجستان حين نكبه أميرها ٣٤

البديع الهمذانى :

كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه ٣٧
المقامة القريضية ٣٨

ثانيا — النثر العلمى التأليفى :

ابن جنى :

قطعة من كتابه الخصائص ٤٢

الجرجانى :

فصل من كتابه دلائل الإعجاز ٤٣

صفحة

الحريرى :

فصل من كتابه درة الغواص ٤٤

المسعودى :

قطعة من مقدمة كتابه التنبيه والإشراف ٤٥

الماوردى :

فصل من أدب الوزير ٤٧

ابن حمدون :

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية ٤٨

الأدب فى مصر والشام :

(١) الشعر

المتنبى :

قال فى صباه من قصيدة ٥٠

وقال من قصيدة يصف حربا ٥١

وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربته للروم ٥٣

وقال يذكر قيام شبيب العقيلى وكان خارجا على كافور ٥٦

وقال يوم عرفة وقد خرج من مصر فارا من كافور إلى الكوفة ٥٨

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر إلى مصر ٦٠

وقال فى الحكمة ٦٣

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا ٦٤

وقال فى وصف الحياة والناس ٦٥

أبو فراس :

قال فى الشكوى والعتاب ٦٦

وقال فى الحكم ٦٧

وقال يشكو حاسديه ويذم فعلهم ٦٧

وقال فى وصف كتاب ورد عليه من صديق له ٦٧

وقال من قصيدة يتوه فيها بشجاعته ٦٨

وكتب وهو فى أسر الروم إلى سيف الدولة ٦٩

وقال من قصيدة بعث بها إليه من الأسر يعاتبه على تباطئه فى فكاكه ٧١

صفحة

أبو العلاء المعرى :

قال فى الفخر ٧٢
وقال يصف ديكا ٧٥
وقال فى وصف ليلة ٧٦
وقال يرثى فقيها حنفيا ٧٧
وقال يفتخر ٧٨
وقال من قصيدة تتضمن كثيرا من خاص آرائه ٨٠
وقال يصف الحياة الدنيا ٨٢
وقال فى هذا المعنى ٨٢
وقال فى الحكمة ٨٣
وقال يصف التدين الكاذب ٨٣
وقال فى انطباع الناس على الشر ٨٣
وقال فى مرأى الناس ومخبرهم ٨٣

كشاجم :

قال يشكو الحظ والزمن ٨٤
وقال يهجو عوادة ٨٤
وقال يتغزل ٨٥

أبو الفرج الببغاء :

قال يصف كتيبة وقائدها ٨٥

عبد المحسن الصورى :

قال يهجو بعض من ضافه ٨٦
وقال فى وصف جميل يسبح فى ماء ٨٦

تميم بن المعز الفاطمى العبيدى :

قال يصف فوارة فى بستان ٨٧
وقال أيضا فى الفخر ٨٧
وقال فى الغزل ٨٨

صفحة

أبو الحسن التهامى :

قال يرثى ابنا له مات صغيرا ٨٨

على بن النعمان :

قال فى وصف صديق... ... ... ٩١

أبو الحسن على بن عبد الرحمن :

قال فى الهجاء ٩١

الحسن بن الزبيرى الأسوانى :

قال يشتاق إلى نهر بردى بالشام ٩١

ابن الفارض :

قال من قصيدة ٩٢

عمارة اليمنى :

قال من قصيدة يصف فيها دارا ٩٣

القاضى الفاضل :

قال من قصيدة خمرية وصف فيها بلاغته ٩٥

ابن قلاقس :

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال ٩٧

وقال مرتجلا وقد خر السقف عليه من أثر مطر هاطل ٩٨

وقال يصف فوارة ٩٩

وقال يصف الشمس وهى غاربة فى النيل ٩٩

ابن النبيه المصرى :

قال يصف الحياة والموت ٩٩

وقال يتغزل ٩٩

صفحة

ابن مطروح :

قال يصف حسناء تسير بليل ١٠٠
وقال يتغزل ١٠٠

البهاء زهير :

قال فى الشكوى ١٠١
وقال فى عتاب الحبيب والتشوق إليه ١٠١
وقال فى التغزل ١٠٢
وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر العزيزة ١٠٣

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى :

أبو الفرج الببغاء :

من كتاب يهنئ فيه بولاية عمل ١٠٤
ومن كتاب له فى التهنئة بعيد ١٠٤
وله من كتاب فى التهنئة بمولودة ١٠٤

على بن خلف :

كتب فى الدعوة إلى وليمة ١٠٥

القاضى الفاضل :

قال يصف مدينة آمد ١٠٦

ابن الصيرفى :

فصل له من كتاب بشارة بالسلامة ١٠٧

ابن قادوس :

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس بوفاء النيل فى الدولة الفاطمية ١٠٨

صفحة

ثانيا — النثر العلمى التأليفى :

المعرى :

من قوله فى مقدمة اللزوميات ١٠٩

ابن شداد :

فصل من كتابه : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية... ... ... ١١٠

عصر المماليك والعثمانيين :

(١) الشعر

شمس الدين محمود الكوفى :

قال فى رثاء بغداد ١١١

بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى :

قال فى الصبابة والتحزن ١١٢

وقال فى الروض ١١٣

الشاب الظريف :

قال من قصيدة فى الشكوى والحكمة... ... ... ١١٣

وقال فى التغزل ١١٣

وقال فى زيارة الحبيب ١١٤

وقال فى التغزل ١١٤

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع ١١٤

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبدالظاهر ١١٥

وقال فى الغزل ١١٥

سراج الدين الوراق المصرى :

قال فى شكر الله على نعمائه ١١٦

وقال فى لوم النفس على المعصية... ... ... ١١٦

وقال فى الترفع ١١٦

وقال فى الحنين إلى الأحباب ١١٧

صفحة

نصير الدين الحمامى المصرى :

قال فى داره ١١٧

عمر بن الوردى :

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله ١١٨
وكتب إلى القاضى جمال الدين يوسف معاتبا له ١١٩

صفىّ الدين الحلى :

من ملحه ١٢٠
وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج ١٢٠
وقال يهنئ المؤيد بالقدوم الى الصيد ١٢٢
وقال يحرض الأمير نور الدين على ملتقى المغول وحربهم ١٢٣
وقال فى فرس أدهم محجل ١٢٤
وقال فى وصف عود طرب... ... ... ١٢٤

جمال الدين بن نباتة المصرى :

قال يرثى ولدا له مات صغيرا ١٢٤
وقال يمدح السلطان الأفضل و يعزيه فى والده ١٢٦
وقال فى الناصر حسن ١٢٨

محيي الدين بن قرناص الحموى :

قال يصف روضا ١٢٨
وقال يصف نهرا ١٢٩

على بن محمود المبارك :

قال يذم دار سكناه ١٢٩

ابن سعيد المغربى :

قال يصف الجيزة ١٣٠

محمد بن سليم المصرى :

كتب إلى السراج الوراق فى حمار له سقط فى بئر فمات ١٣٠

صفحة

ابن الجنان :

قال يصف روضا على نهر ١٣١

محمد بن الحسين :

قال فى نوح الحمام ١٣١

محمد بن الحسن الصائغ العروضى :

قال يتشوّق وهو بمصر إلى دمشق ١٣٢

ابن دقيق العيد :

قال يتمنى الجمع بين الشباب والمشيب ١٣٢
وقال فى الشكوى ١٣٢
وقال فى بعض الوزراء ١٣٢

مجبر الدين بن تميم :

قال يصف روضا ١٣٣
وقال فى وكيل بدار القاضى بدمشق ١٣٣
وقال فى روضة ١٣٣
وكتب الى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق ١٣٣
وقال فى رثاء صديق له اسمه قطب الدين ١٣٤
وقال فى التشوّق ١٣٤
وقال فى الغزل ١٣٤
وقال فى ليلة سكر ١٣٤
وقال يهجو ١٣٥
وقال يمدح النرجس ١٣٥
وقال فى روضة ١٣٥

الشهاب الخفاجى :

قال يتغزل ١٣٦

صفحة

السيد عبد الرحيم العباسى :

قال يصف ضعفه ١٣٧
وقال يشكو من الأصدقاء ١٣٧
وقال يصف الصداقة الحق ١٣٧
وقال فى لئيم ابتدأه بالتحية ١٣٧
وقال فى الحكمة ١٣٨

محمد بن القاسم الحلبى :

قال يجيب الشهاب الخفاجى على قصيدته التى تقدمت ١٣٨

أحمد بن على العلقمى :

قال يمدح ١٣٩

عبد الرحمن بن عماد الدين :

قال فى الموت وطلب الرحمة ١٤٠

الأمير محمد بن منجك :

قال متغزلا... ... ... ١٤٠

ابراهيم بن المبلط :

قال من قصيدة طويلة فى الغزل ١٤١

نور الدين العسيلى :

قال يصف دولابا ١٤٢

الأستاذ الإمام أبو المواهب البكرى :

قال يصف يوم مرح... ... ... ١٤٤

الشيخ عبد الله الشبراوى :

قال فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف ١٤٥
وقال متشوقا إلى مصر ١٤٦

صفحة

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى :

الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى :

قال يصف بستانا ١٤٧

القلقشندى :

من رسالة عبد الملك الناصر برقوق الى صاحب فاس ١٥٠

القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر :

من كتاب كتبه الى صاحب اليمن ١٥١

الإمام ابن حبيب الحلبى :

من كتاب نسيم الصبا ١٥٣

شهاب الدين محمود الحفاجى :

المقامة الساسانية ١٥٥

ثانيا — النثر العلمى :

الشيخ كمال الدين الدميرى :

قطعة من كتابه حياة الحيوان ١٦٠

ابن خلدون :

فصل من مقدمته ١٦٢

المقريزى :

من خطبة كتابه المواعظ والاعتبار ١٦٤

شمس الدين محمد النواجى :

من كتابه حلبة الكميت ١٦٥

ابن خلكان :

من كتابه وَفَيات الأعيان ١٦٧

الديار بكرى :

فصل من كتاب الخميس فى أحوال أنفس نفيس ١٦٨

الشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهى :

قطعة من كتابه المستطرف ١٨٢

العصر العباسى الثانى

الأدب فى خراسان والعراق

---

(١) الشعر

(١) الشريف الرضى[1]

قال يتغزل :

يا ظبيةَ البانِ تَرْعَى فى خمائلِه ... لَيهنِكِ اليومَ أنّ القَلْبَ مَرْعاكِ[2]

الماءُ عِندَكِ مبذُول لشاربِهِ ... وليس يُرْويكِ إلا مَدْمَعِى الباكى[3]

هَبَّتْ لنا من رِياح الغَوْرِ رائحةٌ ... بعدَ الرُّقادِ عَرَفْناها بِرَيّاكِ[4]

ثم آنْثَنَينا اذا ما هزّنا طَرَبٌ ... على الرِّحال تَعلَّلْنا بِذِكراك

سَهْمٌ أصابَ وَراميهِ بِذِى سَلَمٍ ... مَنْ بالعِراق، لقَدْ أبعدْتِ مَرماك[5]

حكَتْ لِحاظُكِ ما فى الرِّيم من مُلَحٍ ... يومَ اللقاء، وكان الفضلُ للحَاكى[6]

كأنَّ طَرْفَكِ يوم الجِزْعِ يُخبِرُنا ... بما طَوَى عنكِ من أسماء قَتّلاك[7]

---

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب أشراف بغداد وأشعر بنى هاشم توفى سنة ٤٠٦هـ.

(٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح فى الاعتدال واللين . والخمائل : جمع خميلة وهى الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .

(٣) المدمع : مجرى الدمع فى العين .

(٤) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد وجبال الحجاز . وهى المسماة تهامة على ساحل البحر الأحمر . ورائحة : أى ريح ممسية . والريا : الرائحة الطيبة .

(٥) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

(٦) والريم : الظبى الخالص البياض .

(٧) الجزع : موضع بالحجاز قرب الطائف .

أنت النعيمُ لقلبي والعذاب له ... فما أمرَّكِ في قلبي وأحلاكِ

عندي رسائلُ شوق لستُ أذكرها ... لولا الرقيبُ لقد بلّغتُها فاكِ

وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك بهاءَ الدولة البُوَيهي وأنفذها إليه وهو في البصرة، وقد فتحها في آخر سنة ٣٩٤ هـ :

أهْلاكِ عنا رَبةَ البُرْقُع ... مَرُّ الثلاثينَ الى الأربع (١)

أنيتِ أعنْتِ الشيبَ في مَفْرِقي ... مع الليالي، فصلي أو دعي (٢)

يا حاجةَ القلبِ ألَمْ ترحَمي ... جِنايةَ الدمع على مدمَعي ؟

لولا ضَلالاتُ الهوى لم يكُنْ ... عِنانُ قلبي لكِ بالأطوع (٣)

كيف طوى دارَك ذُو صبوة ... عَهدي به يطرَب للمَرْبَع (٤)

كانَ يرى ناظرُه سُبَّةً ... أنْ مَرَّ بالدارِ ولَمْ يَدمَع (٥)

يا حبذا منكِ خَيالٌ سَرَى ... فدَلَّهُ الشوقُ على مضجَعي

باتَ يُعاطيني جنى ظَلمه ... وبِتُّ ظمآنَ ولم أنقَع (٦)

---

(١) أي من العمر : فيكون عمره يومئذ ٣٤ سنة .

(٢) المفرق : وسط الرأس، وهو المكان الذي يفرق عنه الشعر . أي أن حبك أهمني فجعل الشيب يسرع في رأسي فوق فعل الليالي به .

(٣) العنان بالكسر : سير اللجام ، أي : لولا حبي إياك لم يكن قلبي طوعا لك .

(٤) طوى دارك : مر بها وحاذاها . والمربع : المكان الذي ينزل به وقت الربيع ، ويراد به هنا الدار مطلقة . ويطرب هنا : بمعنى يحزن ويشجى .

(٥) السبة هنا : العار . والمراد بالناظر : العين .

(٦) الظلم : تلا لؤ أسنان الثغر ، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة . ولم أنقع : أي لم أروظمئي .

وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسى فى أحد مجالسه :

لله يوم أطلعتك به العـــلا ... عَلَمًا يُزَاوَلُ بالعيون ويُرْشَقُ (١)

لما سَمَـــت بِك غرةٌ مَرْمُوقَةٌ ... كالشَّمْسِ تَبْهَرُ بالضِّياءِ وَتُومَقُ (٢)

وبرزْتَ فى بُرْدِ النَّبِىِّ ، ولِلهُدَى ... نورٌ على أسرارِ وجهِكَ مُشرِقُ (٣)

وكأنَّ دارَكَ جنة حَصْبَاؤهَا الـ ... ـجادِىُّ أو أنماطها الإستبرق (٤)

فى مَوْقِفٍ تُغضِى العُيونُ جلالةً ... فيه ويَعْثُرُ بالكَلَامِ المنْطِقُ (٥)

والنَّاسُ : إما راجعٌ متهيِّبٌ ... مِما رأى ، أو طالِع مُتَشَوِّقُ

مَالُوا إِلَيْـــكَ محبَّةً ، فتَجمَّعُوا ... ورأوا عَلَيْـــكَ مَهابةً ، فتَفرَّقُوا

وقال يفخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت :

لِغَيْرِ العُلا منِّى القِلَى والتجنُّبُ ... ولوْلا العُلا ما كنتُ فى الحبِّ أَرغبُ (٦)

إذا اللهُ لم يعـــذِرْكَ فيما ترومُـــهُ ... فما النـاسُ إلا عاذلٌ ومُـــؤَنِّبُ

---

(١) العلم : الجبل ، ويزاول : يطلب .

(٢) الغرة : الوجه . ومرموقة : تتجـــه الأنظار إليها . وتبهر : تغلب . وتومق : تحب وتعشق .

(٣) الأسرار : خطوط الوجه ، واحدها : سرر .

(٤) الحصباء : الحصى . والجادى : الزعفران . والأنماط : جمع نمط ، وهو البساط . والاستبرق : ثياب حريرية .

(٥) تغضى : تغمض .

(٦) القلى : البغض والكراهة والهجر . أى لولا أننى أحب المعالى لما كان لى رغبة فى أى حب .

مَلَكْتُ بِحِلمِي فُرصَةً ما استَرَقَّها ... مِنَ الدهرِ مقتولُ الذِّراعَينِ أَغْلَبُ (١)

فإنْ تَكُ سِنِّي ما تُطاوِلُ باعَها ... فلي مِن وراءِ المجدِ قلبٌ مُذَرِّبُ (٢)

فَحَسْبِيَ أَنِّي في الأعادي مبغَّضٌ ... وأنِّي الى غُرِّ المعالي محبَّبُ

وللحِلْمِ أوقاتٌ، وللجهلِ مثلُها ... ولكنَّ أيَّامي الى الحِلْمِ أقرَبُ (٣)

يصولُ عليَّ الجاهلونَ، وأَعْتَلي ... ويُعْجِمُ فيَّ القائلونَ، وأُعرِبُ (٤)

يَرَوْنَ احتمالي غُصَّةً، ويَزيدُهم ... لواعجَ ضِغْنٍ أنَّني لستُ أغضَبُ (٥)

وأُعرِضُ عن كأسِ النديمِ كأنها ... وَمِيضُ غمامٍ غائرِ المُزْنِ خُلَّبُ (٦)

وقورٌ، فلا الألحانُ تأسِرُ عَزْمَتي ... ولا تَمكُرُ الصهباءُ بي حينَ أَشْرَبُ

ولا أَعرِفُ الفَحْشاءَ إلا بوصْفِها ... ولا أَنطِقُ العَوْراءَ والقلبُ مُغْضَبُ

---

(١) استرقها : يريد نالها وحصل عليها . والأغلب : يريد القوى الذى يغلب خصمه . أى أننى أنال بالحلم مالا يناله القوى الشجاع بقوته وشجاعته .

(٢) المذرب : المحدد الماضى .

(٣) الجهل هنا : الجفاء والغلظة والإسراع إلى المعاقبة والانتقام .

(٤) الجاهلون هنا : الحمق الذين لا عقل لهم ولا رأى . والإعجام ضد الإبانة . أى أن أولئك الجاهلين الحمق يعتدون على ولكن قدرى يرتفع ، ويقولون عنى كلاما كأنه لسخفه معجم غير بين ، ولكننى أعرب وأبين بقولى الواضح ، وفعالى الصالح .

(٥) لواعج : جمع لاعج ؛ وهو المحرق . أى أن تركى الغضب يزيدهم أضغانا محرقة فى صدورهم .

(٦) الوميض : لمعان البرق . والغمام : السحاب . والمزن الغائر : السحاب الذاهب ، والخلب : الخادع ، وهو صفة للوميض .

تَحَـلُّمُ عَنْ[1] كرِّ القوارصِ شيمتى ... كأنّ مُعيـدَ الذمِّ بالمـدْحِ مُطنِبُ

لسانى حَصاةٌ[2] يَقْـرَعُ الجهلَ بالحجا ... إذا نال مِـنّى العاضِـهُ المُتَـوثِّبُ

ولستُ براضٍ أن تَمَسَّ عزائمى ... فُضالاتُ[3] ما يُعطِى الزمانُ ويسلُبُ

غرائبُ آدابٍ حَبانِى بحفْظِهـا ... زَمانِى، وصَرْفُ الدهرِ[4] نِعْمَ المـؤدِّب

وقال فى صغره :

ستعلَمونَ ما يكونُ مِنّى ... إن مَدَّ مِنْ ضَبْعَىَّ طولُ سِنّى[5]

أأَدَعُ الدنيـا ، ولم تَدَعْنى ... يلعَبُ بى عَناؤُها المُعَـنّى[6]

وَسِعْتُ أيّامى، ولم تَسعْنِى ... أفضُلُ عنها، وتَضيقُ عنّى[7]

---

(١) تحلم، أصلها تحلم، حذفت إحدى التاءين، والقوارص : الشتائم الشديدة . والشيمة : السجية والخصلة، أى أن كريم طبعى يأبى على إلا أن أقابل تكرار ذمى بالحلم، حتى كأن مكرر ذمى يطيل فى مدحى .

(٢) الحصاة هنا : العقل، والجهل : الحمق . والعاضه : الذى يكذب على المرء فى وجهه . أى انى إذا آذانى متوثب على ذمى بالكذب فى وجهى، لم أقابله بالمثل، ولم أبسط فيه لسانى، بل أحلم عليه، وأجعل لسانى عقلا يفكر ولا يتكلم .

(٣) الفضالات فى الأصل : البقايا . ويريد بها هنا : الملاذ الدنيوية . أى أنها لا تثنينى عن معالى الأمور، فلا يحزننى ما أفقد من هذه الملاذ، ولا يسرنى ما أناله منها .

(٤) صرف الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٥) الضبع : العضد . أى إن كبرت سنى، واشتد عضدى .

(٦) المعنَّى : المرهق الشاق . أى أأترك الدنيا يلعب بى عنادها وهى لم تتركنى .

(٧) وسعت أيامى : اتسعت لها واستنفدتها . وأفضل : أزيد . أى أن همتى تتسع لأيام حياتى، حتى تستنفدها ثم تزيد عليها، فالأيام تضيق عن كل ما أريد، إذ أن همتى أبعد مدى منها .

لِمْ أنَا مِثْلُ العَاطِنِ المُبِنِّ ... أَسْحَبُ بُرْدَىْ ضَرَعٍ افِنِ (١)

ولى مَضَاءٌ قَطُّ لم يَخُنِّى : ... ضميرُ قَلْبِى ، وضميرُ جَفْنِى (٢)

راضٍ بما يُضوِى الفَتى ويُضنِى ... أَسَّسَ آبائى وسوْفَ أَبنِى (٣)

قد عَزَّ أصلى ويَعِزُّ غُصنى ... غَنِيتُ بالمجد ولم أَستَغْنِ

(٢) مهيار الدَّيْلَمِى (٤)

قال فى الفخر بقومه فارس و بالإسلام :

أَعْجِبْتْ بى بَيْنَ نادِى قَومِها ... أمُّ سَعْدٍ ، فمضتْ تَسألُ بى

سَرَّها مَا عَلِمتْ من خُلُقٍ ... فأَرادتْ عِلْمَها ما حَسَبى ؟

لا تَخالِى نَسَبًا يَخْفِضُنِى ؛ ... أنا مَنْ يُرْضيكِ عند النَّسَبِ

قَوْمَى استَوْلَوْا على الدهر فَتًى ، ... ومَشَوْا فوقَ رُءوسِ الحِقَبِ

عَمَّمُوا بالشمْسِ هَامَاتِهِمُ ، ... وبَنَوْا أبياتَهم بالشُّهُبِ

وأبى كِسرى عَلَا إيوانُهُ ... أَيْنَ فى الناسِ أبٌ مثلُ أبى ؟

قد قَبَستُ المجدَ من خيرِ أبٍ ، ... وقبستُ الدِّينَ من خيرِ نَبِى

وضَمَمْتُ الفخرَ من أطرافه : ... سُؤْدُدِ الفُرْسِ ، ودِينِ العَرَبِ .

---

(١) العاطن : الجمل البارك بجانب الماء . والمبن : المقيم ، والكريه الرائحة . والضرع : الذل والضعف . والأفن : سوء الرأى ، أى لم أقيم فى دارى مثل الجمل المقيم فى المبارك الكريهة الرائحة ؟ أما آن لى أن أنشط فى طلب المجد ولا أجر ثوب استضعاف وثوب رأى غير سديد ؟

(٢) المضاء : النفوذ والإصابة ، أى إن قلبى ونظرى ثاقبان فى معرفة الأمور .

(٣) يضوى : يجعله نحيفا هزيل الجسم .

(٤) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمى ، كان مجوسيا يتكسب بالكتابة فى الدواوين ، تخرج على الشريف الرضى فى الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله ، وأسلم على يده وتشيع بمذهبه وغلا فى التشيع .

وقال من قصيدة فى التشوق :

يا نَسِيمَ الصُّبحِ منْ كاظِمَةٍ ... شَدَّ ما هِجْتَ الجوَى والبُرَحَا(١)

الصَّبا — إن كان لابد — الصَّبا ... إنَّها كانت لقَلْبِى أَرْوَحَا(٢)

يا نَدَامَاىَ بسَلْعٍ ! هلْ أَرَى ... ذَلكَ المَغْبَقَ والمُصْطَبَحَا ؟(٣)

فاذكرونا مِثْلَ ذِكرانا لَكُمْ ؛ ... رُبَّ ذِكْرَى قرَّبتْ مَن نَزَحَا(٤)

واذكروا صَبًّا إذا غَنَّى بِكُمْ ... شَرِبَ الدمعَ وعافَ القَدَحَا

وقال من قصيدة فى الحكمة والشكوى :

خَلِيلُكَ مَن صَفَا لكَ فى البِعادِ ... وجارُكَ من أَذَمَّ على الوِداد(٥)

وحظُّكَ مِن صديقِك أن تَراهُ ... عَدُوًّا فى هواكَ لمن تُعادِى

ورُبَّ أخٍ قَصِىِّ العِرْقِ ، فيه ... سُلُوٌّ عن أخيكَ مِن الوِلاد(٦)

فلا تَغْرُرْكَ ألْسِنَةٌ رِطَابٌ ... بطائنُهُنَّ أكبادٌ صَوَادِى(٧)

وعِشْ إما قَرِينَ أخٍ وَفِىٍّ ... أمِينِ الغَيْبِ ، أو عيشَ الوِحاد(٨)

فإنى بعدَ تجرِبتى لأمرٍ ... أنِسْتُ — ولا أغُشُّكَ — بانفرادى

---

(١) كاظمة : موضع من بلاد العرب بقرب البصرة على ساحل خليج فارس . والبرحا : مقصور البرحاء بالمد ، وهى شدة الألم .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وأروح : أجلب للراحة .

(٣) سلع : جبل بالمدينة والمغبق : مكان الغبوق ، أى الشرب مساء . والمصطبح : مكان الشرب صباحا

(٤) نزح : بعد .

(٥) أذم : أعطى عهدا وذمة على الوداد .

(٦) قصى العرق : أى بعيد النسب . والولاد : الولادة .

(٧) رطاب : رطبة تنطق بالكلام اللين . وصواد : عطشى ، أى ملتهبة من الحقد .

(٨) أمين الغيب : أى لا يقول فيك شرا حين يغيب عنك . والوحاد : أى التوحد والانفراد .

تُرِيدُ خَلائقَ الأيّامِ مَكْرًا ... لِتغْصِبَنِي على خُلُقٍ وعادِى (١)

وتَغْمِزُنى الخطوبُ تظنُّ أنّى ... أَلِينُ على عَرائكها الشِّداد (٢)

وما ثَهلانُ تُشرِقُ قُنَّتاهُ ... بأحمَلَ للنَّوائبِ مِن فؤادى (٣)

تُغَرِّبُ فى تَقَلُّبِها الليالى ... عَلَىَّ بكُلِّ طارِقةٍ نآد (٤)

إذا قُلْتُ: أكتفتْ منِّى، وكفّتْ ... نَزَتْ بالدّاءِ ثائرةَ العِداد (٥)

رَعَى سِمَنُ الحوادثِ فى هُزالِى ... كأنَّ صلاحَهُنَّ علَى فَسادى

فَيَوْمًا فى الذَّخيرةِ مِن صَديقٍ ... ويومًا فى الذَّخيرة من تِلادى (٦)

يذُمُّ النَّومَ دونَ الحِرْص قومٌ ... وقلتُ لرَقْدَتِى عنه: حَمادِ (٧)

وما كان الغِنَى إلا يسيرًا ... لَوَ انَّ الرزقَ يبلُغُه اجتهادى

---

(١) أى تريد خلائق الأيام أن تغلبنى على أخلاقى وعاداتى وتسلبنى إياها ، وتقهرنى على تغييرها .

(٢) العرائك جمع عريكة ، وهى الطبيعة .

(٣) ثهلان : جبل . والقنة : أعلى الجبل ، أى أن جبل ثهلان لا يتحمل ما يحمله قلبه من النوائب .

(٤) أى تأتى بالغرائب . والطارقة : الداهية . والنآد : العظيمة .

(٥) نزت : وثبت . وثائرة العداد : مهتاجة فى عودتها ورجوعها .

(٦) أى فيوما تفقدنى صديقا ، ويوما تفقدنى مالا .

(٧) حماد : كلمة مبنية على الكسر ، أى حمدا وشكرا ، أى أنه يحمد بعده عن الحرص وزهده فى الجشع ، وإن كان ذلك يذمه قوم .

وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له من أولاد الرؤساء يستعينه على أبيه فى حاجة :

إلى وَزَرٍ (١) أَحُطُّ به ثِقالًا ... من الامال وهْوَ لها مآلُ
رضينا — والعُداة لها غِضابٌ — ... سجايا (٢) فيك أعطاك الكمالُ (٣)
إذا اختلف الجدود فظلْتَ يوما ... تَعُدُّهُمُ ، استوى عَمٌّ وخالُ
من النُّجَباءِ يرضَى السِّلْمُ منهم ... نفوسا ليس يأباها القِتالُ
نَمَوْك (٤) فأشبه الضِّرغام (٥) شِبْلٌ (٦) ... وقايَسَتِ (٧) اليَدَ اليمنى الشِّمالُ
وكنتَ ابنًا لِوالِدِهِ مُعينًا ... وبعضُهُمُ لِوالِدِهِ عِيالُ (٨)
ولمَّا لم تَخِبْ فيكَ الأَمانِي ... رمى بِك حيث لم تَنْبُ (٩) النِّصالُ (١٠)
وآنَسَ (١١) منك يومَ بَرَقْتَ (١٢) غيثًا ... دموعُ سَحابِهِ أَبَدًا سِجالُ (١٣)
شمائِلُ (١٤) طاب مَغْرِسُها فَطابت ... كما هبَّتْ عَلَى الرَّوضِ الشَّمالُ (١٥)

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهنئه بالمهرجان :

هلْ عند هذا الطَّلَلِ الماحِلِ ... من جَلَدٍ يُجْدى على سائِلِ (١٦)
أصمُّ ! بل يسمَعُ ! لٰكنَّه ... من البِلَى فى شُغُل شاغِلِ (١٧)

---

(١) ملجأ ومعتصم .
(٢) أخلاق ، جمع : سجية .
(٣) أى أعطاك الكمال إياها .
(٤) رفعوا نسبك إليهم
(٥) الأسد .
(٦) ابن الأسد .
(٧) ساوتها .
(٨) ثقل .
(٩) تتباعد وتتجافى .
(١٠) السيوف ، جمع نصل .
(١١) أبصر .
(١٢) لمعت ، يريد : ظهرت صغيرا .
(١٣) فائضة .
(١٤) أخلاق .
(١٥) الريح التى تهب من ناحية القطب .
(١٦) الماحل : الجدب المقفر .
(١٧) البلى : القدم والرثاثة .

وقفتُ فيه شَبَحًا مَائِلًا ... مُرْتَفِدًا من شَبَحٍ مَائِل : (١)

ولا ترَى أعجبَ من ناحِلٍ ... يشكو ضَنَى الجسم إلى ناحِل (٢)

لَهْفَكِ يادارُ ! ولَهْفِى علَى ... قطينِكِ المحتَمِل الزَّائل ! (٣)

قلبِىَ للأَحزانِ بَعْدَ النَّوى، ... وأنتِ للسافِى وللنَّاخل (٤)

مثلُك فى السُّقْم ، ولى فَضْلةٌ ... بالعَقْل ، والبَلْوَى على العاقل

يأهلَ نَعْمانَ اسمَعُوا دَعوةً ... إنْ أَسْمَعَتْكُمْ مِن لِوَى عاقل (٥)

هل زَوْرَةٌ تُمْتِعُنا منكُمُ ... وَهْنًا بِمِيعادِ الكَرَى الباطل ؟ (٦)

أم هل لجسمٍ قاطِنٍ أن يَرى ... عودة قلبٍ معكم رَاحِلِ

(٣) أبو سعد الكاتب (٧)

قال فى الشوق إلى بغداد :

فِدًى لَكِ يا بغدادُ كلُّ مَدينةٍ ... مِنَ الأَرض حتَّى خِطَّتِى وديارِيا

فقد سرتُ فى شَرْقِ البلاد وغَرْبِها ... وطوَّفْتُ خَيْلِى بَيْنَها ورِكابِيا

فلم أرَ فيها مثلَ بَغدادَ منزِلًا ... ولم أرَ فيها مثلَ دِجلةَ واديا

ولا مثلَ أهليها أرَقَّ شمائلًا ... وأعذبَ ألفاظًا وأحلَى معانيا

---

(١) مرتفدا : أى طالبا للرفد ، وهو العطاء ، والمراد به هنا إفادته بأخبار أحبته .

(٢) الناحل : السقيم الهزيل .

(٣) القطين : أى من كان مقيما . والمحتمل : الذى حمل رحله وانتقل .

(٤) يريد بالسافى والناخل : الريح .

(٥) نعمان : مكان . وكذلك : لوى عاقل .

(٦) الوهن : نحو من نصف الليل .

(٧) هو أبو سعد الكاتب على بن محمد أحد كتاب بنى بويه ، توفى سنة ٤١٤ هـ .

وكم قائل : لو كان ودُّك صادقا لبغداد لم ترحل . فكان جوابيا :

(يُقيمُ الرجالُ الموسرون بأرضِهم وترمى النَّوَى بالمقترينَ المرامِيا)

(٤) ابن لنكك[٢]

قال فى الهجاء :

وعُصْبَة لَمَّا تَوَسَّطتهم صارَتْ علَيَّ الأرضُ كالخاتَم

كأنَّهُمْ من سُوءِ أفهامِهم لم يخرجوا بَعْدُ إلى العالَم

يَضحَكُ أبليسُ إذا رآهُمُ لأنَّهُمْ عارٌ على آدَم

(٥) التنوخى[٤]

قال يصف الليل والنجوم :

رُبَّ لَيْلٍ قطعتُه كصُدودٍ وفِراقٍ ما كان فيه وَداعُ

مُوحِشٍ كالثَّقيلِ تَقْذَى به العَـ ـيْنُ ، وتأبَى حديثَه الأسماعُ

وكأنَّ النجومَ بين دُجَاهُ سُنَنٌ لاحَ بينهُنَّ ابتِداع

وكأنَّ السماءَ خَيمةُ وَشْيٍ وكأنَّ الجَوْزاءَ فيها شِراع

كانَ لَيْلًا فصيَّرتْه نَهارًا كُتُبٌ تكبِتُ العِدَا ورِقَاع

---

(١) المقتر : المحتاج . والمرامى : المطارح البعيدة . وهذا البيت لشاعر قديم

(٢) هو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنكك شاعر البصرة وأهجى أهل زمانه بالمقطعات

(٣) راءهم : رآهم .

(٤) هو القاضى التنوخى أبو القاسم على بن محمد أحد قضاة بنى بويه ونديم الوزير المهلبى .

وقال أيضا فى هـذا المعنى :

وليـــلة مُشتاقٍ كأنَّ نُجـومَها ... قد اغتصبتْ عَيْنَ الكَرَى، وهى نُوَّمُ

كأنَّ عُيونَ السَّاهِرِينَ لِطُولِها ... إذا شَخَصتْ للأنجـم الزُّهْرِ أَنْجُمُ

كأنَّ سَوادَ الليلِ، والفَجْرُ ضاحكٌ ... يلوح ويخفى — أسـودٌ يَتبسَّمُ

وقال فى وصف رسالة :

وافَى كتابُك مثلَمـا ... وافَى بمفقودٍ بَشـير

وكأنه الإقبـال جا ... ءَ أو الشفاءُ أو النُّشُور

وكأنه شَرْخ (١) الشـبا ... بِ وعيشُـه الغَضُّ النضير

وافى وعِيرُ (٢) اللَّيـل وا ... قفَـةُ الركائبِ لا تسِـير

فأضاء لِي مِن كُل فـ ... جٍّ (٣) منـه بِفْرٌ مستنير

وارتدَّ طَرفُ الدَّهرِ عَـنِّى وهو مطروفٌ (٤) حسِير (٥)

ورأيت أفلاك السرو ... رِ بكل ما أهوى تدُور

وَفَضَضْـتُهُ فـكأنه ... أثواب وَشْيٍ (٦) أو حَبِير (٧)

وكأنَّهُ لَيْـلٌ يَـلُو ... حُ خلالَهُ صُبحٌ مُنير

---

(١) أول .

(٢) قافلة .

(٣) طريق .

(٤) طرفت العين : أصيبت بشىء ، فهى تدمع .

(٥) كليل .

(٦) نوع من الثياب منقوش

(٧) ثياب يمنية .

٦ — الدِّينَوَرى [١]

قال يشكو ولده :

ربَّيْتُهُ وهْوَ فَرْخٌ لا نُهوضَ لَهُ ... ولا شَكِيرٌ ولا رِيشٌ يُوارِيهِ [٢]

حتى اذَا ٱرتاشَ، وٱشتدَّتْ قَوادِمُه ... وقد رأَى أَنَّه آتت خوافيه [٣]

مدَّ الجناحَيْنِ مَدًّا، ثم هزَّهُما ... وطار عَنِّى؛ فَقَلْبِى فِيهِ مَا فيه

وقال أيضا فى شكْوَى الكِبَر :

عِشْتُ من الدَّهرِ مَا كفَانِى ... ومرَّ ما مرَّ من زمانى

وقد حَنَتْنِى وقَوَّسَتْنِى ... تسعٌ وتسعون وٱثنتان

وقد سئمت الحياةَ ممَّا ... أَلْقَى مِنَ الذُّل والهَوان

ومِن أخٍ كُنتُ أَرتَجِيهِ ... لِحَادِثِ الدَّهرِ قَدْ قَلانى [٤]

ومِن غُلام إذا يُنادَى ... تَصَامَمَ النَّذْلُ وهو دَانى [٥]

مُدَمْدِمٌ لا أَراهُ إلَّا ... مُقَطَّبَ الوجه مَا رآنى [٦]

---

(١) هو أبو القاسم الدينورى عبد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس الكتّاب بخراسان.

(٢) الشكير : الريش أول ما ينبت ، أو الزغب .

(٣) ارتاش : تمكن من النهوض . والقوادم : كبار الريش فى مقدم الجناح . والخوافى : صغار الريش ، وهى التى تختفى تحت القوادم .

(٤) قلانى : أبغضنى وكرهنى .

(٥) تصامم : تصنع الصمم ، أى أغلق أذنه عن ندائى .

(٦) الدمدمة : التكلم فى غضب . وما رآنى : كلما رآنى .

(٧) ابن المنجم [١]

قال فى الشكوى والتوجع :

هُوَ الدَّهْرُ لم تُبدِعْ علَّ صُروفُه ... ولم يأتِ شيئًا لم أكُنْ أتخيَّلُهْ [٢]

وما رَاعَنِي المكروهُ إذ هو عادتى ... لَدَيْه، ولكِنْ راعَ قلبى تَعَجُّلُهْ

تعجَّلَ حتى كادَ آخرُ فِعلِهِ ... يجىء، ولمَّا ينْقطِعْ بعدُ أوَّلُهْ

(٨) الضَّبِّى [٣]

قال يصف الليل والسهر :

رُبَّ ليلٍ سهِرتُهُ ... مُفْكِرًا فى امتدادِهِ

كلَّما زِدتُ رَعْيَهُ ... زادَنِى مِنْ سَوَادِهِ

فتبيَّنْتُ أنَّهُ ... تائهٌ فى رُقادِه

أو تفانَتْ نُجُومه ... فبَدا فى حِدادِهِ

(٩) أبو الفضل الميكالى [٤]

قال فى التوجع وفى شكوى الدهر :

يا دَهْرُ ما أقساك يا دَهْرُ ... لم يَحْظَ فيكَ بِطائلٍ حُرُّ

أمَّا اللئامُ فأنتَ صاحِبُهُمْ ... ولَهُمْ عليكَ العَطْفُ والنَّصْرُ

يَبْقَى اللئيمُ مَدَى الحياة فلا ... يَرتاعُ مِنه لِحادثٍ صَدْرُ

تصفو له الدنيا بِلا كَدَرٍ ... ويُطيعُه فى عَيْشِهِ اليُسْرُ

---

(١) هو أبو الحسن بن المنجم من الأدباء فى الدولة البويهية .

(٢) أبدع : أنشأ وخلق ، أى لم يأت بشىء كان مجهولا . وصروفه : حوادثه .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبى أحد وزراء بنى بويه .

(٤) هو أبو الفضل عبيد الله الميكالى بقية آل الميكال أمراء فارس .

مَرَامُهُ سَهْلٌ ، وكوكَبُهُ سَعْدٌ ، وغُصْنُ سُرورِه نَضْر

وعلى الكريم يدٌ يُسَلِّطُها مِنكَ الجفاءُ المُرُّ والقَسْر

انْ نابَ خَطْبٌ فهو عُرضَتُه يَفْرِيه منه النَّابُ والظُّفْر (١)

أو يبغِ مَعْروفًا لديك غدًا يُنْحِى عَلَيهِ حادِثٌ نُكْر (٢)

مَرْعَاهُ جَدْبٌ ، والحظوظُ له حَرْبٌ ، وجانِبُ عَيْشِه وَعْر

وجَناهُ شَوْكٌ ، والبُحورُ لَهُ وَشَلٌ ، وحَشْوُ فُؤاده جَمْر (٣)

يادَهْرُ دَعْ ظُلْمَ الكرامِ فَهُمْ عِقْدٌ لنَحْرِك لَوْ دَرَى النَّحْر (٤)

سالمْهُمُ ، واستَبْقِ وُدَّهُمُ فهمُ نجومُ ظلامِك الزُّهْرُ

وقال فى وصف النرجس :

أهلًا بنَرجِس رَوْضٍ يُزْهَى بحُسنٍ وطِيبِ

يرنُو بِعَينِ غَزالٍ على قَضيبٍ رَطيب

وفيه مَعْنًى خَفِيٌّ يَزِينُه فى القلوب

تصحيفه ان نسقتَ الْـ حُروفَ بِرٌّ حبيب (٥)

---

(١) عرضته : هدفه ، ومرمى ضرباته .

(٢) الحادث النكر : الشديد الذى ينكر لفظاعته .

(٣) الوشل : الماء القليل .

(٤) النحر : موضع القلادة من الصدر .

(٥) التصحيف : التحريف والغلط فى قراءة الحروف ، أى أن لفظ "نرجس" لو قرئ مصحفا ولم يكن منقوطا لكان : برحبيب : أى مودته وعطفه .

١٠ — الأبيوردى[١]

قال فى الشكوى :

قالوا : هجرتَ الشعرَ . قُلتُ : ضَرورةٌ ... بابُ البواعث والدواعى مُغْلَقُ
خلَتِ البلادُ ، فلا كريمٌ يُرتَجى ... منه النوالُ ، ولا مَليحٌ يُعشَقُ
ومن العجائب أنه لا يُشتَرَى ... ومع الكساد يُخانُ فيه ويُسرقُ

وقال أيضا يستحث على اقتفاء أثر الآباء الكرام :

بأبى — وإن عظُم الفداءُ — فتًى ... لِلْهَمِّ فى جَنْبَيْهِ مُعْتَرَكُ
نَبَّهْتُه والليلُ مُعتكِرٌ ... ونجُومُه فى الأفق تَشتَبِكُ (٢)
ومَشَى على كَسَلٍ ، فقُلْتُ له ... عَثَرَتْ بك الوَخَّادَةُ الرَّمِكُ (٣)
أَرَضِيتَ أمرا لا يزالُ به ... فى الذلِّ عِرْضُ أخيك يُنْتَهَكُ ؟
والدهرُ يَرْمِى بالخطوب ، وفى ... غُلَوَائِها الأيّامُ تنهَمِكُ (٤)
ما نحنُ من سُوَقٍ فنُشبِهُهُمْ ... لم يُنْمِنا إلا أبٌ مَلِكُ (٥)
فانظر الى الأجداد كيف سَعَوا ... للمَكْرُماتِ وأيَّةً سَلَكوا
هلّا أخذتَ بهَدْيهم ! فهمُ ... تركُوا العُلا لك . فارعَ ما تركوا
واطلبْ مَداهُمْ ؛ إنهم نَفَرٌ ... عاشوا بذكرهمُ ، وقد هلكوا
واذا عَجَزْتَ ولم تُلِمَّ به ... فالعجْزُ بعدَ طِلابِه دَرَكُ (٦)

---

(١) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى الشاعر المشهور . ولد بأبيورد من بلاد خراسان ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ .
(٢) اعتكر الليل : اشتد ظلامه .
(٣) الرمك : اسم جمع لرمكة ، وهى الفرس . والوخادة : السريعة الجرى .
(٤) غلواء الخطوب : شدتها وصولتها .
(٥) السوق : جمع سوقة . وهم الرعية ، أى ما دون الملك .
(٦) الدرك : بلوغ القصد . أى أنك إذا بذلت الجهد سعيا إلى شىء فلم تصبه ، فكأنك أصبته لأن على المرء أن يسعى .

(١١) الطُّغْرائى[١]

وقال مؤيد الدين الطغرائى يصف الغدير :

عُجْنَا الى الجِزْع الذى مَدَّ فى ... أرجائه الغَيْمُ بِساطَ الزَّهَرْ[٢]

حَوْلَ غَديرٍ ماؤُه المنتمى ... الى بَنات المُزْن يشكو الحَصَر[٣]

لو لاذت الريحُ سَمُوما به ... لانقلبتْ وهْى نَسِيمُ السَّحَر[٤]

حَصباؤُه دُرٌّ و رَضْراضُه ... سُحَالَةُ العَسْجد حَوْل الدُّرَرْ[٥]

وقد كَسَتْه الريحُ من نَسجِها ... دِرْعًا بها يَلْقَى نِبالَ المَطَر[٦]

وألْبسَتْه الشمسُ من صِبْغِها ... نُورًا به يخطِفُ نُورَ البَصَر

كأنَّهُ المرآةُ مَجْلُوَّةٌ ... على بِساطٍ أخْضَرٍ قد نُشِرْ

وله فى الأعداء والحساد :

جامِلْ عَدُوَّكَ ما استطعت ؛ فإنه ... بالرِّفْق يُطْمعُ فى صَلاحِ الفاسِدِ

واحذرْ حَسودَكَ ما استطعتَ ؛ فإنَّه ... إن نِمْتَ عنه فليس عنكَ براقد

إن الحسودَ وإن أراك تَوَدُّدًا ... مِنْهُ أضَرُّ مِنَ العَدُوِّ الحاقد

---

(١) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب آخر فحول المشرق فى الشعر ومن شعره لامية العجم المشهورة ، وله ديوان مطبوع قتل فى فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .

(٢) عجنا : ملنا ، والجزع : المتسع المنبت من الوادى أو وسطه ذو الأشجار والنبات .

(٣) المزن : السحاب ، والمراد بالبنات مطرها . والحصر : البرودة فى الماء .

(٤) لاذت الريح به : التجأت ومالت إليه . أى أنه لنداه وطيب جوه لو جاءته ريح سموم حارة لبردت وأشبهت نسيم السحر .

(٥) الحصباء : الحصى . والرضراض : صغار الحصى . والعسجد : الذهب . وسحالته : برادته .

(٦) الدرع : قميص من زرد الحديد يلبس وقاية من سلاح العدو . والنبال : جمع نبل : وهو السهم .

ولربَّما رَضِيَ العـدُوُّ إذا رأى منـكَ الجميـلَ فصارَ غيرَ مُعـاند
ورِضَا الحَسُودِ زوالُ نِعمتك التى أُوتيتَها من طارِفٍ أو تالـد[1]
فاصبِرْ على غَيْظِ الحسود فنارُهُ تَرْمِى حَشاهُ بالعـذاب الخالـد
أو ما رأيتَ النارَ تأكُلُ نَفْسَها حتى تَعُـودَ الى الرَّمادِ الهـامِدِ
تَضْفُو على المحسـودِ نعمةُ ربِّه ويذُوبُ من كَمَدٍ فُؤَادُ الحاسـد

ومن لاميته المشهورة فى الحكم :

حُبُّ السلامةَ يثْنى هَمَّ[2] صاحبه عنِ المعالِى ويُغرِى[3] المرءَ بالكسلِ
فإن جَنحت إليه فاتخِذ نَفَقاً فى الأرضِ أو سُلَّماً فِى الجو فاعتزِلِ
ودع غِمار[4] العلا للمقدِمين على ركوبها واقتنِع مِنهن بالبَلَلِ
رضا الذليلِ بخفضِ العيش مسكنة والعِز عِند رسيمِ[5] الأينق الذللِ
إن العلا حدثتنى — وهى صادِقة فيما تحدث — أن العِزَّ فى النُّقَلِ[6]
لو أن فِى شرف المَأوَى بلوغ مُنًى لم تبرِحِ الشَّمسُ يوما دارة الحَمَلِ[7]

وقال يرثى مؤيّد الملك وقد مات مقتولا وبقى بالعراء عدة أيام بغير دفن :

ما بَعْد يومِك لِلحزين الموجعِ غيرُ العَويلِ[8] وأَنَّةٍ[9] المتفجعِ[10]
يوم أُصِيب الدين فِيه وعطلت أحكامه ، فكأنها لم تشرعِ
ومضى الذى كنا نروع[11] بِذِكرِه نُوَب[12] الزمان ، فما له من مَرْجِعِ
من ذا رأى الأسد المدلَّ[13] ببأسِه شِلْواً[14] طريحا بالعَراء[15] البلْقَعِ[16]

---

(١) الطارف : الجديد المستحدث ، والتالد : القديم المأثور .
(٢) عزم (٣) يولع (٤) جمع غمر . وهو الماء الكثير .
(٥) سير . (٦) جمع نقلة بمعنى الانتقال . (٧) أحد بروج الشمس .
(٨) رفع الصوت بالبكاء . (٩) التأوه من الوجع . (١٠) المتوجع للمصيبة .
(١١) نخيف . (١٢) مصائب . (١٣) المتكبر .
(١٤) الشلو هنا : بقية البدن . (١٥) الفضاء . (١٦) الأرض القفر .

اعزِزْ (١) علَيَّ بأَن أسرِّح ناظِرِى ... فِى مجمعٍ وسواكَ صَدرُ المَجْمعِ
لَهَفِى (٢) عليك لمستجيرٍ يبتغى ... وَزَرًا (٣) لديك وما له مِن مفزعِ
جَمَحَتْ (٤) بك الهِممُ التى لاتنثنِى ... عما تروم من المرامِ الأَمنعِ (٥)
ووقفتَ حيثُ السيفُ يرعدُ متنُهُ ... لم ترتعِد فَرَقًا (٦) ولم تتخشعِ
فِى موقفٍ بين الصوارِمِ والقَنَا ... ضَنْكٍ (٧) ويومٍ للكريهةِ أشنعِ
ضاقت بِك الدنيا فعِفْت جِوارَها ... ونزعت نحو الخلدِ أكرم منزَعِ
كلٌّ إلى أَمدٍ يصيرُ، فَمُقْعَصٌ (٨) ... بالسيفِ أَروَح من مَرِيضٍ موجَعِ

وقال يرثى زوجته :

ولم أَنْسَها، والموتُ يقبِض كفَّها ... ويَبسُطُها ، والعينُ تَرنُو وتُطْرِقُ
وقد دَمَعَتْ أجفانُها فوقَ خَدها ... جَنَى نَرْجِسٍ فيه النَّدَى يَتَرَقْرَقُ
وحلَّ مِنَ المَقْدور ما كنتُ أتَّقِى ... وحُمَّ مِن المحذور ما كنتُ أفْرَق (٩)
وقِيلَ : فِراقٌ لا تَلاقِى بعدَه ! ... ولا زادَ إلا حسرةٌ وتحرُّقُ!
فلو أنّ نفسًا قَبلَ مَحْتُومِ يومها ... قَضتْ حَسَراتٍ كانتْ الرُّوحُ تَزْهَق (١٠)
هِلالٌ ثَوَى مِنْ قبل أن تمَّ نُورُه ... وغُصْنٌ ذَوَى فَيْنانُهُ وهوَ مُورِق (١١)
فَوَاعَجَبًا أنَّى أُحِمَّ اجتماعُنا؟ ... ويا حَسرَتى من أين حَلَّ التفرُّقُ؟ (١٢)

---

(١) أعزز : فعل تعجب أتى على صورة الأمر ، اى ما اعزه !
(٢) حسرتى . (٣) ملجأ . (٤) أشرعت .
(٥) الصعب على مريده وطالبه . (٦) خوفا . (٧) ضنك .
(٨) المقعص : الميت من ضربة أو رمية .
(٩) حم الأمر : قضى ووقع . وافرق : أخشى .
(١٠) المحتوم : الذى لا مفر منه . يريد أنه لو أن امرأ تقضى عليه حسرته قبل انقضاء أجله لزهقت روحه من طول ما يتحسر و يحزن لمصابه .
(١١) الفينان هنا : الكثير الأهداب والورق .
(١٢) أحم : قدر . يتعجب من اجتماعهما الذى آل إلى فراق ، و يتحسر لهذه الفرة التى ليس لها لقاء

وله فى أعدائه :

نَكِرُوا عَلَىَّ معايِبِى فَـــذِرتُهَا ... ونَفَيْتُ عن أَخْلاقِىَ الأَقـذاءَ (١)

ولربما انتفَـعَ الفَتَى بعَـدُوِّهِ ... والسمُّ أحياناً يكونُ شِفاءَ

(١٢) السَّهْرَوَرْدِىّ (٢)

قال فى الفلسفة والتصوف :

قُلْ لِأَصْحـابٍ رَأَوْنِى مَيِّتًـا ... فبكَوْنِى إذْ رَأَوْنِى : حَزِنا

لا تَظُنُّـونى بأنّى مَيِّتٌ ... لَيس ذَاكَ المَيِّتُ واللهِ أنا

أَنا عُصْفورٌ ، وهـذا قَفَصِى ... طِرْتُ عنـهُ ؛ فتخلَّى رَهَنا (٣)

فَاخْلَعُوا الأَنفُسَ عن أجسادِها ... فتَرَوْنَ الحـقَّ حقًّـا بَيِّنـا

لا تَرُعْكُمْ سَكْرَةُ الموْتِ فمـا ... هِىَ الا بانتقـالٍ من هُنـا

(١٣) الرفاعى (٤)

من قوله فى العشق الصوفى :

اذا جَنّ لَيْـلِى هامَ قلْبِى بذِكرِكُمْ ... أَنُوحُ كما ناح الحمامُ المطَـوَّقُ

وفَـوْقِى سَحابٌ يُمطِرُ الهَمَّ والأسَى ... وتحـتِى بِحـارٌ بالأَسَى تَتَـدفَّق

سلُوا أمَّ عَمْرٍو كيفَ باتَ أَسِيرُها ... تُفَكُّ الأُسارَى دونَه وهْو مُوثَق ؟

فلا هو مقتولٌ ، ففِى القتلِ راحةٌ ... ولا هُوَ ممنونٌ عليه فَيُطلَقُ

---

(١) الأقذاء : جمع قذى ، وهو ما يقع فى العين من غبار أو غيره من صغار الأشياء ، فيؤذيها . تريد ما يشوب الاخلاق من الصغائر وما يذم .

(٢) هو شهاب الدين عمر السهروردى ، وهذه الأبيات قالها وهو يجود بنفسه لما قتل سنة ٥٨٦ هـ بقلعة حلب ، قتله صلاح الدين لتوهمه أنه يفتن ابنه بالكفر .

(٣) الرهن : ماوضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك ، أى : خليت القفص نائبا منابى .

(٤) هو أبو العباس أحمد الرفاعى صاحب الطريقة الرفاعية الصوفية ، المتوفى بقرية أم عبيدة ببطائح البصرة سنة ٥٧٨ هـ .

١٤ — السَّرِيُّ الرَّفَّاءُ [١]

قال يصف مجلسا اتخذه الحسن بن محمد المهلّبي وزير معز الدولة ذات ليلة على برك وفوارات رُكِّبت حولها رِماح علّق عليها شمع فكوّن ذلك منظرا حسنا :

فضلت ليالِي القَصفِ [٢] ليلتُك التي ... هِي فِي المحاسِنِ غادةٌ حسْناء

رقت غياهِبها [٣] فهن غلائِل [٤] ... وسجت [٥] جنائبها [٦] فهن رخاء

بِرَكٌ تحلّت بالكواكب أرضُها ... فارتدّ وجهُ الأرض وهْو سَماء

رُفِعَت إلى الجوْزاء [٧] فوّاراتها ... عُمُدا تصاب بصوبها [٨] الجوزاء

مِثلَ القَنا [٩] الخَطّيِّ [١٠] قُوِّم مَيْلُه ... وجَرَتْ عليهِ الفِضّةُ البيضَاء

حتى إذا انتشرت جلابيب الدُّجَى ... وتكاثفت مِن دونها الظَّلْماء

فَرَّجْنَها بصحائحٍ إن تَعْتَلِلْ ... فلهنَّ مِن ضَرْبِ الرِّقابِ شِفَاءُ

شَمَعاً حَمَلْنَ على الرِّماحِ رِماحَه ... فَقُدودُهن [١١] وما حَمَلْنَ سَواءُ

---

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى شاعر وصّاف مدّاح نشأ بالموصل، وكان يتكسب فى صباه برفو الثياب وتطريزها ، ثم نظم الشعر فأجاده ، وقصد سيف الدولة بحلب ، فأقام معه حتى مات سيف الدولة ، ثم قصد بغداد ، فمدح رؤساءها ، ومات بها سنة ٣٦٦ هـ .

(٢) فضلت : امتازت وفاقت . والقصف : اللهو . (٣) جمع غيهب : الظلمة .

(٤) جمع غلالة : شعار يلبس على الجسد تحت الثياب . (٥) سكنت .

(٦) جمع جنوب ، وهى ريح حارة . (٧) نجم .

(٨) الصوب : المطر . يريد ما يتصعد من ماء الفوارات . (٩) الرماح .

(١٠) نسبة إلى الخط وهى بلد بالبحرين تصنع بها الرماح .

(١١) قاماتهن .

وقال يصف الروْض والجو فى يوم ظهر فيه قوس قُزَح :

وصاحبٍ يقدح لِي نار السرور بالقدح[١]
فى روضة قد لبست من لؤلؤ الطَّلِّ سُبَح[٢]
يالغنا[٣] حَمَامِهَا مُغْتَبَقاً[٤] ومصطبَح[٥]
اوقِظه بالعزف[٦] أو يوقِظُنى إذا صدح[٧]
والجوُّ فى مُمَسَّك[٨] طرازه[٩] « قوس قزح »[١٠]
يبكى بلا حُزْنٍ كما يضحك مِن غيرِ فرح

وقال يعاتب صديقا أفشى له سرا :

رأيتك تبدى للصديق نوافذا عدوُّك منْ أمثالِهَا الدهرَ آمِن
وتكشِف أسرَار الأخِلَّاء مازحاً ويا ربَّ مَزْحٍ راحَ وهو ضَغَائِن
سأحفظ ما بينى و بينك صائنا عهودك ، إن الحُرَّ للعهد صَائِنُ
وألقاك بالبِشر الجميل مداهِنا[١١] فلى منك خِل ـ ماعرفتُ ـ مُدَاهِنُ
أَنَمُّ[١٢] بما استُودِعتَه مِن زُجاجَةٍ ترى الشىء فيها ظاهرا وهو باطن

---

(١) إناء يشرب فيه الخمر . (٢) جمع سبحة وهى خرزات يسبح بها .
(٣) قوله : يالغنا حمامها ! : يعجب من غناء حمامها وحسن صوته .
(٤) وقت اغتباق الخمر ، أى شربها مساء .
(٥) وقت اصطباح الخمر ، أى شربها صباحا .
(٦) الغناء . (٧) غنى . (٨) مطيب بالمسك . (٩) وشيه .
(١٠) « قوس قزح » : طرائق منقوشة تبدو فى السماء غب المطر بحمرة وصفرة وخضرة وغيرها من الألوان .
(١١) المداهن : الذى يظهر خلاف ما يضمر .
(١٢) أنم : أفعل تفضيل من : نم ، أى أفشى .

(١٥) الجرجانى [١]

قال يمدح الوحدة ، ويذم مخالطة الناس :

ما تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ العيشِ حتَّى ... صُرتُ للْبيتِ والكتابِ جليسا

ليس شيءٌ أعزَّ عندى من العلـ ... ـمِ ؛ فما أبتغى سواه أنيسا

إنما الذُّلُّ فى مُخالطةِ النا ... سِ فدعْهُمْ ، وعِشْ عزيزاً رئيسا

(١٦) الصابئ [٢]

قال يهجو :

يا جامعًا لخِلالٍ ... قبيحةٍ ليس تُحْصَى

نَقَصْتَ من كلِّ فضلٍ ... فقد تكاملتَ نَقْصَا

لَوْ أنَّ للجهلِ شخصًا ... لكُنتَ للجهل شَخْصَا

(١٧) الصاحب بن عبّاد [٣]

قال يذم الشماتة :

وكم شامتٍ بى بَعْدَ موْتى جاهلا ... يَظَلُّ يَسُلُّ السيفَ بَعْدَ وَفاتى

ولو عَلِمَ المسكينُ ماذا يَنالُهُ ... مِنَ الظُّلْمِ بَعْدِى ماتَ قبلَ مَماتى

---

(١) هو القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٦ ، وهو صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ الحرانى ، كان صابئا على دين فلاسفة القدماء من اليونان ، وكان جميل العشرة للمسلمين ، وتكسب بالكتابة فى دواوين بغداد ؛ وكان رئيس الكتاب بها . وصدرت عنه نفائس الرسائل . وله شعر جميل ، ومات سنة ٣٨٤ هـ .

(٣) هو الصاحب إسماعيل بن عباد ، كاتب المشرق ، ووزير آل بويه . توفى سنة ٣٨٥ هـ .

(١٨) الخُوارَزْمى[١]

قال يوصى بتخيّر الأصدقاء :

لا تَصحَبِ الكسلانَ فى حاجاته ... كَمْ صالحٍ بِفسادِ آخرَ يَفسُدُ

عَدْوَى البَليدِ الى الجليدِ سريعةٌ ... والجَمْرُ يُوضَعُ فى الرَّمادِ فيَخْمُدُ[٢]

(١٩) ابن نباتة السعدى[٣]

قال يصف فرسا أدهَمَ أغرَّ مُحَجَّلًا حمله عليه سيفُ الدولة :

يأَيُّها المَلكُ الذى أَخلاقُه ... من خَلْقِهِ ورُوَاؤُه[٤] من رائهِ[٥]

قد جاءنا الطِّرْفُ[٦] الذى أَهديتَه ... هاديه[٧] يعقِد أَرضَه بسَمائهِ

أَوِلايَةً ولَّيْتَنَا ؟ فبعثتَه ... رُمْحًا سَبِيبُ[٨] العُرْفِ عَقْدُ لِوَائِهِ[٩]

نختالُ منهُ على أَغرَّ مُحَجَّلٍ ... ماءُ الدِّياجى قطْرةٌ من مائه

فكأَنَّما لَطَمَ الصَّباحُ جبينَه ... فاقتصَّ منهُ نُفَاضُ فى أَحْشائه

متمهِّلا ، والبرقُ من أَسمائهِ ... متبرقِعًا ، والحُسْنُ من أَكفائه

لا تَعْلَقُ الأَلحاظُ فى أَعطافِهِ ... إلا إذا كَفْكَفْتَ من غُلَوائهِ[١٠]

---

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس توفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٢) الجليد : القوى ، يريد الهمام .

(٣) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدى التميمى أحد فحول الشعراء . توفى سنة ٤٠٥ هـ ببغداد .

(٤) حسن المنظر .

(٥) مصدر راء التى هى مقلوب رأى .

(٦) الكريم من الخيل .

(٧) عنقه .

(٨) شعر العرف .

(٩) شعر عنق الفرس .

(١٠) كفكف : صرف ومنع ، والغلواء : يريد السرعة ، أى لاتراه الأعين إلا إذا منعه راكبه من سرعة جريانه ، وخفف من شدة عدوه .

وقال يعزى صمصام الدولة فى أبيه :

رَأَيْتُ الدَّهرَ يا صَمْصَام أَدْنَى ... فضائِله التَّكَرُّمُ والحياءُ
فخُذ بنصيبك الموفورِ منه ... وخلِّ الحزن يَأْلَفُه النِّساءُ
عَلَى عاداتها جَرَتِ اللَّيالى ... فلا بُؤْسٌ يدومُ ولا رَخاءُ
تعزّ فقَبْلَ يومِ أَبيك غالَتْ ... غوائلُها (١) الملوكَ ولا سَواءُ (٢)
وكنتَ إذا السيوفُ نَبَتْ (٣) وكلَّت ... مَضَيْتَ ، ومِنْ مَضِيَّتِك المَضَاءُ
فإن يَك قد طَوَتْه يدُ اللَّيالى ... فإنَّ الصُّبْحَ يطوِيه المَساء

(٢٠) البُسْتِي (٤)

قال يغرى بالكرم :

بين من يُعطِى ومن يَأْ ... خُذُ فى التَّقْدِيرِ عَرْضُ (٥)
قَيْدُ المُعْطِى سماءٌ ... ويدُ الآخِذِ أَرْضُ
وعلى الآخِذِ أَن يَشْـ ... ـكُرَ ؛ إنّ الشُّكْرَ فَرْضُ

وقال أيضا فى المداولة بين الراحة والتعب :

أَفِدْ طبعَك المكدودَ بالهمِّ راحةً ... يَجِمَّ ، وعَلِّلْهُ بشىءٍ مِنَ المَزْجِ (٦)
ولكن إذا أَعطيتَهُ ذاك فليكُنْ ... بمقدارِ ما تُعطِى الطعامَ من المِلْحِ

---

(١) مصائبها ، والضمير للدنيا .
(٢) السواء : المماثلة ، أى ولا أقول إن الملوك يماثلون أباك فى الشرف والمجد والمنزلة .
(٣) لم تقطع
(٤) هو أبو الفتح البستى على بن محمد الكاتب الشاعر ، أحد المولعين بالتجنيس ، وأحد رؤساء الكتاب فى الدولة الغزنوية ، والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .
(٥) يريد بالعرض : البعد والبون .
(٦) يجم : يستريح ، وترجع إليه قوته ونشاطه .

وقال فى جواب كتاب :

لما أتانى كتابٌ منك مُبْتَسِمٌ ... عن كل برٍّ وفضل غير محدودِ

حكَتْ معانيه فى أثناء أسطره ... آثارَكَ البيضَ فى أحوالىَ السود

وقال أيضا فى هذا الغرض :

ما إن سمعتُ بنُوّارٍ لَهُ ثَمَرٌ ... فى الوقتِ يُمتِعُ سَمْعَ المرْءِ والبصَرا (١)

حتى أتانى كتابٌ منك مبتسمٌ ... عن كلّ لفظ ومعنًى يُشبه الدرَرَا

وكانّ لفظُك من لألائه زَهَرًا، ... وكان معناهُ فى أثنائه ثَمَرا

تسابَقَا، فأصابا القصدَ فى طَلَقٍ ... للهِ من ثَمَرٍ قد سابق الزَّهَرَا ! (٢)

(٢١) الناشئ الأصغر (٣)

قال فى معاملة الصديق :

إنى ليَهْجُرَنى الصَّديقُ تجَنِّيًا ... فأُريه أنّ لهَجْرِهِ أَسْبابَا

وأخافُ إن عاتبتُه أَغْرَيْتُه، ... فأرى لَهُ تركَ العتابِ عِتابا

واذا بُليتُ بجاهلٍ مُتَعاقِلٍ ... يدعُو المُحالَ من الأُمورِ صوَابا

أوليتُهُ مِنّى السكوتَ، وربما ... كان السكوتُ عن الجواب جوَابا

---

(١) النوار : الأبيض من الزهر .

(٢) الطلق : الشوط فى الجرى ، أى فى شوط واحد .

(٣) هو أبو الحسن على بن عبد الله المعروف بالناشئ الأصغر، والشاعر البليغ المتوفى سنة ٣٦٦ هـ.

(٢٢) الأبهرى [١]

مَتَى تَرغَبْ إلى النـاسِ ... تكنْ للنـاسِ مَمْـلوكا
وإن أنتَ تخفَّفْتَ ... على النـاسِ أَحَبُّـوكا
وإن ثقَّلْتَ عافُوكَ ... ومـلُّوكَ وسَـبُّوكا [٢]
اذا ما شِئْتَ أن تُعصَى ... فَمُـرْ مَن ليس يَرْجوكا
وسلْ مَنْ ليس يَخْشاكَ ... فيَدْمَى عِنْـدَهَا فُوكا [٣]

(٢٣) صَردُرّ [٤]

قال يصف كتيبة [٥] :

وفوارِسٍ يصْـلَون نِيران الوغَى ... مِمـا تُثِـير جِيادُهم بِدُخَان
جَنَبُوا [٦] إلى الأعداء كل طِمِرَّةٍ [٧] ... بُنِيتْ مفاصِلُها عَلَى شَيْطان
طَلَعُوا طُلوعَ الشَّمسِ يَغْمُرضوؤُها ... هامَ [٨] الرُّبا ومَغَابن [٩] الغِيطان
فى كل معترِكٍ تُجِيل كُمَاتُهم ... قدْحًا يفُوزُ إذا التَقَى الجُمْعَـان

---

(١) هو أبو الحسن على بن مأمون الأبهرى ، أحد شعراء الجبل وطبرستان .

(٢) عافوك : كرهوك ورغبوا عنك .

(٣) يدمى : يسيل دمه . أى يلقاك من رد سؤالك بما يكون لفمك كالجرح الدامى .

(٤) هو على بن الحسن ، أحد الشعراء المشهورين ، جمع جودة السبك وحسن المعنى . توفى سنة ٤٦٥ هـ بطريق خراسان .

(٥) الكتيبة : الجماعة من الخيل ، تكون للإغارة والغزو

(٦) قادوا .

(٧) الفرس الجواد .

(٨) رءوس .

(٩) ما استتر من الأرض .

فاسألْ جبالَ الرُّومِ لمَّا طَوَّقُوا ... أعناقَهُمْ مِن جَمْعِهِمْ برعَانِ[١]
تركوا المعارِكَ كالمناحِرِ[٢] من مِنًى[٣] ... وجَماجِمَ[٤] الأعداءِ كالقُرْبانِ
فكأنما فَرشَ النَّجيعُ[٥] تِلاعَها[٦] ... ووِهَادَها[٧] بشَقائِقِ النُّعمانِ[٨]

وقال يستهدى مدادا ويصف الدواة والقرطاس والقلم :

إليكَ أشكو مشيباً لاحَ بارِقُه ... فى فرعِ دهْمَاءَ[٩] تجرى بالأساطِيرِ
كانت مفارِقُها مِسكًا مضمَّخَةً ... فمالَها بدَّلَتْ مِنْهُ بكافُورِ[١٠]
ومُقْلَةٍ عُهِدَتْ كَحْلاءَ مَرَّهَا[١١] ... طُولُ البُكاءِ على بِيضِ الطَّوامِيرِ[١٢]
ياحبَّذا هى والأقلامُ وارِدةٌ ... فيها وصادرةٌ سُحْمُ[١٣] المناقيرِ

---

(١) جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل ، ويطلق على الجيش الذى له فضول كرعان الجبال ، وهو المراد هنا .

(٢) المذابح .

(٣) منسك من مناسك الحج .

(٤) جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ .

(٥) الدم .

(٦) جمع تلعة : المرتفع والمنخفض معا من الأرض ، والمراد هنا المرتفع .

(٧) جمع وهدة وهى المنخفض من الأرض .

(٨) نبت أحمر ، واحدتها شقيقة ، سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق ، وأضيفت إلى النعمان ابن المنذر ملك الحيرة لانه حمى أرضا فكثرت فيها .

(٩) الدهماء : التامة السوداء شبه بها الدواة لما فيها من سواد مدادها ، وأن القلم يجرى منها بالسطور .

(١٠) أى أن هذه الدواة كانت سوداء كالمسك لكثرة مدادها الأسود فأصبحت بيضاء كالكافور لذهاب مدادها .

(١١) أخلاها من الكحل .

(١٢) جمع طومار وهو الصحيفة .

(١٣) جمع أسحم وهو الأسود .

كأنما كَرَعَتْ (١) فى ناظِرَىْ رَشَإٍ (٢) أو فى سُوَيْداءِ قلب غير مسرور
تحوى القراطيسُ منها روضةً أُنُفًا (٣) بها مفاخرةُ الظَّلْماءِ للنُّور
فكيف لى بخِضابٍ (٤) تسترد به من الشبيبةِ لونا غيرَ مهجُور
لو أنَّ صِبغَتَه فازَ الشبابُ بها لما رَمَى الدهرُ فَوْدَيهِ (٥) بتَغْيير

(٢٤) السلامى (٦)

قال يصف نهرا نبتت عليه أشجار الرمان :

ونهرٍ تمرحَ الأمواج فيه مِراحَ (٧) الخيل فى رَهَج (٨) العُبَار
إذا اصفرَّت عليه الشمسُ خِلْنَا نَمِير (٩) الماءِ يُمْزَجُ بالعُقَار (١٠)
كأنَّ الماءَ أرصٌ من لُجَيْنٍ (١١) مُغَشَّاةٌ صَفَائحَ (١٢) من نُضَار (١٣)
وأشجارٌ مُمَثَّلَةٌ كؤوسا تَضَاحَكُ (١٤) فى احمرارٍ واخضرار
إذا أبصَرْنَ فى نهرٍ سماءً وهَبْنَ لهُ نُجومَ الجُلَّنَار (١٥)

---

(١) شربت .
(٢) ولد الغزال ، والمراد أنها أخذت من عينيه السواد .
(٣) جديدة ، لم يرعها أحد . (٤) مايختضب به ، أى يصبغ به الشعر .
(٥) مثنى فود وهو جانب الرأس . يقول : لو أن سواد المداد الذى تبعث به هدية إلى يظفر بمثله الشباب لعجز الدهر عن أن يصيب الشعر الذى يصبغ به بشيب .
(٦) هو محمد بن عبد الله السلامى من أشهر شعراء العراق ، ولد ببغداد سنة ٣٣٦ هـ . وقال الشعر فى العشرين من عمره . واتصل بالصاحب بن عباد و بعضد الدولة فبلغ عندهما منزلة حسنة . وتوفى سنة ٣٩٤ هـ .
(٧) نشاط . (٨) الرهج الغبار نفسه . فالإضافة بيانية .
(٩) الماء الناجع فى الرى . (١٠) الخمر .
(١١) فضة . (١٢) ألواح . (١٣) ذهب .
(١٤) أصله تتضاحك ، حذفت إحدى التاءين تخفيفا .
(١٥) زهر الرمان .

(ب) النـــثر

أولا — النـــثر الفنى

(١) ابن العميد [١]

من كتاب له فى التهديد واللوم :

كتابى وأنا مُتَرَجِّحٌ بين طمَع فيك و يأس منك ، و إقبالٍ عليك ، و إعراض عنك ، فإنك تُدِلُّ[٢] بسابق حُرمة . وتَمُتُّ[٣] بسالف خِدمة . أيسرُهما يُوجِبُ رِعاية ، و يَقتضى محافظة وعناية . ثم تشفَعُهما بحادثِ غُلول[٤] وخِيانَة ، وتُتْبِعُهما بآنف[٥] خِلاف ومَعصية . وأدنى ذلك يُحبِط[٦] أعمالَك ، و يَستحَقُّ كلَّ ما يُرعَى لك ، لاجَرَمَ أنى وقفتُ بين مَيلٍ إليك وميل عليك ، أُقدِّمُ رِجلا لِصدِّك ، وأؤخّر أخرى عن قَصْدِك ، وأَبسُطُ يدًا لإصطلامك[٧] واجتياحك ، وأَثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك[٨] ، وأتوقّفُ عن امتثال بعض المأمور فيك . ضِنًّا بالنعمة عندك ، ومنافسةً فى الصنيعة[٩] لديك ، وتأميلا لفَيْئَتِك[١٠] وانصرافك ، ورجاءً لمراجعتك وانعطافك ؛ فقد يَغرُبُ[١١] العقل ثم يؤوب . و يَعزُبُ

---

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنثور توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) الادلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه .

(٣) وتمت : تتوسل وتتصل .

(٤) الغلول : الخيانة .

(٥) آنف ، يريد : جديد .

(٦) ويحبط : يبطل .

(٧) الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح .

(٨) الامتثال ، يريد به الطاعة والانقاذ .

(٩) الصنيعة : الاحسان والتكرم .

(١٠) لفيئتك : لرجوعك ، أى إلى الطاعة .

(١١) يغرب : يذهب و يغيب . و يعزب : مثل يغرب .

اللُّبُّ ثم يَثُوب . ويَذْهَبُ الحَزْم ثم يعود . ويَفسُد العَزْم ثم يَصْلُح . ويُضاع الرأى ثم يُستَدْرك ، ويَسكَرُ المرءُ ثم يَصحو ، ويكْدُرُ الماءُ ثم يصفو ، وكل ضِيقة إلى رخاء . وكلُّ غَمْرة[1] فإلى انجلاء . وكما أنَّكَ أتيتَ من إساءَتك بما لم تَحتسبْهُ أولياؤُك ، فلا بِدْع أن تأتِيَ من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤُك . وكما استمَرَّتْ بك الغفلةُ حتى رَكِبْتَ ما ركِبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنتبه انتباهةً تُبصِرُ فيها قُبحَ ما صنَعت ، وسوءَ ما آثَرْتَ . وسأُقيمُ على رَسمي[2] فى الإبقاء والمماطلة ما صَلُح ، وعلى الاستيفاء[3] والمطاولة ما أمكن ، طمَعًا فى إنابتك[4] ، وتحكيما لحُسن الظنِّ بك . فلستُ أَعْدَم فيما أُظاهِرُه من إعذار[5] ، وأُرادِفُه من إنذار ، احتجاجًا عليك ، واستدراجا لك ؛ فان يَشَإِ اللهُ يرشدْك ، ويأخُذْ بك إلى حَظِّك ويُسَدِّدْك ؛ فانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وكتب إلى أبى عبد الله الطبرى :

كتابى وأنا بحالٍ لَوْ لَمْ يُنغِّص منها الشوقُ إليك ، ولم يُرنِّق[6] صَفوَها النزاعُ[7] نحوك ، لَعَدَدتُها من الأحوالِ الجميلة ، وأعددتُ حَظِّى منها فى النِّعَم الجليلة ، فقد جمعتُ فيها بين سلامةٍ عامّة ، ونِعمةٍ تامّة ، وحَظِيتُ منها فى جسمى بصَلاح ، وفى سَعْيي بنجاح ؛ لكنْ ، ما بَقِيَ أن يَصفوَ لِي عَيْشٌ مع بُعدى عنك ، ويَخلُوَ ذَرْعِى[8] مع خُلُوِّى منك ،

---

(١) الغمرة : التغطية بالماء كموجة البحر تغمر السابح ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا المرة من حدوث الشدائد والمحن والمصائب . (٢) الرسم : أى ما رسمه لنفسه من تأجيل مؤاخذته .

(٣) الاستيفاء : التمهل والانتظار . (٤) الإنابة : الرجوع عما هو عليه .

(٥) من عمل ينفى عذرك فى المعصية ويكفل الرضا عنك .

(٦) يرنق : يكدر . (٧) النزاع نحوك : الميل والشوق إليك .

(٨) يقال : فلان خالى الذرع : أى فارغ القلب من الهموم ويراد بالذرع : الطاقة وسعة النفس والخلق .

ويسوغ لى مطعمٌ ومشربٌ مع انفرادى دونك . وكيف أطمعُ فى ذلك وأنت جزءٌ من نفسى ، وناظمٌ لشملِ أُنسى . وقد حُرِمتُ رُؤيتك ، وعدِمتُ مُشاهدتك . وهل تسكُنُ نفسٌ مُتشعّبةٌ ذاتُ انقسام ، وينفعُ أُنسُ بيتٍ بلا نظام . وقد قرأتُ كتابك — جعلنى اللهُ تعالى فداءك — فامتلأتُ سُرورًا بملاحظةِ خطّك ، وتأمّلِ تصرُّفك فى لفظك . وما أقرظُهما ؛ فكل خصالك مقرَّظ عندى . وما أمدحُهما ؛ فكل امرِك ممدوحٌ فى ضميرى وعقدِى (١) . وأرجو أن تكونَ حقيقةُ أمرِكَ موافقةً لتقديرى فيك ، فانْ كانَ كذلك (٢) وإلّا فقد غطّى هواكَ وما ألقَى على بصرى . (٣)

(٢) الصاحب بن عباد (٤)

رقعة منه إلى القاضى أبى بشر الفضل بن محمد الجرجانى عند وروده باب الرى وافدا عليه :

تحدّثتِ الرّكابُ بسَيْرِ أروَى ... إلى بلدٍ حَطَطْتُ به خيامى (٥)

فكدتُ أطيرُ من شوقٍ إليها ... بقادمةٍ كقادمةِ الحَمام (٦)

أحقٌّ ما قيل أمرُ القادم ، أم ظنٌّ كأمانى الحالم ؟ لا والله ! بل هو درْكُ العيان ، وإنه ونيلَ المُنى سِيّانِ ، فمرحبًا أيها القاضى براحلتك ورَحْلِك (٧) ! بل أهلًا بك

---

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) فى الكلام إيجاز حذف ، والتقدير : فان كان كذلك فحسن .

(٣) هذا شطر بيت تمثل به الكاتب .

(٤) هو كافى الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكاتبهم ، وأحد أعلام البلغاء والكتاب من حلبة ابن العميد فى كتابة الشعر المنثور ، توفى سنة ٣٧٥ هـ .

(٥) أروى : اسم امرأة .

(٦) القادمة : واحدة القوادم ، وهى كبار الريش التى فى مقدم الجناح .

(٧) الراحلة : ما يصلح من الإبل للرحلة والسفر . والرحل ما استصحب فى الارتحال من الأثاث .

وبكافة أهلك، ويا سُرعةَ ما فاح نسيمُ مَسْراك، ووجدنا رِيحَ يوسفَ من رَيّاك.

فَخُثَّ المَطِيَّ تُزِلْ غُلَّتِي بسُقْياك، وتُزِحْ عِلَّتِي بلُقْياك، ونُصَّ على يَومِ الوُصول لنجعلَه عِيدا مشرَّفًا، وتتخذَه مَوْسِمًا ومُعَرَّفًا(١). وردُّ الغُلامَ، أسرعَ من رَجْع الكلام، فقد أمرْتُه أن يَطيرَ على جَناح نَسْر، وأن يتركَ الصَّبا فى عِقالٍ وأَسْر(٢):

سقى اللهُ داراتٍ مررْتَ بأَرضِها ... فأَدَّتْك نحوِى يا زيادُ بنَ عامِرِ

أَصائلُ قُرب أَرْتَجِى أَن أَنالَها ... بلُقياكَ قد زَحْزَحْنَ حَرَّ الهواجرِ (٣)

* * *

وله فصل من كتاب إلى ابن العميد جوابا لكتابه إليه فى وصف البحر:

وصل كتابُ الأُستاذِ الرئيس صادرًا عن شَط البحرِ بوَصْف ما شاهدَ من عجائبِه، وعايَنَ من مراكبِه، ورآهُ من طاعةِ آلاتِها للرِّياح كيف أَرادَتْها، وٱستجابةِ أدواتِها لها متى نادتْها، وركوب الناس أشباحَها والخوفُ بمَرْأى ومَسْمَع، والمنونُ بمَرقَبٍ ومطلَع، والدهرُ بَيْنَ أخذ وترْك، والأرواحُ بَين نجاةٍ وهُلْك، إذا فكَّرُوا فى المكاسب الخطيرة هانَ عليهم الخَطَر، واذا لاحت لهم غُرَرُ المَطالبِ الكثيرةِ حُبِّبَ اليهمُ الغَرَر(٤). وعرَفتُ ما قالَه مِن تَمَنِّيه كَوْنِى عندَ ذلك بحضرتِه، وحصولى

---

(١) المعرف بصيغة اسم المفعول: موقف عرفات، شبه به قدومه عليه.

(٢) أى يسبق فى سرعته ريح الصبا حتى كأنها فى جانبه مأسورة. أخذه من قول امرئ القيس (قيد الأوابد هيكل).

(٣) الأصائل: جمع أصيل، وهو الوقت بين العصر والمغرب. والهواجر: جمع هاجرة، وهى وقت القيظ فى وسط النهار.

(٤) الغرر: الهلاك، يكون من تعريض المرء نفسه له.

على مُساعدته، ومَن رأى بَحْرَ الأستاذِ كيفَ يَزْخَرُ بالفضل، وتتلاطمُ فيه أمواجُ الأدب والعلم، لم يَعْتِبْ على الدهرِ فيما يُفيتُهُ من مَنظَر البحر. ولا فضيلةَ له عندى أعظَمُ من إكبارِ الأستاذ لِأَحْوالِه، وآستعظامِه لأهوالِه، كما لا شَيْءَ أبلغ فى مفاخره، وأنفس فى جواهره، من وصف الأستاذ له؛ فإنى قرأتُ منه الماءَ السَّلْسالَ[1] لا الزُّلال، والسِّحْرَ الحرامَ[2] لا الحلال. وقد علِمَ أنه كتَبَ وَمَا أخْطَر بفكره، سَعَةَ[3] صدره، فلَوْ فَعَلَ ذلك لَرَأى البحرَ وَشَلًا[4] لا يفضُلُ عن التَّبَرُّض[5]، وثَمْدًا[6] لا يكثُرُ عن التَّرشُّف[7].

وكم مِن جبالٍ جئتَ تشهد أنك الـ ... جبال، وبحرٍ شاهدٍ أنك البحر

(٣) الخُوارَزْمِىُّ[8]

كتب الى قاضى سجستان حين نَكَبَهُ أميرُها:

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ ... كلاكله أناخ بآخرينا[9]

فقُلْ للشامتين بنا: أفيقوا ... سيلقَى الشامتون كما لقِينا

---

(١) أى الكلام المتسلسل لا الماء الحقيق البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به.

(٢) أى الحرام على غيرك؛ فلا يستطيع مجاراتك فى إنشائه وقوله (لا السحر الحلال) يريد به الانشاء الذى فى امكان كثير من البلغاء ممن لا يبلغون شأو ابن العميد.

(٣) أى جعل سعة صدره تخطر بباله وفكره.

(٤) الوشل: الماء القليل.

(٥) التبرض: التبلغ بالماء القليل للضرورة.

(٦) الثمد: الماء القليل.

(٧) الترشف: الشرب قليلا قليلا والامتصاص.

(٨) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرّس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ.

(٩) الكلاكل: جمع كلكل. وهو الصدر، أى إذا برك الدهر على قوم بصدر أناخ وبرك أيضا بعد زمن بآخرين.

أما بعد — أيّد الله تعالى القاضى — فإنه لم يُحسِنْ إلى غيره من أساءَ إلى نفسه، ولم يَنْصُرْ أصدقاءه، من خَذَل حَوْباءَه(١)؛ وإنما يُحب المرءُ أخاه بما فَضَلَ عن محبته لرُوحه التى له خيرُها، وعليه ضَيْرُها(٢). وكانت مِحْنَةُ القاضى مِحنةً شَمِلَتْ الأنام، وخصّت الكرام، ووجب على كلّ مَن اشتمّ روائحَ العقل، وميّز بين النقصان والفضل، أن ينفطرَ لها ألمًا، وأن يبكىَ عندها دمًا. وخلَص إلىّ من ذلك ما أضحك منّى الأعداء، وأبكى لى الأصدقاء، حتى رَحِمَنى من كان يحسُدنى، وحتى عجِبَ من جزَعى مَن كان يُصَبِّرُنى، وحتى غضَضْتُ طَرْفا طالما رفعتُه، وقبَضتُ بنانًا طالما بَسطتُه، وحتى عُزِّيتُ كما يُعَزَّى الثَّكلان(٣)، وسُلِّيتُ كما يُسَلَّى اللَّهْفان. وأنا بعد ذلك أستصغر فعلَ نفسى وهى جَزِعَةٌ هَلِعَةٌ(٤)، وأستقلُّ سَعْىَ عَيْنى وهى سخينةٌ دَمِعة(٥). وكان يَجِبُ على مُقتَضَى هذه الجملة، وأساس هذه البِنية، أن أحضُرَ مَجلِسَ القاضى فأُصابِرَه نهارًا، وأساهرَه ليلًا؛ وتكون المحنةُ بينى وبينه أحملها عنه، ويحملها عنّى؛ ولكنّى علِمتُ أنّ والِيَنا هذا رجلٌ ينظُرُ الى الذنب الخَفِىّ، ويتغابَى عن العُذْر الجَلِىّ. وله أُذُنان: واحدةٌ يسمَعُ بها البلاغات وهى كاذبة، وأخرى يَصَمُّ بها عن المعاذير وهى صادقة، وليس بينه وبين العَفْو نَسَب، ولا لَهُ الى التثبُّت طريقٌ

---

(١) الحوباء: النفس. (٢) المحنة: الشدة والمصيبة.

(٣) الثكلان: الفاقد ولده. (٤) جزعة هلعة: شديدة الحزن.

(٥) سخينة دمعة: ساخنة من الوجع، سريعة الدمع.

ولا مذهب . ولو تعرضتُ لسَخَطِه، بعد ما عرفتُه من شَطَطِه[1]، لتحمَّلتُ دونه الوزر فى ظُلمى، ولكنتُ مُقَدَّمتَه إلى ذَمِّى . ومَن قعد تحتَ الرِيبة ركِبَتْه، ومن تعرَّضَ للظِّنَّة نالته .

ومَن دعا الناسَ الى ذَمه ذَمُّوه بالحق وبالباطل

وأقلُّ ما كان ينبعثُ من حُضورى أن يَثِبَ هذا الجبّارُ وَثبةً يصونُ القاضى عنها، ويبتذلُنى بها، فأكونَ قد ضررتُ نفسى، ولم أنفع غيرى؛ فإذا بالمِحنة قد تضاعفَتْ على القاضى ضِعْفَيْن، وتكررت عليه كَرَّتَين؛ يرى بوَلىٍّ من أوليائه داءً لا يقدِرُ على دَوائه، ويرى وَقودًا لا يصلُ إلى إطفائه، ويَتَبيَّنُ فى حالةٍ[2] متصلةٍ بحاله ثُلْمةً[3] لا يُمكِنُ سَدُّها، ومِحنةً لا يستوى له رَدُّها . فلما مَيَّلْتُ بين[4] تخلُّفى آمنا، وحُضورى خائفا، عَدَلْتُ بين طَرَفَىِ الرَّزِيَّة، ووزنتُ بين مِقدارَى المحنة، فرأيتُ أن أميلَ مع السلامة وأقنَعَ مِن العمل بالنِّيَّة، وأغتفرَ عُهدةَ التفصيل لِصحّة الجُملة، فغِبت وكُلِّى غيرَ جسمى شاهِد، وتَحَيَّزْتُ[5] وما أنا إلا مُشاهد، وبعدتُ وقلبى قريب، وباينتُ وقلبى سَهِيم[6]، وأغضيتُ على عَين كلُّها قَذًى[7]، وانطويتُ على صَدرٍ كلُّه شَجًا[8] وانصرفتُ بقلب ساخط راض، وأغمضتُ بجفن ضاحك باك، وقلت :

فان تَسجنوا القسرى لاتسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه فى القبائل[9]

---

(١) شطَطه : جوره وتعدّيه الحدود .
(٢) أى فى حالى المتصلة المرتبطة بحاله .
(٣) الثلمة : فرجة المكسور أو المهدوم .
(٤) ميل بين الأمرين : رجح بينهما ووازن .
(٥) تحيزت ، انحرفت وملت ، وتنحيت من جهة إلى جهة ، يريد : غبت .
(٦) السهيم : المقاسم لغيره بالسهم ، أى أنى مباين لك منفصل عنك ، ولكن قلبى مشترك بينى وبينك .
(٧) القذى : مايدخل فى العين من جسم غريب عنها .
(٨) الشجا ما ينشب ويعلق فى الحلق من شوكة ونحوها .
(٩) تمثل بهذا البيت ، وهو مقول فى خالد ابن عبد الله القسرى والى العراق للخليفة هشام ، ثم غضب عليه الخليفة فسجنه ، وأمر بقتله .

ولقد نَسَجْت فى ذم الظالم حُلَلاً لا يبلُّها الماء ، ولا يخفقها الهواء ، ولا تغطى عليها الظلماء . والمغبون من احتقب[1] الإثم ، والغارم من غَرِم العوض ، والرابح من محُنته فانيه ، ومثوبُته باقية . ولو أنصف الظالم لكان يعزى ، ولو أنصف المظلوم لكان يهنّى .

جعل الله — تعالى — هذه الحادثة بتَرْاءَ عقْماء ليس لها مَدَد[2] ولا ليومها غد ؛ وجعل العمل بها آخر عهدِ القاضى بالعسر ، خاتمة لِقائه لِرَيب الدهر . ولا حَرَمه فيما نزل به مثوبةَ الصابرين ، ولا أخلاه وفيما بعده مِن مزيد للشاكرين — برحمته .

(٤) البديع الهمذانى[3]

كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه :

يعز علىّ أطال اللهُ بقاءَ الرئيس . أن ينوبَ فى خدمته قلمى ، عن قدمى ، ويسعَد برؤيته رسولى ، دونَ وصولى . ويَرِدَ مَشْرَعَ[4] الأُنْس به كتابى ، قبلَ ركابى ؛ ولكن ما الحيلةُ والعوائق جمّة ؟

وعلىَّ أن أسعى وليـ ـس علىَّ إدراكُ النجاح

---

(١) احتقب الشىء : جعله فى حقيبته .

(٢) أى لا يعقبها غيرها .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين ، الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع ، صاحب المقامات المشهورة . نشأ بهمذان ، ونبغ فى الأدب ، وتكسب به لدى الملوك والأمراء ، مات سنة ٣٩٨ هـ .

(٤) المشرع : مكان ورود الماء .

وقد حضرتُ دارَه . وقبّلْت جِدارَه ، وما بى حبُّ الجُدران ، ولكن شغفًا بالقُطّان[1] . ولا عِشقُ الحيطان ، ولكن شوقًا الى السكان . وحين عَدت العوادى عنه أمليتُ ضميرَ الشوق على لسان القلم معتذرا إلى الشيخ على الحقيقة — لا عن تقصير وقع ، أو فُتُور فى الخدمة عرض ، ولكنى أقول :

إن يكن تركى لقصدك ذنبًا فكفى ألا أراك عِقابا

المقامة القريضية

وللهمذانى مقامات[2] معروفة ، وهذه هى المقامة الأولى منها :

حدّثنا عيسى بن هشام قال :

طرحَتْنى النوَى مَطارحَها ، حتى اذا وَطِئْتُ جرجانَ الأقصى ، استظهرت على الأيام بِضياعٍ أجلتُ فيها يَدَ العِمارة ، وأموالٍ وقَفتُها على التجارة ، وحانوتٍ جعلتُه مَثابَة ، ورُفْقَةٍ اتخذتُها صَحابة ، وجعلتُ للدار حاشِيَتَى النهار ، وللحانوت ما بينهما . فجلسنا يومًا نتذاكرُ القريضَ وأهلَه ، وتلقاءَنا شابٌّ قد جلس غيرَ بعيد ، يُنصِتُ وكأنه يفهَم ، ويسكُتُ وكأنه لا يعلَم ، حتى اذا مالَ الكلام بنا مَيْلَه ، وجرَّ الجدالُ

---

(١) القطان جمع قاطن ، وهو الساكن بالمكان المقيم به . وهذا المعنى مضمون قول الشاعر :

أمر على الديار ، ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

(٢) المقامة : مفعلة من القيام ، يقال : مقام ومقامة . ثم سمى بها المجلس ومكان الاجتماع ثم اتسع استعمالها حتى سمى بها ما يقال فى المجلس من خطبة أو موعظة . فقالوا : مقامات الخطباء ومجالس القصاص . فالمقامة صورة خيالية لحديث بين اثنين أو أكثر فى موعظة أو وصف أو بحث أو غير ذلك من الأغراض الأدبية . وأشهر من صاغوا المقامات : الحريرى والهمذانى .

فينا ذَيْلَه ، قال : قد أصبتم عُذَيْقَه ، ووافقتم جُذَيْله[1] ، ولو شئتُ للفظتُ وأفضت ، ولو قلتُ لأصدرتُ وأوردت ، ولحلوتُ الحقَّ فى مَعرِض بيان يُسمِع الصمّ ، ويُنزِلُ العُصم[2] . فقلت : يا فاضل آدنُ فقد مَنَّيْت ، وهات فقد أثنيت ، فدنا وقال : سلونى أجبكم . فقلنا : ما تقول فى امرئ القيس ؟ قال : هو أوّل مَن وقَف بالديار وعَرَصاتها ، واغتدى والطيرُ فى وُكُناتها ، ووصف الخيلَ بصفاتها . ولم يقُل الشعرَ كاسِبًا ، ولم يُجِد القولَ راغبا ، ففَضَل من تفتَّق للحيلة لسانه ، وانْتَجَع للرغبة بنانُه . قلنا : فما تقول فى النابغة ؟ قال : ينسُب اذا عشِق ، ويسلُبُ اذا حَنِق ، ويمدَحُ اذا رغِب ، ويعتذر اذا رهِب ، ولا يرمِى إلا صائبا ، قلنا : فما تقول فى زهير ؟ قال : يُذيبُ الشعرَ والشعرُ يُذيبُه ، ويدعو القولَ والسحرُ يُجيبُه . قلنا : فما تقول فى طَرَفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتُها ، وكنزُ القوافى ومَدينتُها ، مات ولم تظهَر أسرارُ دفائنه ، ولم تُفتَحْ أغلاقُ[3] خزائنه . قلنا : فما تقول فى جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جريرٌ أرقُّ شِعرا ، وأغزرُ غَزْرًا[4] ، والفرزدق أمْتَنُ صَخْرا ، وأكثرُ فخْرا ، وجرير أوجع هجوا وأشرف يوما ، والفرزدق أكثر رويًّا وأكرم قوْما ، وجرير إذا

---

(١) العذيق : تصغير العذق (بكسر العين) وهو كباسة التمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم ، وكذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع ، ومنه المثل : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار نفعه ؛ لأنهم يرجبون عذق النخلة الكريمة ، أى يربطونه بسعفها لئلا ينقصف ، وكانوا يتركون الجذل لتحتك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل ، يكون فى الجبال .

(٣) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلق به الباب (الكالون) .

(٤) غزرا : مصدر غزر .

(٥) أى أنه متنوع القوافى .

نسب أشجى[١] ، واذا ثلب أردى ، واذا مدح أسنى[٢] . والفرزدق إذا افتخر أجزا[٣] ، واذا احتقر أزرى ، واذا وصف أوفى . قلنا : فما تقول فى المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرفُ لفظا ، وأكثر من المعانى حظّا ، والمتأخرون ألطفُ صُنعا ، وأرقُّ نَسْجا . قلنا : فلو أريتَ من أشعارك ، ورويتَ لنا من أخبارك ! قال : خذهما فى معرض واحد . وقال :

إمّا تَرَوْنِى أتَغَشَّى طِمْرا[٤] ... مُتَطَيِّاً فى الضُّرِّ أمرّا إمْرا[٥]

مُضْطَبِناً على الليالى غِمْرا ... ملاقيا مِنها صُروفاً حُمْرا[٦]

أقصى أمانِىَّ طلوعُ الشِّعرَى ... فقد غَبِنّا بالأمانى دَهْرا[٧]

وكان هذا الحُرُّ أعلَى قَدْرا ... وماءُ هذا الوجه أغلى سِعرا[٨]

ضربتُ للسَّرّا قبابا خُضرا ... فى دار دارا وإيوان كِسرى[٩]

فانقلبَ الدهرُ لبطنٍ ظَهْرا ... وعاد عُرْفُ العيش عندى نُكْرا

لم يَبْقَ من وَفْرِىَ إلا ذِكرى ... ثم إلى اليوم هُلُمَّ جَرّا[١٠]

---

(١) لغة فى شجا ، بمعنى : أحزن .

(٢) أسنى : رفع ، أى رفع الممدوح .

(٣) مسهل أجزأ بالهمزة : بمعنى كفى وأغنى .

(٤) الطمر : الثوب البالى .

(٥) أمرا إمرا : منكرا عجبا .

(٦) الحمر : جمع حمراء ، يريد صروفا شديدة الوقع .

(٧) الشعرى : نجم يطلع فى الصيف . ولا يحتاج الفقير العارى فيه إلى دثار .

(٨) يريد بالحر : نفسه .

(٩) السرا : السراء وهى : الرخاء . ودارا وكسرى من ملوك الفرس . وإيوان كسرى : بهو عظيم كان فى قصره الأبيض بالمدائن ، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إيوان بحذف يائه لضرورة الشعر .

(١٠) الوفر : الغنى وكثرة المال . وذكرى الشىء : التحدث عنه بعد زواله .

لولا عجوز لى بسُرَّ مَنْ را وأفرخٌ دونَ جِبال بُصرى (١)

قد جَلَبَ الدهرُ عليهم شَرًّا قتلتُ ياساداتُ نفسى صَبْرا

قال عيسى بن هشام . فأنَلْتُه ما تاحَ (٢) ، وأعرضَ عنّا فراح . فجعلتُ أنفيه وأُثبتُه ، وأنكره وكأنّى أعرفه ، ثم دلَّتْنِي عليه ثناياه ، فقلت : الإسكندرىُّ والله ! فقد كان فارقنا خِشفا (٣) ووافانا جِلفا (٤) . ونهضتُ على أثره ، ثم قبضتُ على خَصْره ، وقلت : أَلَسْتَ أبا الفتح ؟ "ألم نُرَبِّكَ فينا وليدًا ، ولبثتَ فينا من عُمُرِكَ سنين" ؟ فأى عجوز لكَ بسرَّ مَنْ رأى ؟ فضحِك إلَىَّ ، وقال :

ويحك ! هـذا الزَّمان زُورٌ فلا يَغُرَّنَّكَ الغُرُورُ (٥)

لا تلتزِمْ حالةً ولـكن دُرْ باللياالى كما تدورُ

---

(١) سرّ من را : اسم لمدينة (سر من رأى) التى بناها المعتصم العباسى . شمالى بغداد ، وبصرى : بلدتان ، واحدة قرب بغـداد ، ولعلها هى التى يريد ، والثانيـة من بلاد حوران بالشام . يعنى أن له أما أو زوجا عجوزا بسر من رأى ، وأولادا صغارا بقرب جبال بصرى ، ولولا هؤلاء لقتل نفسه

(٢) ما تاح : ما تهيأ وأمكن .

(٣) الخشف : ولد الظبية ، ويريد فارقنا صغيرا .

(٤) الجلف : الرجل الجافى .

(٥) الغرور : الدنيا . لأنها تغر بمظاهرها .

ثانيا — النثر العلمى التأليفى

(١) ابن جنى[١]

قطعة من كتابه " الخصائص " :

باب القول على اللغة وما هى ؟

أما حدُّها فإنها أصواتٌ يُعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم . هذا حدُّها . وأما اختلافها فلما سنذكره فى باب القول عليها : أمُواضَعَةٌ[٢] هى، أم إلهام. واما تصريفُها[٣] ومعرفةُ حروفها فإنها فُعَلَةٌ[٤] من لَغَوتُ أى تكلّمْتُ . وأصلُها لُغَـة كَكُرَةٍ وقُلَة وثُبَـة كلُّها لامَاتُها واواتٌ، لِقولهـم كَرَوْتُ بالكرة ، وقَلَوْتُ بالقُلَة، ولِأنّ ثبة كأنها مِن مقلوب ثابَ يَثوب. وقد دَلَلْتُ على ذلك وغيرِه مِن نحْوه فى كتابى " سر الصناعة ". وقالوا : لهـا لُغَاتٌ ولُغُونَ، ككُرات وكُرُونَ ، وقيـل منها : لَغِىَ يَلْغَى : اذا هَذَى قال :

وربَّ أسراب حَجيج كُظَّمِ عن اللَّغَا ورَفَثِ التَّكلُّمِ

وكذلك اللَّغو ، قال الله سبحانه وتعـالى : ﴿ واذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كراما ﴾ أى بالباطل . وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صَهْ فقد لغا » أى تكلم . وفى هذا كاف .[٥]

---

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصـلى النحوى اللغوى واحد زمانه فى التصريف والبحث فى فقه اللغة وخصائصها (كان أبوه مملوكا روميا) وله تأليفات كثيرة وتوفى سنة ٣٩٢ هـ .

(٢) المواضعة : الاتفاق والاصطلاح . يقال : واضعته على كذا ، اتفقت معه عليه .

(٣) القلة : عودان يلعب بهما الصبيان .

(٤) الثبة : وسط الحوض ، يثوب إليه الماء من الجوانب .

(٥) أى ما يكفى .

(٢) الجرجانى[1]

فصل من كتابه " دلائل الإعجاز " :

وإذ قد عرفتَ هذه الأصولَ والقوانين فى شأن فصل الجمل ووصلها — فاعلم أنا قد حصّلنا من ذلك على أنّ الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالُها مع التى قبلَها حالُ الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكَّد؛ فلا يكونُ فيها العطفُ ألبتة؛ لشبهِ العطف فيها — لو عطفتَ — بعطفِ الشىء على نفسه، وجملة حالُها مع التى قبلَها حالُ الاسم يكون غيرَ الذى قبلَه إلا أنَّهُ يشاركهُ فى حُكم، ويدخلُ معه فى معنى: مثلُ أن يكونَ كِلا الاسمين فاعلًا أو مفعولًا أو مضافا إليه؛ فيكون حقّها العطف، وجملة لَيْستْ فى شىء من الحالين، بل سبيلُها مع التى قبلَها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكون منه فى شىء؛ فلا يكونُ إيّاه ولا مُشاركا له فى معنى، بل هو شىءٌ إن ذُكِرَ لم يُذكرْ إلا بأمر ينفرد به، ويكون ذكرُ الذى قبله وتركُ الذكر سواءً فى حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا؛ وحقُّ هذا تركُ العطف ألبتة. فتركُ العطف يكون إما للاتصال الى الغاية، أو الانفصال الى الغاية؛ والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حالٌ بَيْن حالين، فاعرفه.

---

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجانى، أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حتى ليحق أن يكون هو الواضع له على النظام الذى نعرفه، ولم يزد عليه السكاكى إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينهما وتوفى سنة ٤٧١ هـ.

(٣) الحريرى[1]

وللحريرى فى كتابه " درة الغواص ، فى أوهام الخواص " :

ويقولون : هذا بعد اللُّتيا والتى ؛ فيضُمُّونَ اللَّامَ الثانيـةَ من اللتيا ، وهو لحنٌ فاحشٌ ، وغلطٌ شائن ، إذ الصوابُ فيها اللَّتيَّا (بفتح اللام) لأن العربَ خَصَّتِ الذى والتى عند تصغيرهما وتصغير أسماءِ الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت ألفًا فى آخرها عِوَضًا عن ضمّ أوّلها ؛ فقالوا فى تصغير الذى والتى : اللَّذَيَّا واللَّتَيَّا ، وفى تصغير ذاك وذلك ذَيَّاكَ وذيالك أنشدَ ثعلب :

بِذيّالِكَ الـوادِى أَهِيم ، ولم أقل ... بِذيَّالِكَ الوادى وذَيَّاك مِنْ زُهـد

ولكن اذا ما حُبَّ شَيْءٌ تَوَلَّعتْ ... به أحرُفُ التصغيرِ من شدة الوجْد

أراد أن التصغير قد يقع من فرط المحبـة ولطف المنزلة ؛ كما يقال : يا بُنَىَّ ، ويا أُخَىَّ . وقوله : إذا ما حُبَّ شىءٌ يعنى به أُحِبَّ لأنه يقال حَبَّ الشىءَ وأحبَّه بمعنى[2] ؛ كما جاءَ فى المثل السائر : مَنْ حَبَّ طَبَّ[3] ، إلَّا أنهم آختاروا أن بَنَوُا الفاعل من لَفْظةِ أحَبَّ ، وبَنَوُا المفعولَ من لَفْظة حَبَّ ؛ فقالوا للفاعل : مُحِبٌّ ، وللمفعول محبوب ، ليعادلوا بين اللفظين فى الاشتقاق منهما ، والتفريع عليهما . على أنه قد سمع فى المفعول محب ، وعليه قول عنترة :

ولقد نَزَلْتَ فلا تَظُنِّى غيرَهُ ... منى بمنزلة المُحَبِّ المُكْرَمِ

* * *

(١) هو أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء . توفى سنة ٥٢٢ هـ . وأشهر آثاره " المقامات " المعروفة باسمه .

(٢) أى بمعنى واحد .

(٣) طب هنا : تأتّى للأمور وتلطف . أى من أحب شيئا استعمل الأناة والرفق ، واستخدم الحيلة رغبة فى الحصول عليه .

ويقولون إذا أصبحوا : سَهِرْنا البارِحة ، وسَرَيْنَا البارِحةَ . والاختيار فى كلام العرب — على ما حكاه ثعلبٌ — أن يقال مذ لدن الصبح إلى أن تزول الشمس : سَرَيْنا الليلة ، وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار : سَهِرْنا البارحة .

ويتفرع على هـذا أنهم يقولون من انتصاف الليل إلى وقت الزوال : صُبِّحْتَ بِخَيْر ! وكيف أَصْبَحْتَ !

(٤) المسـعودى[1]

قطعة من مقدمة كتاب " التنبيه والإشراف " :

وقد ذكرنا فى كتابنا هذا وما سلف قبله من كتبنا التى هذا سابعها أخبار العالم وعجائبَه ، ولم نُخْله من دلائل تَعْضُدُها ، وبراهين تؤيدها عَقْلا وخَبَرا ، وغير ذلك مما استفاض واشتهر ، وشاهدٍ من الشِّعْر على حَسَب الشىء المذكور وحاجتِه إلى ذلك .

ونحن وإن كان عصرُنا متأخرًا عن عصر من كان قبلَنا من المؤلفين ، وأيامُنا بعيدةً عن أيامهم فنرجو ألا نُقَصِّر عنهم فى تصنيفٍ نَقْصِدُه ، وغرضٍ نَؤُمُّه[2] ، وإن كان لهم سبقُ الابتداء ، فلنا فضيلة الاقتداء ، وقد تشترك الخواطر ، وتتفق الضمائر ، وربما كان الآخِرُ أحسنَ تأليفا ، وأتقنَ تصنيفاً لحُنكةِ التجارب ، وخشية التتبع ،

---

(١) هو العالم المؤرخ الرحالة البحاثة أبو الحسن على بن الحسين المسعودى ، سليل عبد الله ابن مسعود الصحابى ، صاحب كتاب مروج الذهب ، والتنبيه والإشراف ، وهما مطبوعان . وله كثير من الكتب غيرهما . توفى سنة ٣٤٦ هـ .

(٢) نؤمه : نقصد إليه .

والاحتراس من مواقع الخطأ . ومن هاهنا صارت العلومُ نَامِيةً غيرَ متناهية لوجود الآخرِ ما لا يجدُه الأوّل، وذلك الى غير غاية محصورة، ولا نهاية محدودة، وقَدْ أَخْبرَ اللهُ عَزَّ وجل بذلك فقال : «وفوقَ كُلّ ذِى عِلم عَلِيم» على أن مِن شِيم كثير مِن الناس الإطراءَ للمتقدمين، وتعظيمَ كتبِ السالفين، ومدحَ الماضى، وذمَّ الباقى . وإن كان فى كتب المُحْدَثين ما هو أعظمُ فائدة وأكثرُ عائدة (١) . وقد ذكر أبو عثمان عمرو آبن بَحر الجاحظ أنه كان يؤلف الكتاب الكثيرَ المعانى الحسنَ النظم فينسُبُه الى نفسه فلا يَرى الأسماع تُصغى اليه، ولا الإرادات تيمِّمُ نحوه. ثم يؤلف ماهو أنقصُ منه مرتبةً وأقل فائدة، ثم ينحله عبدَ الله بن المقفع أو سهلَ بن هرون أو غيرهما من المتقدمين، ومن قد طارت أسماؤهم فى المصنفين، فيقبلون على كَتْبِها (٢)، ويسارعون إلى نسخها، لا لشىء إلا لنسبتها إلى المتقدمين، ولِما يداخل أهل هذا العصر من حسدِ من هو فى عصرهم، ومنافسته على المناقب التى يخص بها ويعنى بتشييدها . وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس . وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين أَعطَوْا كل شىء حقَّه من العدل، ووفَّوْه قِسْطه من الحق؛ فلم يرفعوا المتقدم إذ كان ناقصا، ولم ينقصُوا المتأخر إذ كان زائدا . فلمثل هؤلاء تُصَنَّفُ الكتب، وتدوّن العلوم، وسنذكر الآن الأُمَمَ السبعَ السالفةِ فى سابق الدهر ولغاتِهم ومواضع مساكنهم وغير ذلك .

---

(١) العائدة : المنفعة .

(٢) الكتب : الكتابة .

(٥) الماوَردىُّ[1]

فصل من أدب الوزير :

الإقدام من مزايا الوزير وصفاته

وأما الشرط الثالث — وهو الإقدام — فَهُو فى السياسة أَوْفَى شَرْطَيْها، وفى الوزارةِ أكْفَى نَظَرَيْها، لِظَفَر الإقدام، وخيبة الإحجام . وقد قيل فى منثور الحِكَم : بالإقدام ترتفع الأَقدام ، وإنما يجب الإقدام اذا ظهرتْ أسبابُه، وقُصِدت أبوابُه، فى إبّانه، وعند إمكانه، كما قال الشاعر :

إذا ما أتيتَ الأمرَ من غيرِ بابه ضَلَلْتَ و إن تَقْصِدْ الى البابِ تَهْتَدى

ثم يجمع بعدهما بين حزمه وعزمه ؛ فالحزمُ تدبيرُ الأمور بموجب الرأى، والعزم تنفيذها للوقت المقدّر لها . فاذا تكاملتْ شروط الإقدام من هذه الوجوه الأَربعة لم يَمْنع من الظفر إلا عوائقُ القَدَر . وقد قيل فى قديم الحِكَم : اذا طَلَبَ اثنان حظا ظفِرَ به أفضلُهما دِينًا . فان استَوَيَا فى الدّين ظفِرَ به أَفْضَلُهما مُروءةً، فان استويا فى المروءة ظفِر به أكثرُهما أَعوانا، فان استويا فى الأَعوان ظفِر به أسعدُهما جَدًّا . فان انثَلَم من شروط الإقدام أحدُها صار الإقدامُ تغريرا يمنعُ من حَزْم ذِى اللُّبّ، ويصُدُّ عن الظَّفَر، ما لم يَغْلِبْ قَدَر، فما الأَقدارُ بقياس معتبر، وقد قال حكيم الهند : السبب الذى يُدرِكُ به العاجزُ حاجتَه هو الذى يحول بين الحازم وطَلِبَته . وقد قيل

---

(١) هو قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ . وهو صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، وكتاب الوزير ، وهما مطبوعان ؛ وله كثير من الكتب غيرهما .

لبُزُرْجَمِهْر : ما أعجبُ الأشياء؟ قال : نُجْحُ الجاهل وإكداء[1] العاقل . ودخل رجلٌ على عبد الله بن طاهر . فقال له : أيها الأمير! ما الذى لا يُحْتاج فيه إلى عزم ولاحزم؟ فاستمهله فى جوابه ثلاثة أيام فعاد إليه بعدها ، وسأله فقال له : الدولة[2]، فقال : صدقتَ . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل فى منثور الحكم : الحظ يأتى من لا يأتيه .

(٦) ابن حمدون[3]

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية، وهو فى سياسة الوزراء والكُتّاب وأتباع السلطان

قالوا : من صَحِبَ الملوكَ وقَرُبَ منهم . ينبغى أن يكون جامعا للخلالِ المحمودة . فأوّلُها العقلُ ؛ فانه رأسُ الفضائل ، والعلمُ فإنه من ثمارِ العقل ، ولا تَليق صحبةُ الملك بأهل الجهَل . والود ؛ فانه خلق من أخلاق النفس ، يُولّده العدل فى الإنسان الذى وَدّه . والنصيحة ؛ وهى تابعة للوُدّ ، وهو الذى يبعث عليها . والوفاءُ ؛ فانه شيمة لاتَتِمُّ الصحبة إلا بها . وحِفْظُ السر ؛ وهو من صدق الوفاء . والعفةُ عن الشهواتِ

---

(١) أكدى : لم يظفر بحاجته .

(٢) الدولة يريد بها هنا : الحظ . والدولة مايتداول فيكون لهذا مرة ولذاك أخرى ، فتطلق على الغلبة والحظ ، ودول الأيام : تقلباتها التى تعين الرجل يوما وتعين عليه يوما

(٣) هو كافى الكفاة أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى الكاتب الأديب صاحب التذكرة فى الأدب والسياسة توفى سنة ٤٩٥ هـ .

والأموال ، والصَّرامةُ ؛ وهى شدّة القلب ، فإن الملوكَ لا يصحَبُهم أولو النُّكول ، ولا ينالُ الجسيمَ من الأمور إلا الشجاع النجد . والصدقُ ؛ فانه من لا يصدُق يكذبُ ، ومَضَرّة الكذِبِ لا تُتلافَى . وحسنُ الزِّى والهيئة ؛ فان ذلك يزيد فى بهاء الملك ، والبِشْرُ فى اللقاءِ ؛ فإنه يتألَّف به قلبَ مَن يُلاقيه ، وفى الكُلُوح[1] تنفيرٌ عن غير ريبة ، والأمانةُ فيما يُستحفَظ ، ورعايةُ الحق فيما يُستودَع ، والعدلُ والإنصافُ ، فان العدل يُصلِح السرائِر ، ويجمِّلُ الظواهر ، وبه يُخاصِمُ الإنسانُ نفسَه إذا دعته إلى أمر لا يَحسُن رُكُوبُه . وينبغى له أن يُجَانِبَ أضداد هذه الخِلال ، وألَّا يكون حسودًا ؛ فان الحسدَ يُفسِد ما بينه وبين الناس ، وليُفرِّق بين الحسدِ والمنافسة ؛ فانهما يشتبهان على من لا يعقل ، وأن يخلوَ من اللَّجَاج والمَحك[2] ؛ فان ذلك يضُرّ بالأفعالِ إذا وقع فيها اشتراك ، وألا يكون بذَّاخا[3] ولا متكبرا ، فان البذخَ من دلائل سقوطِ النفس وشدّة الطيْش والبعدِ عن الصبر .

وينبغى ألا يكونَ قَدْمًا[4] وَخِمًا[5] ولا ثقيلَ الرُّوح ؛ فانها صفةٌ لا تليق بمن يُلاقى الملوك ، وأبدًا تكون سببا للمَقْتِ مِنْ غير جُرْم . وبالجملة فالفضائلُ والأخلاقُ المحمودة كثيرة ، وأوْلى الناس بطلبِ غاياتها الملوك ، كما هم الغاية ، ثم أتباعهم ثم سائر الرعية .

---

(١) الكلوح : الإفراط فى العبوس والكشر عن الأنياب .

(٣) البداخ : المتعاظم المتكبر يظهر التعالى على الناس .

(٤) القدم : العاجز عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٥) الوخم ككتف : الرجل الثقيل .

الأدب فى مصر والشام

(١) الشعر

(١) المتنبى[1]

قال فى صباه من قصيدة :

أَرَقٌّ على أرقٍ ومِثْلِيَ يأرَقُ ... وجَوًى يزيدُ وعَبْرَةٌ تترقْرَقُ

جَهْدُ الصَّبابةِ أن تكون كما أُرَى : ... عَيْنٌ مُسهَّدةٌ ، وقلبٌ يخفِقُ

ما لاح بَرقٌ أو ترنَّمَ طائرٌ ... إلّا انثنيتُ ، ولى فؤاد شيِّق

جَرَّبتُ من نارِ الهوى ما تنطفِى ... نارُ الغَضَى ، وتكِلّ عما يُحرِق[2]

وعذَلتُ أهلَ العِشق حتى ذقتُه ... فعجِبتُ كيف يموت مَن لا يعشَق

وعَذَرتهم ، وعرفتُ ذنبى أننى ... عَيَّرتُهم ، فلقِيتُ منه ما لَقوا

أَبَنِى أبِينا نحنُ أهلُ منازِل ... أبدًا غُراب البَيْن فيها ينعَق[3]

---

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعانى الدقيقة والمخترعة . ولد بالكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه اتهم وهو مقيم بينهم بأنه يدعى النبوّة ؛ فسجنه والى حمص . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام وخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب الى مصر فمدح كافورا الأخشيدى . ثم هجاه ، وفرّ الى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال العظيمة فخرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى ما تنطفى نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهم إخوة من أبيهم آدم : أى نحن أهل منازل لا يلبثون أن يتفرقوا ، وكنى عن الفراق بنعق غراب البين فيهم .

نبكي على الدنيا ، وما من معشر ... جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

أين الأكاسرة الجبابرة الألى ... كنزوا الكنوز ، فما بقين ولا بقوا

من كل من ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى ، فحواه لحد ضيق (١)

خرس اذا نودوا ، كأن لم يعلموا ... أن الكلام لهم حلال مطلق

فالموت آت ، والنفوس نفائس ... والمستعز بما لديه الأحمق

والمرء يأمل ، والحياة شهية ، ... والشيب أوقر ، والشبيبة أنزق

ولقد بكيت على الشباب ولمتى ... مسودة ، ولماء وجهي رونق (٢)

حذرا عليه قبل يوم فراقه ... حتى لكدت بماء جفني أشرق (٣)

وقال من قصيدة يصف حربا :

أتوك يجرون الحديد كأنما ... سروا بجياد ما لهن قوائم (٤)

اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ... ثيابهم من مثلها والعمائم (٥)

تميس بشرق الأرض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمازم (٦)

---

(١) ثوى الرجل : هلك .

(٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . ويريد برونق ماء الوجه : النضارة .

(٣) قال هذه القصيدة وهو شاب ؛ ولكنه يبكي الشباب حذرا من زواله .

(٤) أي لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .

(٥) البيض : السيوف أي إذا برقوا بكثرة ما عليهم من الحديد المجلو لم تميز السيوف منهم ؛ لأن ثيابهم من الحديد أيضا ، ولأن عمائمهم من الحديد أيضا : يريد بالثياب الدروع ، والعمائم الخوذ والبيضات .

(٦) الخميس : الجيش . والجوزاء : برج في السماء . الزمازم : الأصوات المختلفة التي لا تفهم أي أتوك بجيش عظيم يملأ المشرق والمغرب وتصل أصواته إلى السماء .

تجمّعَ فيه كلُّ لِسْنٍ وأُمّةٍ ... فما تُفهِمُ الحُدّاثَ إلا التراجمُ (١)

فلله وَقْتٌ ذوّبَ الغِشُّ نارُه ... فلم يبقَ إلا صارمٌ أو ضُبارِمُ (٢)

تَقَطَّعَ ما لا يَقطَعُ الدِّرعَ والقَنا ... وفرّ مِن الفُرسان مَن لا يُصادِمُ (٣)

وقفتَ وما فى الموتِ شكٌّ لواقفٍ ... كأنك فى جَفْنِ الردى وهو نائمُ (٤)

تمُرُّ بك الأبطالُ كَلْمَى هزيمةً ... ووجهُكَ وَضّاحٌ وثَغْرُكَ باسمُ (٥)

تجاوزتَ مقدارَ الشجاعةِ والنُّهى ... إلى قولِ قَوْمٍ : أنتَ بالغيبِ عالمُ (٦)

ضَمَمْتَ جناحَيْهم على القلبِ ضمّةً ... تموتُ الخوافى تحتَها والقوادمُ

يضرِبُ أَنّى الهاماتِ، والنصرُ غائبٌ ... وصارَ الى اللَّبّاتِ، والنصرُ قادمُ (٧)

حقَرْتَ الرُّدَينيّاتِ حتى طرَحتَها ... وحتى كأنّ السيفَ للرمحِ شاتمُ (٨)

---

(١) اللسن : اللغة . والحداث : الجماعة يتحدثون . أى أنه مؤلف من أمم مختلفة الألسن : كالروم ، والصقالب ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .

(٢) يريد بالغش الضعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة فقلت وتكسرت ، وأما الرجال فهلكوا أو فروا ؛ فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .

(٣) أى تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .

(٤) أى كأن الردى : وهو الموت . مطبق عليك من جميع النواحى انطباق الجفن على العين ؛ مما لا يجعل للمرء مجالا للشك فى أن الموت واقع لا محالة ؛ فكان ينبغى لمن هذه حاله أن يفر ، أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .

(٥) كلمى : مجروحة مهزومة ؛ فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان وجهك وضاحا وثغرك باسما تقابل الموت مستبشرا أنفة بنفسك وشجاعة فى جبلتك .

(٦) أى كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .

(٧) أى لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة إلى اللبة ، وهى موضع القلادة من الصدر ، فقبل الضرب كان النصر غائبا ، وبعده جاء النصر .

(٨) الردينيات : الرماح . ومن قاتل بها كان بينه وبين عدوه بعد ، والضرب بالسيف شرف . فالشجعان تقاتل بالسيوف ، لأنها لا تبالى مقاربة الاعداء .

ومَن طَلَب الفَتْحَ الجليلَ فإنَّما ... مفاتيحُه البيضُ الخفافُ الصَّوارِمُ
نَثَرْتَهُمُ فوقَ الأحَيْدب (١) نَثْرةً ... كما نُثِرَتْ فوقَ العَروسِ الدَّراهم

وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربته للروم، وبناءه مَرْعَشًا (٢):

فَدَيْناكَ مِن رَبع، وإن زدتَنا كَرْبا ... فانك كنتَ الشرقَ للشمسِ والغَرْبا
وكيف عرفْنا رسمَ من لم يَدَع لنا ... فؤادًا لِعرفان الرُّسوم ولا لُبَّا
نزلْنا عَنِ الأكوار نمشي كرامةً ... لِمَن بانَ عنه أن نُلِمَّ به رَكْبا (٣)
نذُمّ السحابَ الغُرَّ في فعلها به ... ونُعرِض عنها كلّما طلعتْ عَتْبا (٤)
ومن صَحِب الدنيا طويلا تقلَّبتْ ... على عينه حتى يَرَى صِدْقها كِذْبا
وكيف التِّذاذي بالأصائل والضُّحا ... اذا لم يعُدْ ذاك النسيمُ الذي هبّا (٥)
ذكرتُ به وَصْلًا كأن لم أفُزْ به ... وعيشًا كأني كنتُ أقطَعُهُ وَثْبا
وفتّانةَ العينين قتّالةَ الهوى ... اذا نفحتْ شَيْخا روائحُها شَبّا
لها بَشَرُ الدُّرِّ الذي قُلِّدَتْ به ... ولم أرَ بَدْرًا قبلَها قُلِّدَ الشُّهْبا (٦)
فياشوقُ ما أبقى! ويالي مِن النَّوى! ... ويادمعُ ما أجرَى! ويا قلبُ ما أصبى
لقد لعِبَ البَيْنُ المُشِتّ بِها وبي ... وزَوَّدني في السيْر ما زَوَّد الضَّبا (٧)
ومن تكُن الأسدُ الضَّواري جُدودَه ... يكن ليلُه صُبْحا ومطعَمُه غَصْبا

---

(١) الأحيدب: جبل بجهة بلدة الحدث. (٢) بلد بالشام قرب أنطاكية.
(٣) الأكوار: جماعة الابل. (٤) أي تذم السحاب لأنها عفت آثاره.
(٥) أي الذي هب قديما أيام كنا نسكنه مع الحبيب.
(٦) البشر: جمع بشرة. وهي ظاهر الجلد.
(٧) ما زود الضب: أي زودني العدم، لأن الضب يعيش في البادية بلا ماء او زودني الحيرة، لأنه اذا خرج ضل.

ولستُ أُبالى بعد إدراكى العُلا ... أكانَ تُراثًا ما تناولتُ أم كَسبا

فرُبَّ غُلامٍ علّم المجدَ نفسَه ... كتعليم سيفِ الدولةِ الدولةَ الضَّربا

اذا آلدولةُ آستكفتْ به فى مُلِمَّة ... كفاها، فكان السيفَ والكفَّ والقلبا

تُهابُ سيوفُ الهند، وهى حدائد ... فكيف اذا كانت نِزاريةً عُربا؟(١)

ويُرهَبُ نابُ الليثِ، والليثُ وحدَه ... فكيف اذا كان الليوثُ له صَحْبا؟

ويُخشَى عُبابُ البحرِ، والبحرُ ساكنٌ ... فكيف بمن يَغشى البلادَ اذا عَبّا؟(٢)

عَليمٌ بأسرار الديانات واللُّغَى ... له خطراتٌ تفضَحُ الناسَ والكُتْبا(٣)

فبوركتَ مِن غيثٍ كأن جلودَنا ... به تُنبِتُ الدِّيباجَ والوشْىَ والعَصْبا(٤)

ومِن واهبٍ جَزْلًا، ومِن زاجرٍ: هَلَا، ... ومن هاتكٍ دِرْعا، ومن ناثرٍ قُضْبا(٥)

هنيئًا لأهل الثغر رأيُكَ فيهمُ ... وأنك حزبُ الله صِرتَ لهم حِزبا(٦)

وأنك رُعتَ الدهرَ فيها وريبَه ... فإن شكّ فليُحدِثْ بساحتها خَطْبا(٧)

---

(١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لاعقل له، فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزار به كسيف الدولة .

(٢) عب : ماج وتحرك .

(٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليم بالديانات واللغات، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتبهم، لأنهم لم يبلغوا مقداره فى العلم .

(٤) العصب : ضرب من البرود . أى لأنك تخلعها علينا فنلبسها .

(٥) هلا : لفظ تزجر به الخيل . والقصب : الأمعاء . أى فبوركت من رجل يعطى الجزيل، ويزجر الخيل للقتال، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه، ويشق البطون فينثر أمعاءها .

(٦) هنيئا حال من فعل محذوف، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .

(٧) ريب الدهر : صروفه وأحداثه . وضمير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام، والكلام تحد للدهر .

فيومًا بخيلٍ تطرُدُ الرومَ عنهمُ ... ويوما بجُودٍ تطرُدُ الفقرَ والجَدْبا

سراياك تَتْرى والدُّمُستُقُ هارب ... وأصحابُه قَتْلى وأموالُه نُهْبى(١)

أتى مَرْعَشًا يستقربُ البُعْدَ مُقْبِلًا ... وأَدْبَرَ إذ أقبلتَ يستبعد القُرْبا

كذا يَتركُ الأعداءَ من يكرَهُ القنا ... ويَقْفُلُ مَن كانتْ غنيمتُه رُعْبا(٢)

وهل رَدَّ عنه باللُّقان وقُوفُه ... صدورَ العوالي والمُطَهَّمَةَ القُبّا(٣)

مَضَى بعدَ ما آلتفَّ الرِّماحانِ ساعةً ... كما يَتَلَقَّى الهُدْبُ فى الرَّقْدة الهُدْبا(٤)

ولكنَّه وَلَّى وللطَّعْن سَوْرَةٌ ... اذا ذكرتْها نَفْسُهُ لَمَس الجَنْبا

وخلَّى العذارى والبطاريقَ والقُرى ... وشُعْثَ النصارى والقرابينَ والصُّلْبا(٥)

أرَى كُلَّنا يَبْغِى الحياةَ لنفسه ... حريصا عليها مُسْتَهامًا بها صَبّا

فحُبُّ الجَبانِ النَّفْسَ أوردَه البقا ... وحُبُّ الشُّجاع النفسَ أوردَه الحَرْبا

ويختلفُ الرِّزقانِ، والفعلُ واحدٌ، ... الى أن تَرَى إحسانَ هذا لِذَا ذَنْبا

فأَضْحتْ كأنَّ السُّورَ من فَوْقِ بدئِه ... الى الأرض قد شَقَّ الكواكبَ والتُّربا(٦)

تَصُدُّ الرياحُ الهُوجُ عنها مخافةً ... وتفزع فيها الطيرُ أن تَلْقُطَ الحَبّا(٧)

وتَرْدِى الجيادُ الحردُ فوقَ جِبالها ... وقد نَدَفَ الصِّنَّبْرُ فى طُرُقِها العُطْبا(٨)

---

(١) الدمستق : من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم . ونهبى : منهوبة .

(٢) يقفل : يرجع .

(٣) اللقان : اسم مكان هناك . والمطهمة القب : الخيل الحسان المضمرة .

(٤) الرماحان : أى رماح هؤلاء ورماح هؤلاء . يريد : الجيشين .

(٥) البطاريق قواد الروم . وأراد بالشعث : الرهبان . والصلب بضم اللام : جمع صليب وأسكن اللام لضرورة الوزن .

(٦) أى من أعلاه إلى أدناه قد شق الخ . وقوله : فأضحت أى مرعش .

(٧) تصد : أى تفزع منها . وكذلك الطير تفزع أن تلقط الحب فيها لصعوبة ارتقائها .

(٨) تردى : من الرديان وهو ضرب من الجرى . والصنبر : السحاب البارد . والعطب : القطن .

كفى عجبًا أنْ يعجبَ الناسُ أنه ... بنى مرعشًا ؛ تبًّا لآرائهم تبًّا ! (١)

وما الفرقُ ما بينَ الأنامِ وبينه ... اذا حذرَ المحذورَ واستصعبَ الصَّعبا

لأمرٍ أعدتْه الخلافةُ للعدا ... وسمَّتْه دونَ العالمِ الصارمَ العضْبا

ولم تفترِق عنه الأسنَّةُ رحمةً ... ولم تتركِ الشامَ الأعادى له حُبّا

ولكنْ نفاها عنهُ غيرَ كريمةٍ ... كريمُ الثنا ما سُبَّ قطُّ ولا سَبّا (٢)

وجيشٌ يُثنِّى كلَّ طودٍ كأنه ... خريقُ رياحٍ واجهتْ غُصُنا رَطْبا (٣)

كأنّ نُجومَ الليلِ خافتْ مُغارَه ... فمَدَّتْ عليها من عجاجتِه حُجْبا (٤)

فمن كانَ يُرْضى اللؤمَ والكفرَ مُلْكُهُ ... فهذا الذى يُرضى المكارِمَ والرَّبّا

وقال يذكر قيامَ شَبيب العُقيلى : وكان خارجا على كافور فمات فجأة وهو يحاصر دمشق . وقيل : دَسَّ عليه كافور من سَمَّه . وقيل : إنه أُلقى عليه رحى من السور، وهذه القصيدة من المدح المراد به الذم :

عَدُوُّك مذمومٌ بكل لسانِ ... ولو كان من أعدائك القَمَران

ولله سرٌّ فى عُلاك ، وإنما ... كلامُ العِدا ضربٌ من الهذَيان

أتلتمسُ الأعداءُ بعد الذى رأتْ ... قيامَ دليلٍ أو وُضوحَ بيانِ ؟

رأتْ كلَّ من ينْوِى لك الغدْرَ يُبتَلَى ... بغدرِ حياةٍ أو بغدرِ زمان

بِرَغْمِ شَبيبٍ فارق السيفَ كفُّه ... وكانا على العِلّات يصطحبان (٥)

---

(١) أى من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعشا كأنهم لم يعرفوا قدرته .

(٢) الثنا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .

(٣) يثنى : يميل ، يريد : التغلب عليه . والخريق : الريح الشديدة .

(٤) مغاره : إغارته . والضمير فى عجاجته عائد على الليل ، والعجاجة يريد بها الظلام .

(٥) العلات هنا : الاحوال . تقول : قبلت هذا الشيء على علاته ، أى على مافيه ، أو على كل حال .

كأنّ رِقابَ الناس قالتْ لسَيْفِه: رفيقُك قيسيٌّ وأنتَ يَمانى (١)

فإن يكُ إنسانًا مضى لسبيله فإنّ المنايا غايةُ الحيوان (٢)

وما كان إلا النارَ فى كلّ موضع تُثيرُ غُبارا فى مكان دُخان

فنال حياةً يَشتهيها عَدُوُّه وموتًا يُشَهِّى الموتَ كلَّ جَبان (٣)

نَفَى وقعَ أطراف الرماح بِرُمْحِه ولم يَخْشَ وقْعَ النَّجْم والدَّبَرَان (٤)

ولم يدر أن الموتَ فوق شَواتِه مُعارُ جَناحٍ مُحْسِنُ الطيران (٥)

وقد قَتَلَ الأقرانَ حتى قتلتَه بأضعفِ قِرْنٍ فى أذلّ مكان

أتتْهُ المنايا فى طريقٍ خَفيةٍ على كلِّ سَمْع حولَه وعِيان

ولو سلكتْ طُرْقَ السِّلاح لَرَدَّها بطُول يَمين واتّساع جَنان

تَقَصَّدَه المِقدارُ بَيْن صِحابه على ثِقةٍ مِن دهرِه وأمان (٦)

وهل ينفعُ الجَيْشَ الكثيرَ ٱلتفافُه على غير مَنْصُورٍ وغَير مُعَان

* * *

قضى اللهُ يا كافورُ أنك أوّلٌ وليس بقاضٍ أن يُرى لك ثانى

فما لَك تَختارُ القِسىَّ وإنما عن السَّعْدِ يَرْمِى دونَك الثَّقلان ؟ (٧)

وما لك تُغْنَى بالأسنّةِ والقَنَا وجَدُّك طَعّانٌ بغير سِنان ؟ (٨)

---

(١) لما بين قيس واليمن من العصبية فى الشام . (٢) الحيوان : الحياة .

(٣) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكتة بلا سابق ألم ولا مرض .

(٤) أى أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ما حسب حسابا لرزايا النحوس السماوية من الكواكب أمثال الدبران وهو كوكب نحس كما زعموا .

(٥) شواته : رأسه . (٦) المقدار : القدر .

(٧) الثقلان : الإنس والجن .

(٨) الاسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح . والجد : الحظ .

ولِمْ تَحمِلِ السيفَ الطويلَ نِجادُه ... وأنت غَنِيٌّ عنه بالحَدَثانِ ؟ (١)

أرِدْ لى جَميلًا جُدْتَ أو لم تَجُدْ به ... فإنك ما أحْبَبْتَ فىَّ أتانى

لو آلفلكُ الدَّوارُ أبْغَضتَ سَعْيَهُ ... لعَوَّقَهُ شَيءٌ عن الدَّوَران !

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فارًا من كافور الى الكوفة يهجوه وقومه :

عِيدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عِيدُ ... بما مَضَى أم لأمرٍ فيكَ تَجديدُ (٢)

أما الأحِبَّةُ فالبيداءُ دونَهُمُ ... فليتَ دونَكَ بِيدًا دُونَها بِيدُ (٣)

لولا العُلا لم تَجُبْ بى ما أجُوبُ بها ... وَجْناءُ حَرْفٌ ولا جَرْداءُ قَيْدودُ (٤)

وكانَ أطيبَ مِن سَيْفِى مُضاجَعَةً ... أشباهُ رَوْنَقِهِ الغِيدُ الأماليدُ (٥)

لم يترِكِ آلدهرُ من قلبى ولا كَبِدى ... شَيئا تُتَيِّمُهُ عَينٌ ولا جِيد

يا ساقِيَىَّ أخمرٌ فى كُئُوسِكُما ... أم فى كُئُوسكما هَمٌّ وتَسهيد ؟

أصخرةٌ أنا مالِى لا تُحَرِّكُنِى ... هذِى المُدامُ ولا هَذِى الأغاريد؟

إذا أردتُ كُمَيْتَ اللَّونِ صافيةً ... وجدتُها، وحبيبُ النفْس مفقود (٦)

ماذا لَقِيتُ مِن الدنيا ؟ وأعجَبُها ... أنِّى بما أنا باكٍ منه محسود !

---

(١) النجاد : حمائل السيف .

(٢) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .

(٣) يريد بالأحبة جدته وبعض أهله بالكوفة

(٤) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الخلق الصلبة العضل ، والحرف من النوق : المضمرة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلام تقطع بى الفلاة ناقة ولا فرس .

(٥) يريد بالغيد الأماليد : الجوارى الحسان الناعمات . وأشباه رونقه : أى اللواتى يشبهن السيف فى الرونق . ويروى : معانقة بدل مضاجعة .

(٦) يريد بكميت اللون : الخمر .

أمسيتُ أروَحَ مُثْرٍ : خازِنًا وَيَدًا ... أنا الغَنِيُّ، وأَمْوالِي المواعيدُ (١)

إنى نزلتُ بكذّابينَ ضَيْفُهُم ... عنِ القِرى وعنِ التَّرحالِ محدودُ (٢)

جُودُ الرجالِ من الأيْدى، وجودُهُمُ ... من اللسانِ؛ فلا كانوا ولا آلجودُ!

ما يَقْبِضُ الموتُ نفسًا مِن نُفوسهمُ ... إلا وفى يَدِه من نَتْنِها عُودُ (٣)

أكُلّما آغتالَ عبدُ السوءِ سيّدَه ... أو خانه فَلَهُ فى مصرَ تمهيدُ؟

صارَ الخَصِيُّ إمامَ الآبِقينَ بها ... فالحرُّ مستَعبَدٌ، والعبدُ معبودِ

نامَتْ نَواطِيرُ مِصرٍ عن ثَعالِبِها ... فَقَدْ بَشِمْنَ، وما تَفْنَى العناقيدُ (٤)

العبدُ ليس لحُرٍّ صالحٍ بأخٍ ... لو أنه فى ثِيابِ الحُرِّ مولودُ

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلا والعَصا معه ... إن العبيدَ لأَنْجاسٌ مَناكيدُ

ما كنتُ أَحْسَبُنى أحيا الى زَمَنٍ ... يُسِيءُ بى فيه كَلْبٌ وهو محمودُ

ولا توهَّمتُ أنّ الناسَ قد فُقِدُوا ... وأن مثلَ أبى البَيْضاءِ موجودُ (٥)

وأن ذَا الأسودَ المثقوبَ مِشْفَرُهُ ... تُطيعُه ذى العَضاريطِ الرعاديدُ (٦)

---

(١) أروح : من الراحة . وخازنا ويدا : منصوبان على التمييز . أى أصبحت غنيا؛ ولكن يدى وخازنى فى راحة؛ اذ كانت أموالى مواعيد كافور، وهى وهمية .

(٢) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام . ومحدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .

(٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فيه عودا ينشل به أرواحهم من أبدانهم لنتنها تقززا من مس أبدانهم بيده .

(٤) النواطير : حافظو الكروم بالظاء والطاء، ويريد بالنواطير السادة وبالثعالب الأراذل . وبشمن : أكلن فوق الشبع .

(٥) كناه بأبى البيضاء، وهى كنية العبيد سخرية منه .

(٦) العضاريط : جمع عضروط، وهو اللئيم الذى يخدم بطعام بطنه . والرعاديد : جمع رعديد وهو الجبان .

جَوْعَانُ يأكُلُ مِن زَادِى ، ويُمْسِكُنِي لكَيْ يُقالَ : عظيمُ القَدْرِ مقصود

إن امرأً أمَةٌ حُبلى تُدَبِّرُه لمُستَضامٌ سَخِينُ العَيْنِ مفئُود (١)

وَيْلُمِّها خطة ! وَيْلُمِّ قابلها ! لمثلِها خُلِقَ المَهْرِيَّةُ القُود (٢)

وعندَها لَذَّ طَعْمَ الموتِ شَارِبُهُ إن المَنِيَّةَ عِندَ الذل قِنديد (٣)

مَن عَلَّمَ الأسودَ المَخصِيَّ مَكْرُمَةً؟ أَقَوْمُهُ البيضُ أم آباؤه الصِّيد؟

أم أُذْنُهُ فى يدِ النَّخَّاسِ دامِيَةً أم قَدْرُه ، وهو بالفَلْسَيْنِ مردود

أولَى اللئام كُوَيْفِيرٌ بمعذِرة فى كُلِّ لَوْمٍ ، وبعضُ العُذرِ تَفنيد (٤)

وذاكَ أن الفحولَ البيضَ عاجزةٌ عن الجميل ، فكيفَ الخصيةُ السُّودُ؟ (٥)

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر الى مصر :

وأحَرُّ قلباهُ مِمَّنْ قلبُهُ شَبِمُ ومن بجسمِي وحالى عنده سَقَمُ (٦)

مالى أُكتِّمُ حُبًّا قد بَرَى جَسَدِى وتدّعى حُبَّ سيفِ الدولة الأمم

إن كان يَجمَعُنَا حبٌّ لغُرَّتِه فليتَ أنَّا بِقَدْرِ الحب نَقتسِم (٧)

---

(١) مفئود : مصاب فى فؤاده . أى أن من يدبره ويسوسه أمثال كافور الخصى العظيم البطن الذى يشبه الأمة الحبلى لسخين العين فاقد العقل .

(٢) ويلمها : أى ويل لأمها ، فحذفت ألف أم توسعا ، وجعلت مع الويل كأنها كلمة واحدة ، ولام ويل : إما مرفوعة أو مخفوضة بنقل حركة همزة إم المحذوفة إليها على لغة من يكسر همزة أم ، وهى سب للمكروه . والخطة هنا : الشأن والحال والعيشة . وقوله : لمثلها الخ أى لمثل الخلاص منها . والمهرية : النوق المنسوبة إلى بلاد مهرة ، وهى كريمة سريعة السير . والقود : جمع قوداء ، وهى الطويلة .

(٣) القنديد : العسل من قصب السكر .

(٤) كويفير : تصغير كافور . والتفنيد : اللوم والمؤاخذة .

(٥) جمع خصى ، ويجمع أيضا على خصيان .

(٦) الهاء فى قلباه : للسكت ، واتصالها هنا بما قبلها مع أنها موصولة بما بعدها ضعيف ، أو هو مذهب كوفى . والشبم : البارد . أى ما أشد حرارة قلبى من حب الذى برد قلبه .

(٧) الغرة : الوجه . أى ليته يرعى كلا منا بقدر حبنا إياه .

قد زرتُهُ ، وسيوفُ الهند مُغمدةٌ ... وقد نظرتُ اليه ، والسيوفُ دَمُ (١)

فكان أحسنَ خلقِ الله كلِّهمُ ... وكان أحسنَ ما فى الأحسن الشيمُ

فَوْتُ العدُوِّ الذى يممتَهُ ظَفَرٌ ... فى طَيِّه أَسَفٌ فى طَيِّه نِعَم (٢)

قد نابَ عنك شديدُ الخوْف واصطنعتْ ... لك المَهابةُ ما لا تصنعُ البُهَم (٣)

أَلزمتَ نفسَك شيئًا ليس يَلْزَمُها ... ألّا تُوارِيَهم أرضٌ ولا عَلَم (٤)

أكُلَّما رُمتَ جيشا ، فانثنَى هَرَبًا ... تصَرَّفَتْ بك فى آثاره الهِمَمُ؟

عليك هزْمُهمُ فى كلّ معترَكٍ ... وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا

أما ترى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ ... تصافحتْ فيه بيضُ الهند واللِّمَم (٥)

يا أعدلَ الناسِ الا فى مُعامَلتى ... فيكَ الخِصامُ ، وأنتَ الخصمُ والحَكَمُ!

أعيذُها نَظَراتٍ منك صادقةً ... أن تحسَبَ الشحْمَ فيمَنْ شحْمُه وَرَمُ

وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره ... اذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُّلَمُ

أنا الذى نظَرَ الأعمى الى أدبى ... وأسمعَتْ كلماتى مَن به صَمَمُ (٦)

---

(١) أى أنى خدمته فى حالتى السلم والحرب .

(٢) أى أن فوت العدو وفراره منك ظفر لك فى ضمنه أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٣) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٤) العلم : الجبل . أى تريد ألا يستر أعداءك الفارين مكان يختفون فيه ، وهذا غير لازم بل يكفك فرارهم . والابيات الآتية توضح المعنى .

(٥) اللمم : جمع لمة وهى الشعر المجاوز شحمة الأذنين ، يريد الرءوس .

(٦) يريد بكلماته أشعاره .

أنامُ مِلءَ جُفونِي عن شَوارِدِها ... ويَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاها ويَخْتَصِم (١)

وجاهِلٍ مَدَّهُ فى جَهْلِهِ ضَحِكى ... حتى أتَتْهُ يَدٌ فَرّاسَةٌ وفَمُ

اذا رأيتَ نُيُوبَ اللَّيثِ بارزةً ... فَلا تظنَّن أن اللَّيثَ يَبْتَسِمُ

ومُهجَةٍ مُهجَتى مِنْ هَمِّ صاحِبِها ... أدرَكتُها بِجَوادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ (٢)

رِجلاهُ فى الرَّكضِ رِجلٌ، واليدانِ يَدٌ ... وفِعلُهُ ما تُرِيدُ الكَفُّ والقَدَمُ (٣)

ومُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حتى ضَرَبْتُ، ومَوْجُ المَوتِ يَلتَطِمُ

فَالخَيلُ واللَّيلُ والبَيداءُ تَعرِفُنِي ... والحَرْبُ والضَّربُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

صَحِبتُ فى الفَلَواتِ الوَحشَ مُنفَرِدًا ... حتى تعجَّبَ منى القُورُ والأَكَمُ (٤)

يا مَن يَعِزُّ عَلَينا أن نُفارِقَهُم ... وِجدانُنا كُلَّ شَىءٍ بَعدَكُم عَدَمُ (٥)

ما كان أخلَقَنا منكُم بتَكْرِمَةٍ ... لو أن أمرَكُمُ مِن أمرِنا أَمَمُ

إن كان سَرَّكُمُ ما قال حاسِدُنا ... فَما لِجُرحٍ إذا أرضاكُمُ أَلَمُ

فَبَيْنَنا لو رَعَيتُمْ ذاكَ مَعرِفَةٌ ... إن المَعارِفَ فى أهلِ النُّهَى ذِمَمُ

كم تَطلُبُونَ لَنا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ ... ويَكرَهُ اللهُ ما تأتُونَ والكَرَمُ

---

(١) وشوارد الأشعار : سوائرها وذائعاتها : أى أنه ينظمها وينام ، والناس يسهرون لأجلها بحثا ونقدا واجتلابا وحفظا ورواية .

(٢) أى ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتى أنا من همه وقصده ، قد أدركتها وقتلت صاحبها على فرس ظهره أمان وحصن .

(٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال : رجلاه رجل واحدة ، ويداه يد . يعنى أنه يرفع رجليه معا ويضعهما كذلك . وكذلك يداه . وفعله فى الجرى يغنى عن الكف التى تحمل السوط وعن القدم التى يستحثه بها .

(٤) القور : جمع قارة . وهى الأكمة فى الأرض الحزة (البركانية) .

(٥) الوجدان : الوجود . أى لما فارقنا كم كان كل شىء نجده فى حكم العدم .

ما أبعد العيب والنقصان من شرفى ؛ أنا الثريا ، وذان الشيب والهرم

ليت الغمام الذى عندى صواعقه يزيلهن الى من عنده الديم

أرى النوى يقتضينى كل مرحلة لا تستقل بها الوخادة الرسم (١)

لئن تركن ضمير عن ميامننا ليحدثن لمن ودعتهم ندم (٢)

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وشر ما قنصته راحتى قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم (٣)

بأى لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عندك لا عرب ولا عجم (٤)

هذا عتابك إلا أنه مقة قد ضمن الدر إلا انه كلم (٥)

وقال فى الحكمة :

اذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

ستبكى شجوها فرسى ومهرى صفائح دمعها ماء الجسوم (٦)

قربن النار ، ثم نشأن فيها كما نشأ العذارى فى النعيم

وفارقن الصياقل مخلصات وأيديها كثيرات الكلوم (٧)

(١) الإبل السريعة المشى القوية عليه .

(٢) ضمير : جبل يكون على يمين الذاهب إلى مصر من حلب .

(٣) البزاة : جمع باز وهو ضرب من الصقور قوى . والرخم طائر من الجوارح .

(٤) الزعنفة : الطائفة ، وأصل الزعانف : أجنحة السمك ، يشبه بها الأرذال والأوشاب .

(٥) المقة : الحب والعشق .

(٦) يريد بالصفائح السيوف . ثم أخذ فى وصفها الخ .

(٧) الصياقل : جمع صيقل ، وهو الذى يشحذ السيوف . والكلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . أى وأيدى الصياقل كثيرة الجراح من مضائها .

يرى الجُبَناءُ أن العجزَ عَقْلٌ ... وتلك خَديعةُ الطبْعِ اللئيم
وكلُّ شجاعةٍ فى المرءِ تُغْنِى ... ولا مثلَ الشَّجاعةِ فى الحكيم
وكم من عائبٍ قولا صحيحًا ... وآفتُه من الفَهْمِ السقيم
ولكِنْ تأخُذُ الآذانُ منهُ ... على قَدْرِ القرائح والفُهوم

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا :

أوَدُّ من الأيَّامِ ما لا تَوَدُّهُ ... وأشكو إليها بَيْنَنا وهى جُندُه (١)
يُباعِدْن حِبًّا يَجْتَمِعْن ووَصْلُه ... فكيف بحبٍّ يجتمِعْن وصَدُّه (٢)
أبىُّ خُلُقُ الدُّنْيا حبيبًا تُديمُه ... فما طَلَبى منها حَبيبا تَرُدُّه ؟
وأسرعُ مفعولٍ فعلتَ تَغَيُّرًا ... تكلُّفُ شىءٍ فى طِباعِكَ ضِدُّه
رعَى اللهُ عِيسًا فارقتْنا وفوقَها ... مَهًا كلُّها يُولَى بجفنَيْهِ خَدُّه (٣)
بِوادٍ به ما بالقلوب كأنّه ... وقد رحلوا جِيدٌ تناثَرَ عِقْدُه (٤)
إذا سارت الأحداجُ فوقَ نَباتِه ... تَفاوَحَ مِسكُ الغانياتِ وَرَنْدُه (٥)

---

(١) أى أود منها مالا توده من إنصافى وتنويل مرادى ، وأشكو إليها فراقنا ، وهى عون عن الفراق .

(٢) وصله وصده : معطوفان على الضمير فى يجتمعن بدون فاصل ، ضرورة . أى يبعدن منها الحبيب المواصل ، فكيف يقربن الحبيب المقاطع ؟

(٣) العيس : الابل البيض . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية تشبه بها المرأة فى حسن عينين . ويولى : يمطر ، أى ينزل عليه المطر . والمراد به هنا الدموع ، أى رعى الله إبلا فارقتنا عليها نسوة كالمها كل واحدة منهن تبكى فيسيل دمعها على خدها .

(٤) أى فارقتنا بواد به ما بقلوبنا من الوجد والوحشة ، وكان متزينا بنزولهن فيه ، فلما رحلن صار كالجيد العاطل من الحلية .

(٥) الأحداج : جمع حدج : مركب كالهودج للنساء . والرند : نبات طيب الرائحة بالبادية ، وهو الغار . أى اذا سارت الإبل حاملة لهن فى الأحداج تفاوح مسكهن ونبات الرند بالوادى .

وحالٍ كإحداهُن رُمْتُ بُلوغَها ... ومِن دُونِها غَوْلُ الطريق وبُعْدُه (١)

وأَتعبُ خَلْقِ الله من زادَ همُّـه ... وقَصَّرَ عما تَشْتَهِى النفسُ وُجدُه (٢)

فلا يَتْحَلِلْ فى المَجْـد مالُك كلُّه ... فينحلَّ مَجْـدٌ كان بالمـال عَقْـدُه

ودَبِّرْه تدبيرَ الذى المجـدُ كَفُّهُ ... إذا حارَبَ الأعداءَ ، والمالُ زَنْدُه (٣)

فلا مَجْـدَ فى الدنيـا لِمَنْ قلَّ مالُهُ ... ولا مالَ فى الدنيـا لِمَنْ قلَّ مَجْدُه

وفى الناسِ مَن يرضَى بميسورِ عيْشِهِ ... ومركوبُه رِجلاهُ ، والثَّوبُ جِلْدُه

ولكنَّ قَلْبًـا بين جَنْبَىَّ مالَهُ ... مَـدًى ينتهى بى فى مُرادٍ أَحُدُّه

يَرَى جسمَه يُكسَى شُـفُوفا تَرُبُّهُ ... فيختارُ أن يُكسَى دُروعا تَهُـدُّه (٤)

يُكَلِّفُنِى التهجيرَ فى كلِّ مَهْمَهٍ ... عَلِيقِى مَراعِيـهِ وزادِى رُبُدُه (٥)

وقال فى وصف الحياة والناس :

صَحِبَ النـاسُ قبلَنـا ذا الزمانَا ... وعَنَـاهُمْ من شأْنِهِ ما عَنانا

وتولَّوْا بِغُصَّـةٍ كلُّهُـم مِنْـ ... ـهُ ، وإن سَرَّ بعضهم أحيـانا

رُبَّمـا تُحسِنُ الصـنيعَ لَيـالِيـ ... ـهِ ، ولكنْ تُكَدِّرُ الإحسـانا

وكأنَّا لم يَرْضَ فينـا بِرَيْبِ الدَّ ... هْرِ ، حتَّى أعانَـهُ مَن أعانا

كلَّمـا أَنبتَ الزمانُ قَنـاةً ... ركَّبَ المـرءُ فى القنـاةِ سِـنانا (٦)

---

(١) الغول : المشقة . أى : ورب حال كإحدى هـذه النسوة فى الصعوبة والامتناع وتعـذ الوصول إليهن .

(٢) الوجد : المال والمقدرة .

(٣) الزند : موصل الذراع فى الكف ، ومن الزند يستمد الكف قوته .

(٤) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق . تربه : تنعمه وتميه .

(٥) التهجير : السير فى الهاجرة وهى نصف النهار . والمهمه : المكان القفز . والربد : جمع أربد يريد بها النعام . أى لا علق له إلا مرعى البادية . ولا زاد إلا من صيد النعام .

(٦) القناة . الرمح . والسنان : رأسه الذى يطعن . وهو النصل .

ومُرادُ النفوس أصغرُ مِنْ أنْ ... تتعادَى فيه ، وأنْ تتفانَى

غيرَ أن الفتى يُلاقِي المنايا ... كالحاتٍ ، ولا يُلاقِي الهَوانا

ولو أن الحياةَ تبقَى لحيّ ... لعددْنا أضلَّنا الشُّجعانا

وإذا لم يكن مِنَ الموْتِ بُدٌّ ... فمن العَجْزِ أن تكون جبانا

كلُّ ما لم يكُنْ مِنَ الصعْبِ فى الأنـ ... ـفُسِ سَهْلٌ فيها إذا هُو كانا[1]

(٢) أبو فراس[2]

قال فى الشكوى والعتاب :

وإنّى وقوْمِى فرقتْنا مذاهبُ ... وإن جمعتْنا فى الأُصول المَناسِبُ

فأقصاهُمُ أقصاهُمُ من مَساءَتى ... وأقربُهُمْ مما كرِهتُ الأقاربُ

غريبٌ وأهلِى حيثُ ما كرَّ ناظِرِى ... وحيدٌ وحَوْلى مِن رجالى عَصائبُ[3]

نَسِيبُك من ناسبْتَ بالوُدّ قلبَه ... وجارُك مَن صافَيْتَه لا المُصاقِبُ[4]

وأعظمُ أعْداء الرجال ثِقاتُها ... وأهونُ مَن عادَيْتَه مَنْ تُحارِبُ

وما الذنبُ إلا العَجزُ يركَبُه الفتَى ... وما ذنبُه إن حارَبَتْه المطالبُ

ومن كان غيرُ السيف كافلَ رزْقه ... فللذُّلِّ منه — لا مَحالةَ — جانبُ

---

(١) أى أن كل شىء صعب لم تصب به النفس ، يسهل على النفس أمره إذا أصيبت به .

(٢) هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبى ابن عم سيف الدولة أمير حلب وممدوح المتنبى ، كان شاعرا كاتبا أديبا فارسا . طالما قاتل الروم بين يدى سيف الدولة أمير حلب ، وأسر فى إحدى وقائعه معهم ، وطال أسره . وكان يكتب إلى سيف الدولة من الكتب والقصائد فى إنقاذه ، وكان يعسر عليه المفاداة . ثم فك أسره ، وسكن منبج متوليا عليها . ثم قتل فى ثورة قومية سنة ٣٥٧ عن ٣٧ سنة . ويغلب على شعره الفخر والشكوى من الأقارب والعتاب .

(٣) عصائب : جماعات . (٤) المصاقب : الذى داره بجانب دارك .

وقال فى الحكم :

انفِق من الصبر الجميل ، فَانَّه ... لم يَخْش فقرا مُنْفِقٌ مِن صَبْرِه
والمرء ليس ببالغٍ فى أَرضِه ... كالصَّقر ليس بصائد فى وَكْرِه

وقال يشكو حاسديه ويذم فعلهم :

وَمَضْطَغِنٍ[1] لم يحمِلِ السِّر قلبُه ... تَلَفَّتَ ثم اغتابنى وهو هائب
تردّى رِداء الذل لمَّا لَقِيتُه ... كما تتردَّى بالغُبَارِ العناكب
ومِن شَرَفى ألا يزال يعيبنى ... حسود على الأمر الذى هو عائب
رَمَتْنى عيون الناس حتى أَظُنُّها ... ستحسدنى فى الحاسدين الكواكب
ولست أرَى إلَّا عدوًّا محارِبا ... وآخَرَ خيرٌ منهُ عِنْدِى المُحارِب[2]
فهُم يُطفئُون المجد ، والله واقد ... وهم ينقُصُون الفَضْل ، والله واهب
وهل يدفع الإنسانُ ما هو واقعٌ ... وهل يعلمُ الإنسانُ ما هُو كاسِب ؟
وهل لقضاء الله فى الناس غالب ... وهل من قضاء الله فى النأس هارب؟
علىَّ طلَابُ العزِّ مِن مُسْتَقَرِّه ... ولا ذنْبَ لى إنْ حاربتْنى المَطالِبُ[3]
إذا الله لم يُحرزكَ مما تَخَافه ... فلا الدِّرعُ منَّاعٌ ولا السيفُ قاضب[4]

وقال فى وصف كتاب ورد عليه من صديق له :

وواردِ مُوردٍ أنْسًا يؤكِّدُه ... صُدورُه عن سليم الوِرْدِ[5] والصَّدَرِ[6]
شُدَّت سحائبه منه على نُزَهٍ[7] ... تُقَسِّمُ الحسنَ بيْن السَّمْعِ والبَصَر

---

(١) منطو على الضغن وهو الحقد .
(٢) يريد الحسود المنافق الذى يبطن له العداوة .
(٣) الطلاب : الطلب . (٤) لم يحرزك : لم يوقك . قاضب : قاطع .
(٥) الذهاب . (٦) الرجوع . (٧) جمع نزهة : الأرض المزينة بالنبات .

عُذُوبَةٌ صَدَرَتْ عن منطِقٍ جَدَدٍ (١) كالماء يخرج ينبوعا مِن الحجرِ
وروضة مِن رِياضِ الفِكر دَبَّجَهَا (٢) صوْبُ (٣) القرائح لاصوبٌ من المطر
كأنما نَشَرت أيدى الربيع بها بُرداً (٤) مِن الوشي (٥) أوثوبا مِن الحِبَر (٦)

وقال من قصيدة ينوّه فيها بشجاعته ، وقد أسره الروم وهو يحارب فى جيش ابن عمه سيف الدولة :

أسرت وماصحبي بِعُزل (٧) لَدَى الْوَغَى ولا فرسى مُهْرٌ ولا رَبُّهُ غُمْرُ (٨)
ولكن إذا حُمَّ (٩) القضاءُ على امرئٍ فليس له بَرٌّ يقيه ولا بحرُ
وقال أصيحابى : الفِرارُ أَو الرَّدَى فقلت : هما أمران ، أَحلاهما مرّ
ولكننى أَمْضى لما لا يَعيبُنى وحسبُك من أمرين ، خيرهما الأَسْرُ
يَمُنُّون أَن خَلَّوْا ثيابى ، و إنما علىَّ ثياب من دِمائهم حمرُ
ونحن أناسٌ لا تَوَسُّط عندَنا لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ
تَهُون علينا فى المعالى نفُوسُنَا ومن يخطُبِ الحسْناء لم يُغلِها المهرُ

وكتب وهو فى أسر الروم إلى سيف الدولة :

أَبَى غَرْب هذا الدَّهرِ إلا تَسرُّعَا ومكنونُ هذا الحُبِّ إلا تَضَوُّعا

---

(١) مهل .
(٢) نقشها .
(٣) نزول المطر .
(٤) ثوب مخطط .
(٥) كثير الألوان .
(٦) برد يمان .
(٧) لا رماح معهم . مفرده : أعزل .
(٨) من لم يجرب الأمور
(٩) نزل .

فلما استمرّ الحب فى غُلوائهِ ... رَعَيْتُ مع المِضياعة الغِرّ ما وَعَى (١)

فُزْنى حُزْنُ الهائمين مُبَرِّحًا ... وسرّى سرُّ العاشقين مُضَيَّعا

خليلى : لِمْ لا تبكيانى صبابةً ... أأبدلتُمَا بالأجرع الفرد أجرعا ؟ (٢)

علىّ لمن ضنّت علىّ جُفونُه ... غَوارِبُ دمع يَشمَلُ الحَىَّ أجمَعا (٣)

وهَبْتُ شبابى، والشبابُ مَضِنَّةٌ ... لأبلجَ من أبناءِ عمىَ أروعا (٤)

أبِيتُ مُعَنًّى من مَخافةِ عَتْبِهِ ... وأُصبحُ محزونا ، وأُمسى مُرَوَّعا

فلمّا مضى عصرُ الشبيبةِ كُلُّهُ ... وفارقنى شرخُ الشباب فوَدَّعا

تطلّبتُ بين العَتْب والهجْرِ فُرجةً ... فحاولتُ أمرًا لا يُرامُ مُمَنَّعا

وصِرتُ إذا مازُمت فى الخير لذةً ... تتبعتُها بين الهُموم تتُّبعا (٥)

وها أنا قد حلّى الزمانُ مَفارِقى ... وتَوَّجَنى بالشّيب تاجًا مُرَصَّعا

فلَوْ أننى مُكّنْتُ فيما أريدُه ... من العيش يوما لم أجدْ فىّ مَوْضِعا

أما ليلةٌ تَمْضى ولا بعضُ ليلة ... أُسَرُّ بها هذا الفؤادَ الموجعا ؟

أما صاحبٌ فَرْدٌ يدومُ وفاؤُه ... فيُصْفِى لمن أَصْفَى، ويَرْعى لمن رَعَى

أفى كلّ دار لى صديقٌ أوَدُّه ... إذا ما تَفرَّقنا حَفِظتُ وضيّعا

---

(١) الغلواء : الغلو . والمضياعة : الكثير الإضاعة . والغرّ : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب ضعفت عزيمتى ورعيت مع الحبيب الغفل ما يرعى واتبعته فيما يشاء .

(٢) أى هل استبدلتما بالأجرع الفرد مكانا غيره . يريد هل نسيتانى واتخذتما بدلى حبيبا آخر ؟

(٣) أى انى أبكى على من لا يبكى علىّ بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغير وفى .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع النجدة . (٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من بين الهموم . (٦) أى أنه لم تبق فيه بقية صحة للتمتع .

اذا خِفتُ من أخوالىَ الرومِ خُطَّةً ... تخوَّفتُ مِن أعمامِىَ العُرْبِ أربعا

وإن أوجعتْنى مِن أعادِىَّ شيمةٌ ... لَقيتُ مِن الأحباب أدمَى وأوْجعا

ولَوْ قَدْ رَجوت اللهَ لا ربَّ غيرُه ... رجعتُ الى أعْلَى ، وأمَّلتُ أوسعا (١)

لقد قَنعوا بَعْدِى من القَطْرِ بالنَّدى ... ومَن لم يجِدْ إلا القُنوعَ تقنَّعا (٢)

وما مَرَّ إنسانٌ فأخْلَفَ مِثْلَه ... ولكن يُرَجِّى الناسُ أمْرا مُوَقَّعا (٣)

تَكَرَّسيفُ الدين لما عَتَبْتُه ... وعرَّضَ بى تحتَ الكلامِ وقَرَّعا

فقُولا له : يا صادق الوُدّ إننى ... جعلتُك مِمَّا رَابَنِى منك مَفْزَعا

ولو أننى أكْنَنْتُه فى جوانحى ... لأورقَ ما بين الضلوع وفَرَّعا (٤)

فلا تغتَرِرْ بالناس ؛ ما كُلُّ مَن ترى ... أخوك : اذا أوْضعتَ فى الأمر أوْضعا (٥)

ولا تتقلَّدْ ما يروقُ جمالُه ... تَقَلَّدْ إذا جَرَّبْتَ ما كان أقطعا (٦)

ولا تقبلَنَّ القولَ مِن كلِّ قائلٍ ... سأُرضيك مرأَى لستُ أُرضيك مَسْمَعا

فللهِ إحسانٌ علىَّ ونِعْمةٌ ... ولله صُنعٌ قد كفانى التَّصَنعا

أرانِىَ طُرقَ المَكْرُمات كما رأى ... علىٌّ وأسمانى على كل من سَعَى (٧)

فان يكُ بُطءٌ مرة فلطالما ... تَعَجَّلَ بى نَحْوَ الجميلِ فأسرعا

---

(١) أى أنى خبت فى رجائى الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت الى أعلى مرتجى وأملت أوسع مؤمل .

(٢و٣) أى أن أهلى نسونى وقنعوا بغيرى ممن لا يغنى غنائى مع أن من مضى لا يأتى خلف له يساويه . وانما يعتبر الناس الأمر الواقع فيكتفون بغيرى عن غيبتى .

(٤) أورق الشجر : ظهر ورقة ، أى أننى لو تركت عتابى لك فيما أخذته عليك ، وكتمت ذلك فى قلبى ، لجانب كتمانه الحقد والعداوة . فالمسارعة باظهار المؤاخذة أنفى للشر ، وأدل على المودة والمحبة .

(٥) أوضع فى الأمر : أسرع فيه ، أو أجرى دابته إجراء سريعا .

(٦) ولا تتقلد ما يروق الخ : أى لا تتقلد سيفا جميل المنظر غير قاطع .

(٧) يريد بعلى : سيف الدولة ، وهو اسمه .

وإن يَخْفُ فى بعض الأمـور فإننى ... لأشكرُه النُّعْمَى التى كان أودعا

وإن يستجدَّ الناسَ بعدى فلم يزَلْ ... بذاك البديلِ المُسْتجَدِّ مُمَتَّعا(١)

وقال من قصيدة بعث بها اليه من الأسر يعاتبه على تباطئه فى فكاكه :

وأبطأَ عنّى والمنايا سريعةٌ ... وللموْتِ ظُفْرٌ قد أطلَّ ونابُ

فان لم يكن وُدٌّ قريبٌ نَعُدّهُ ... ولا نَسَبٌ بين الرجال قُراب(٢)

فأحْوَطُ للإسلامِ ألّا يُضيعَنى ... ولى عنه فيه حَوْطَةٌ ومَناب(٣)

ولكننى راضٍ على كلِّ حالةٍ ... ليعلَمَ أىُّ الحالتين صَواب ؟

وما زِلتُ أرضَى بالقليل محبةً ... لديْهِ ، وما دُونَ الكثير حجاب

وأطْلُبُ إبقاءً على الوُدِّ أرْضَه ... وذِكْرِى مُنًى فى غيرها وطِلاب(٤)

كذاك الوِدادُ المَحْض : لا يُرتَجَى له ... ثَوابٌ ، ولا يُخْشَى عليه عِقاب

وقد كنت أخْشَى الهجر ، والشملُ جامعٌ ... وفى كلِّ يومٍ لُقْيةٌ وخطاب

فكيف وفيما بَيْنَنا مُلكُ قَيْصرٍ ... وللبحر حَوْلِى زَخْرةٌ وعُبابُ ؟

أمِنْ بعد بَذْل النفس فيما تُريدُه ... أُثابُ بمُرِّ العَتْب حين أُثاب ؟

فليتَك تحلُو ، والحياةُ مَريرةٌ ... وليتَك تَرْضَى ، والأنامُ غِضاب

وليتَ الذى بَيْنى وبَيْنَك عامرٌ ... وبينى وبَين العالَمين خَراب

اذا صَحّ منك الوُدُّ فالكلُّ هَيِّنٌ ... وكُلُّ الذى فَوقَ التُّرابِ تُراب

---

(١) أى وان يستجد سيف الدولة قائدا ونصيرا آخر بعدى فانى أدعو له بأن يظل ممتعا به .

(٢) القراب : المقارب . (٣) أى اذا لم ينقذنى للود والنسب فلا أقل من أن يستنقذنى للاسلام فانى أحوطه وأنوب عنه فى الذود عنه .

(٤) أى أنى أطلب أرضه إبقاء على ودّه و إلا فان مجرّد ذكرى فى أرض غيرها هو منية أهلها وطلبتهم .

(٣) أبو العلاء المعرى (١)

قال فى الفخـــر :

أرَى العنقاءَ تكبُرُ أن تُصادَا ... فعانِدْ من تُطيقُ له عِنـادَا (٢)

وما نَهْنَهْتُ عن طلَبٍ، ولكنْ ... هىَ الأيام لا تُعطِى قِيـادا (٣)

فلا تَلُمِ السـوابقَ والمطـايا ... اذَا غرضٌ مِنَ الأغراض حادا (٤)

لعلَّك أن تَشُنَّ بهـا مُغـارا ... فتُنجِحَ أو تُجَشِّمَها طِـرادا (٥)

مُقارِعةً أَجِجَّتَهـا العَـوَالِى ... مُجَنَّبَـةً نواظرَها الـرُّقادا (٦)

تَلومُ على تَبَـلُّدها قـلوبًا ... تُكابِدُ مِن مَعيشتها جِهـادا

اذا ما النـارُ لم تُطْعَمْ ضِراماً ... فأوْشِكْ أن تمُرَّ بها رَمادا

فظُنَّ بسائرِ الإخوان شَرًّا ... ولا تأمَنْ على سرٍّ فُؤادا

---

(١) أبو العلاء هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمعرة ودرس على أبيه وأهله صبيا . ثم على علماء حلب وأعالى الشام حتى صار علما فى الاشتهار . ثم ذهب الى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها . ومكث فيها فلم يطب له فيها العيش ، فرجع الى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن أكل كل ذى روح وما يخرج منه . وتشبث بآراء فى الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيرا من الشبه فى عقيدته . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعرا كثيرا ومؤلفات عدة ورسائل مختلفة .

(٢) العنقاء : طائر يعرف اسمه ، ولكنه لا يوجد ولا يرى ، وللأولين فيه مزاعم شتى .

(٣) نهنهت : كففت .

(٤) المعنى لا تلم الخيل والابل إن لم تدرك غرضك ، فلعلك تطلب بها غرضا آخر وهو شن الغارة .

(٥) المغار : موضع الغارة . ومعنى الشن : تفريق الخيل على الأعداء ومصادرتهم من كل جهة .

(٦) الأجة : جمع حجاج وهو العظم الذى فوق العين وعليه الحاجب . أى تكون الرماح مقارعة لما فوق أعينها .

فلو خَبَرَتْهُمُ الجَوْزاءُ خُبْرى ... لما طلعتْ مَخافَةَ أن تُكادا

تجنّبْتُ الأنامَ ، فلا أُوانَسْ ... وزِدتُ عن العدُوِّ ، فلا أُعادَى

ولما أن تجهّمنى مُرادى ... جَرَيْتُ مع الزمانِ كما أرادا (١)

وهوّنتُ الخطوبَ علىَّ حتى ... كأنى صرتُ أَمنحُها الوِدادا

أأُنكِرُها ومنبتُها فؤادى ... وكيف تُنكِرُ الأرضُ القَتادا؟ (٢)

فأىّ الناس أجعلُه صديقا ... وأىّ الأرض أسلكه آرتيادا ؟

ولو أنّ النجومَ لدىَّ مالٌ ... نَفَتْ كفاىَ أكثرَها آنتقادا

كأنّى فى لسان الدهر لفظٌ ... تضمّنَ منه أغراضًا بِعادا

يُكرِّرُنى ليفهمَنى رِجالٌ ... كما كرَّرتَ معنًى مُستعادا

ولو أنى حُبِيتُ الخُلدَ فَرْدًا ... لما أحْبَبْتُ بالخلد آنفرادا

فلا هَطَلتْ علىَّ ولا بأَرْضِى ... سحائبُ ليس تنتظِمُ البِلادا (٣)

وكم مِن طالبٍ أمدِى سِباقى ... دُوَيْنَ مكانىَ السَّبْعَ الشِّدادا (٤)

يُؤجِّجُ فى شُعاع الشمس نارا ... ويقدَحُ فى تلهُّبها زِنادا (٥)

ويطعَنُ فى عُلاى ، وإن شِسْعِى ... لَيأنَفُ أن يكونَ له نِجادا (٦)

---

(١) تجهمه : تنكر له وعبس . والمراد هنا أنه لما استعصى عليه مراده ، ولم يستطع بلوغ ما يريد ، استسلم لما تريده الأيام .

(٢) القتاد : نوع من الشوك . (٣) تنتظم : تعم .

(٤) دوين : تصغير دون . والسبع الشداد : السموات . أى : سيجد مسافات شاسعة قبل أن يجد منزلتى .

(٥) أى أن من يسابقنى ويباريني فى المجد لا يدركنى ، بل يكون مثله كمثل من يؤجج نارا يكيد بها الشمس .

(٦) شسع النعل : الزمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها . والنجاد : حمائل السيف .

ويُظهِرُ لى مودّتَه مَقالا ... ويُبغِضُنى ضميرًا واعتقادا

فلا وأبيكَ ما أخشى انتقاصًا ... ولا وأبيك ما أرجو ازديادا !

لىَ الشرفُ الذى يطأُ الثُّرَيَّا ... مع الفضل الذى بَهَر العبادا

وكم عينٍ تُؤَمِّلُ أن تَرانى ... وتَفقِدَ عند رُؤْيتِىَ السَّوادا (١)

ولو ملأَ السُّها عينيه منِّى ... أبَرَّ على مَدَى زُحَلٍ وزادا (٢)

أفَلَّ نوائبَ الأيام وَحدِى ... إذا جمَعَتْ كتائبَها احتشادا (٣)

وقد أثبتُّ رِجْلِى فى رِكاب ... جعلتُ من الزِّماع له بِدادا (٤)

اذا أوطأْتُها قَدَمَىْ سُهَيْلٍ ... فلا سُقِيتْ خُناصِرةُ العِهادا (٥)

كأنّ ظِماءَهن بَناتُ نَعْش ... يَرِدْنَ إذا وَرَدْن بنا الثِّمادا (٦)

---

(١) سواد العين : الحدقة منها ، وبها يكون الإبصار . أى أن الرائى تخفى عليه حين يراه حقيقته ، فكأنه ينظر إليه بعين غير مبصرة . وقد يكون المعنى أن الرائى حين يراه يحقد عليه لما يرى من عظمته ، فتحرك فيه نوازع البغض ، فيعرض عنه .

(٢) السها : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى . وليس لها أثر فى الحظ والتأثير عند المنجمين كالزحل . وأبر : فاق وزاد .

(٣) أفل النوائب : أهزمها . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الخيل للحرب .

(٤) الزماع : الشجاعة . والبداد : ما على جانب السرج من اللبد المحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب .

(٥) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة : بلدة بالشام . والعهاد : المطر . يقول إذا توجهت تلقاء اليمن فلا أبالى ما يصيب الشام بعدى .

(٦) بنات نعش : كواكب متفرقة تشاهد جهة القطب الشمالى . والثماد : جمع ثمد ، وهى المياه القليلة تكون تحت الرمل يحفر عنها حفر صغيرة يقرب بعضها من بعض ، أى كأن ركائبى العطاش حين ترد هذه الثماد مثل الكواكب المسماة بنات نعش فى تفرقها .

ستعجَبُ مِن تَغَشْمُرِها ليالٍ تُبارينا كواكبُها سُهادا (١)

كأنَّ بِفَاجِها فَقَدَتْ حَبيبا فصيَّرتِ الظلامَ لها حِدادا

وقد كَتَبَ الضَّريبُ بها سُطورًا فخِلْتُ الأرضَ لابسةً بِجادا (٢)

كأنَّ الزِّبْرِقانَ بها أسيرٌ تُجُنِّبَ لا يُفَكُّ ولا يُفادى (٣)

وبعضُ الظاعنين كقَرْنِ شَمْس يَغيبُ فإن أضاءَ الفجرُ عادا

ولكنَّ الشَّبابَ إذا تولَّى بجهلٍ أن تروحَ له ارتدادا

وأحسبُ أنّ قَلْبي لو عصاني فعاوَدَ ما وجدتُ له افتقادا (٤)

وقال يصف ديكا :

أيا "ديكُ" عدَّت من أياديك (٥) صَيحة بعثت بها مَيْتَ الكَرَى وهْو نائم

هَتَفْتَ فقال الناسُ "أوسُ بنِ مِعْيرٍ" (٦) أو ابنُ "رَباحٍ" (٧) بالمَحَلَّة قائمُ

---

(١) التغشمر: التعسف .

(٢) الضريب : الصقيع ، وهو الندى يسقط فيصبح أبيض على وجه الأرض ، والبجاد : الكساء المخطط .

(٣) الزبرقان : القمر ، أى كان القمر أسر فى هذه الأرض ، فليس له من فكاك ، فتطلع الشمس

(٤) افتقاد الشىء : أن تطلبه فى غيبته ، أى لم أطلبه حين غاب ، فأسر به حين عاود .

(٥) نعمك .

(٦) كان مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الفتح .

(٧) هو بلال الذى كان يؤذن للنبى عليه السلام سفرا وحضرا ، وهو أول من أذن فى الاسلام .

وفيك إذا ماضيع النكس (١) غَيْرَةٌ (٢) تُصانُ بها المستصحباتُ الكرائم (٣)
يُزانُ لديك الطعنُ فى حَوْمَةِ (٤) الوَغَى (٥) إذا زينتْ للعاجزين الهزائمُ
عليكَ ثيابٌ خاطَها اللهُ قادرٌ بها رَغْمَتْك (٦) العاطفاتُ الرَّوائم
وتاجُكَ مَعْقودٌ ، كأنَّك "هُرْمُزٌ" (٧) يُباهِى (٨) به أملاكه (٩) ويُوائِمُ (١٠)

وقال فى وصف ليلة :

لَيْلَتى هذهِ عَرُوسٌ من الزَّنْـ ـج (١١) عليها قلائدٌ من جُمانِ (١٢)
هَرَبَ النومُ عن جُفُونِى فيها هَرَبَ الأمْنِ عنْ فؤادِ الجبانِ
وكأنَّ الهلالَ يَهْوَى الثريّا (١٣) فَهُمَا لِلوَداعِ مُعْتَنِقانِ
وسُهَيْلٌ كَوَجْنةِ الحِبِّ (١٤) فى اللَّوْ نِ وقَلْبِ المُحِبِّ فِى الخفقانِ
يُسرِعُ اللَّمحَ فى احمرارٍ كما تُسـ ـرِعُ فى اللَّمحِ مُقْلَةُ الغَضْبانِ
ضَرَّجته (١٥) دما سيوف الأعادِى فبكت رحمة له الشعريانِ (١٦)
ثم شَابَ الدُّجَى وخَافَ من الهَجْـ ـر فَغطَّى المشيبَ بالزَّعْفَرانِ
ونضا (١٧) فجرَه على نَسْرِهِ (١٨) الوا قِعِ سَيْفاً فهَمَّ بالطَّيرانِ

---

(١) الضعيف الدنىء . (٢) الغيرة : الحمية والشجاعة .
(٣) المستصحبات الكرائم ، يريد : الدجاج . والديك يدفع الأذى عما حوله من إناث الدجاج .
(٤) ميدان (٥) الحرب . (٦) عطفت عليك .
(٧) الكبير من ملوك العجم . (٨) يفاخر . (٩) ملوكه .
(١٠) يوافق . أى يماثل الملوك فى لبسهم التيجان .
(١١) جبل من السودان . (١٢) اللؤلؤ . (١٣) نجم فى السماء .
(١٤) سهيل : نجم . والحب : الحبيب . (١٥) لطخته . (١٦) نجمان .
(١٧) جرد . (١٨) أحد النجوم .

وقال من قصيدة يرثى بها فقيها حنفيا ، وهى فى ديوانه "سقط الزند" :

غَيْرُ مُجْـدٍ فى مِلَّتِى واعْتقـادِى ... نَـوْحُ باكٍ ، ولا تَرَنُّمُ شَـادِ (١)

وشبيهُ صَـوْتُ النَّعِىِّ إذا قِيـ ... ـسَ بصوْت البشـير فى كل نادِ

أَبَكَتْ تلكُمُ الحَمَامَـةُ أَمْ غَنَّـ ... ـتْ على فَرْعِ غُصْـنِها المَيَّادِ

صاحِ : هذى قبورُنا تَمْلأُ الرَّحْـ ... ـبَ فأَيْنَ القُبورُ من عَهْـدِ عادِ ؟

خَفِّفِ الوَطْءَ ما أَظُنُّ أديمَ الْـ ... ـأَرْض إلا مِن هـذه الأجسادِ (٢)

وقبيـحٌ بنا وإن قَـدُمَ العهـ ... ـدُ هوانُ الآباءِ والأَجْـدادِ

مِرْ إنْ اسْطَعْتَ فى الهَواءِ رُوَيْدًا ... لا اخْتيالا على رُفاتِ العِبادِ

رُبَّ لَحْـدٍ قَدْ صارَ لَحْـدًا مِراراً ... ضاحِكٍ من تزاحُمِ الأضْـدادِ

ودفينٍ على بقـايا دَفِينٍ ... فى طويل الأزمان والآباد

فاسْأَلِ الفَرْقَدين عَمَّن أحسَّا ... من قَبيلٍ وآنسـا من بِلاد (٣)

كم أقاما على زوالِ نهارٍ ... وأنارَا لِمُـدْلِجٍ فى سَـواد (٤)

---

(١) أى صائح من الطيور .

(٢) أديم الأرض : ظهرها .

(٣) الفرقدان : نجمان واضحان فى بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر) . والقبيل : الجماعة . وآنس الشىء : أبصره .

(٤) المدلج : السارى فى الليـل . والفرقدان ليس لهما طلوع وأفول ، فهما مضيئان ثابتان ، إنما يدوران حول القطب الشمالى وحده .

تَعَبٌ كلُّها الحياةُ فما أعْـ ـجَبُ إلا مِن راغبٍ فى ازدياد

إنّ حُزْنًا فى ساعةِ الموت أضعـ ـفُ سرورٍ فى ساعة الميلاد

خُلِق الناسُ للبقاءِ فضلّتْ أمّةٌ يَحْسَبونهم للنَّفاد

إنما يُنقَلون من دارِ أعما لٍ الى دار شِقْوةٍ أو رَشاد

ضَجْعَةُ الموتِ رَقدةٌ يستريح الـ ـجِسم فيها ، والعيشُ مثلُ السُّهاد

وقال يفتخر :

أَلاَ فى سبيلِ المَجْدِ ما أنا فاعلُ : عَفافٌ ، وإقدامٌ ، وحَزْمٌ ، ونائلُ

أَعِنْدى ، وقد مارستُ كلَّ خَفِيّةٍ يُصدَّقُ واشٍ ، أو يُخَيَّبُ سائِل ؟

أَقَلُّ صُدُودى أننى لكَ مُبْغِضٌ وأيْسَرُ هجرى أننى عنكَ راحل (١)

إذا هبّتِ النَّكْباءُ بينى وبينكم فأهونُ شىء ما تقولُ العواذل (٢)

تُعَدُّ ذُنوبى عندَ قومٍ كثيرةً ولا ذنبَ لى إلّا العُلا والفَضائل

كأنّى إذا طُلتُ الزمانَ وأهلَه رجَعتُ وعندى للأنامِ طوائل (٣)

وقد سَار ذكرِى فى البلاد ، فمن لهم باخفاءِ شمس ضوؤها متكامل ؟

يُهِمُّ الليالى بَعْضُ ما أنا مُضمِرٌ ويَثقُلُ رَضوَى دونَ ما أنا حامل (٤)

وإنّى وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستَطِعْهُ الأوائل

---

(١) يخاطب لائمه بقوله : لا أرضى فيك بالصدود دون الإبغاض لك ، ولا بالهجر دون الارتحال عنك .

(٢) النكباء : الريح تهب بين مهبى ريحين . أى اذا بعدت عنكم ، وأصبح بينى وبينكم فراغ تهب فيه الرياح فلا أبالى بقول العواذل .

(٣) طلت : فقت رسموت . والطوائل : الترات ، أى كأن لهم ثأرا عندى يطلبونه .

(٤) رضوى : جبل بين المدينة وينبع ، يضرب الشعراء بعظمه المثل .

وأغْدُو ، ولو أن الصباحَ صوارِمٌ ... وأَسْرِى ، ولو أنَّ الظلامَ جَحافِل (١)

وإنِّى جوادٌ لم يُحَلَّ لِجامُه ... ونِضْوُ يَمَانٍ أغفلَتْه الصَّياقل (٢)

وإن كان فى لُبسِ الفتى شرفٌ له ... فما السيفُ إلا غِمدُه والحمائل

ولى مَنْطِقٌ لم يرضَ لى كُنهَ منزلى ... على أننى بين السِّماكَيْن نازِل (٣)

لدى مَوْطِنٍ يشتاقُه كُلُّ سَيِّدٍ ... ويَقْصُر عن إدراكِه المتناوِلُ

ولما رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشياً ... تجاهلتُ حتى قِيلَ : إنىَ جاهل

فواعجبا ! كم يَدَّعِى الفضلَ ناقصٌ ... ووا أسفا ! كم يُظهر النقصَ فاضلُ

وكيف تنامُ الطيرُ فى وُكُناتِها ... وقد نُصِبَتْ للفرقدَيْن الحبائل (٤)

يُنافِسُ يومى فىَّ أمسِى تشرُّفًا ... وتَحسُد أسْحارِى علىَّ الأصائل

وطال اعترافى بالزمانِ وصَرْفِه ... فلستُ أُبالى مَن تَقُولُ الغوائل

فلو بان عَضْدِى ما تأسَّفَ مَنْكِبى ... ولو مات زَنْدِى ما بكتْه الأَنامِل (٥)

إذا وَصَفَ الطائىَّ بالبخلِ مادِرٌ ... وعَيَّر قُسًّا بالفَهاهةِ باقِل (٦)

وقال السها للشمس : أنتِ خَفِيَّةٌ ... وقال الدُّجَى : يا صُبْحُ لونُك حائل (٧)

---

(١) الصوارم : السيوف ، والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش العظيم . وغدا سار فى الصباح وسرى : سار فى الليل .

(٢) نضو يمان : يريد سيف يمنى مهمل ، أنضاه الترك وأصدأه .

(٣) السماكان : الرامح والأعزل : نجمان فى السماء .

(٤) الوكنات : جمع وكنة ، وهى موضع نوم الطير . والحبائل : جمع حبالة ، وهى الشبكة تنصب لصيد الطائر ، يقول : إذا كان مثلى فى فضله وعلوه الذى يشبه بعلو النجوم فى السماء ، يكيد له الناس ولا يتورعون عن سبه وتنقصه ، فكيف يسلم من المكايد من يقل عنى ، وليس له منعتى . ومتى نال الناس النجوم بالأذى لم يأمن الطير على نفسه .

(٥) بان : انفصل . والمنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والزند : موصل طرف الذراع فى الكف

(٦) يريد بالطائى حاتما . ومادر : يضرب به المثل فى البخل ، وقس بن ساعدة : أحد خطباء الجاهلية وفصحائها ، وباقل : يضرب به المثل فى العى .

(٧) السها : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى .

وطاولَتِ الأرضُ السماءَ سَفاهةً ... وفاخرَتِ الشُّهبَ الحَصَى والجنادِلُ

فيا مَوْتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذَمِيمةٌ ... ويا نفسُ جِدّى إن دهرَك هازل

إذَا أَنْتَ أُعطِيتَ السَّعادَةَ لم تُبَلْ ... وإن نَظَرَتْ شَزْرًا إليكَ القبائلُ (١)

فإن كنتَ تبغِي العِزّ فابْغِ توسُّطا ... فعندَ التَّناهِى يقصُر المتطاوِل

تُوَقَّى البُدورُ النقصَ وهى أَهِلةٌ ... ويُدرِكُها النُّقْصانُ وهى كَوامِل

وقال فى ديوانه "لزوم ما لا يلزم" ، وهى قصيدة تتضمن كثيرا من خاص آرائه :

غدوتَ مريضَ العَقْل والدِّينِ فالْقَنِى ... لِتسمَعَ أَنباءَ الأُمورِ الصحائح

فلا تأكلن ما أخرجَ الماءُ ظالِمًا ... ولا تَبْغِ قُوتًا من غَريضِ الذبائح (٢)

وأَبْيَضَ أُمَّاتٍ أرادتْ صريحَهُ ... لأَطفالِها دونَ الغَوانِى الصرائح (٣)

ولا تَفْجَعَنَّ الطيرَ وهى غوافل ... بما وَضَعَت ؛ فالظلمُ شَرُّ القبائح

ودَع ضَرْبَ النَّحْل الذى بَكَرَتْ لَهُ ... كواسبَ من أَزهار نبتٍ فَوائح (٤)

فما أحرزتْه كى يكونَ لغيرها ... ولا جمَعَتْه للنَّدَى والمَنائح (٥)

مَسَحْتُ يَدِى من كل هذا فَلَيْتَنِى ... أَبِهْتُ لشأنى قبلَ شَيْب المسائح (٦)

---

(١) لم تبل : أى لم تبال : وهذا الفعل قد يشذ عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة الثلاثى الأجوف فى الشعر فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم ويسكن ماقبل آخره . والنظر الشزر : نظر بمؤخر العين غضبا .

(٢) الغريض : الطرى من اللحم وغيره . أى لاتأكل السمك ونحوه ولا ذبائح الدواب .

(٣) الأبيض : اللبن . والأمات : لغة فى الأمهات ، أو : الأولى خاصة بالحيوان : والأخرى للناس . والغوانى الصرائح : الخالصات الحسن .

(٤) الضرب : العسل .

(٥) الندى : الجود والكرم . والمنائح : جمع منيحة ، وهى مايعطى فضلا وتكرما .

(٦) المسائح : جمع مسيحة ، وهى ذؤابة الشعر .

بَنِي زَمنى هل تعلَمون سرائرًا ... علِمت ، ولكنّى بها غيرُ بائح
سريتُمْ على غَىٍّ ؛ فهلا اهتديتمُ ... بما خبَّرتكم صافياتُ القرائح !
وصاحَ بكم داعى الضَّلال ؛ فما لكم ... أجبتم على ما خَيَّلَتْ كلُّ صائح ؟ (١)

* * *

فان تَرْشُدوا لاتخضِبُوا السيفَ من دمٍ ... ولا تُلْزِموا الأَميالَ سَبْرَ الجَرائح (٢)
ويُعجِبُنى دأْبُ الذين تَرَهَّبُوا ... سِوَى أَكْلِهم كَدَّ النفوس الشحائح
وأطْيبُ منهم مَطْعَمًا فى حياته ... سُعاةُ حَلالٍ بَيْن غادٍ ورائح
فما حَبَسَ النفسَ المسيحُ تعبُّدا ... ولكنْ مَشَى فى الأرض مِشيةَ سائح
يُغَيِّبُنى فى التُّرب مَنْ هو كارِهٌ ... - إذا لم يُغَيِّبْنى - كَرِيهُ الروائح (٣)
ومَن يتوقَّى أن يُجَاوِرَ أعظُمًا ... كأَعْظُمِ تلك الهالكات الطرائح
ومِن شرِّ أَخلاقِ الأنيس وفعلِهم ... خُوارُ النَّواعِى والتِدامُ النوائح (٤)
وأصفَحُ عن ذنْب الصديق وغيرِه ... لسكنَاى بَيْتَ الحق بين الصفائح (٥)
وأزهدُ فى مَدْح الفتى عند صِدْقه ... فكيف قَبولى كاذباتِ المدائح

---

(١) على ماخيلت : أى كما اتفق دون إمعان فكر وتدبر .

(٢) الأميال : جمع ميل ، وهو : المرود يقاس به عمق الجرح . وسبر الشىء : امتحانه واختباره . ينهى عن الحرب والقتل وما يتبعهما من معالجة الجراح .

(٣) أى إذا لم أصب برائحة كريهة أو غيرها تخنقنى فأموت ، فإنى لابد ميت بانقضاء أجلى المحتوم ، ويومئذ يدفننى من هو كاره ذلك على الرغم منه .

(٤) النواعى : جمع ناعية . والتدام النوائح : ضربهن صدورهن فى النياحة . والأنيس : يريد به الناس .

(٥) بيت الحق : القبر .

وما زالت النفسُ اللجـوجُ مطِيَّـةً الى إن غدتْ إحدى الرذايا الطلائح (١)

وما يَنفـعُ الانسانَ أن غَمائِماً تسُحُّ عليـه تحت إحدى الضرائح (٢)

ولو كان فى قُرْبٍ من الماء رَغْبَـةٌ لنـافَسَ ناسٌ فى قُبـور البطائح (٣)

وقال فى ديوانه "لزوم مالا يلزم" يصف الحياة الدنيا :

أصاح : هى الدُّنيا تُشابه مَيْتَـة ونحنُ حواليها الـكلابُ النوابحُ

فَمَنْ ظلَّ مِنها آكلًا فهو خاسِرٌ ومن عاد عَنْها سَاغِبًا فَهْو رابح (٤)

ومَنْ لم تُبيِّتْـهُ الخُطُـوبُ فَإنَّه سَيَصْبَحُهُ من حَادِثِ الدهر صابح (٥)

وقال فى هذا المعنى :

دنياكَ دارٌ إنْ يَـكن شُهَّادُها عقلاءَ لم يبـكُوا على غيَّابها

قد أظهرتْ نُوبًا تَزيدُ على الحَصَى عدَدًا وكَمْ فِى ضِبْنِها وعِيَابها (٦)

تفرِيهِمُ بسـيوفها وتـكبُّهم برِمَاحِها وتنالُهُمْ بِصِيَابها (٧)

ما الظافِرون بِعِزها ويسـارِها إلا قرِيبو الحال من خُيَّابها

---

(١) الرذايا : جمع رذية ، وهى الضعيفة الهزيله من الحيوان ، وكذلك معنى الطلائح .

(٢) ينكر على الناس دعاءهم للموتى بالسقيا .

(٣) البطائح جمع بطيحة ، وهى المسيل الواسع .

(٤) الساغب : الجائع .

(٥) بيته : فاجأه ليلا ، أى : إذا تركته المصائب ليلا لم تتركه نهارا ، فلا مفر منها .

(٦) الضبن : مابين الكشح والابط . والعياب : جمع عيبة ، وهى ما تجمع فيه الثياب ، يريد أن فى أحضانها وطواياها نوائب تزيد على ما أظهرت .

(٧) تفريهم : تشقهم وتقطعهم . ويريد بالصياب : السهام الصائبة .

وقال أيضا :

قد فاضتِ الدُّنيا بأدناسها ... على بَرَايَاها وأجْناسِها
وكلُّ حَيٍّ فوقَها ظالِمٌ ... وما بِها أظْلَمُ مِن ناسِها

وقال فى الحكمة :

نَهانى عَقْلِي عن أمورٍ كَثيرةٍ ... وطَبْعى إليها بالغَريزَةِ جاذِب
ومِمَّا أدامَ الرُّزءَ تكذِيبُ صادِقٍ ... على خُبرةٍ مِنَّا، وتصديقُ كاذِب!

وقال أيضا :

ضَحِكْنا وكان الضِّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً ... وحُقَّ لِسُكَّانِ البريَّةِ أن يَبْكوا
يحطِّمُنا رَيبُ الزَّمانِ كأنَّنا ... زُجَاجٌ، ولكنْ لا يُعاد لهُ سَبْك

وقال يصف التدين الكاذب :

سبِّح، وصلِّ، وطُفْ بمكة زائرًا ... سَبْعينَ لا سَبْعًا فلَسْتَ بناسِك
جَهِلَ الدِّيانةَ منْ إذا عَرَضَتْ له ... أَطْماعُهُ لم يُلْفَ بالمُتماسِك (١)

وقال فى انطباع الناس على الشر :

لو يفهمُ الناسُ، لو أبْناؤهُم جُلِبوا ... وبيعَ بالْفَلْسِ أَلْفٌ مِنهُمُ كَسَدوا (٢)
فَوَيْحَهُمْ بئسَ ماربَّوا وَمَا حَضَنُوا ... فهْى الخديعَةُ والأضغَانُ والْحَسَدُ
وهَكذا كَان أهلُ الأَرضِ مُذْ فُطِروا ... فَلَا يُظَنَّ جَهُولٌ أنَّهُم فَسَدُوا

وقال فى مرأى الناس ومخبرهم :

يَحْسُنُ مَرْأَى لِبَنى آدَمٍ ... وكُلُّهُمْ فِي الذَّوقِ لا يَعْذُبُ

---

(١) أى : ليس كل العبادة أن تصلى وأن تحج ، فهذا جزء منها لا بد أن يتم بإمساك النفس عن أن تطمح فيما هو غير حقها .

(٢) يتمنى لو علم الناس أن أبناءهم لوكانوا عبيدا يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

مافيهمُ بَرٌّ ولا تَاسِكٌ ... إلَّا إلى نَفْع له يُجْذَبُ
أَفضلُ مِنْ أَفْضَلِهِم صَخْرَةٌ ... لا تَظْلِمِ الناسَ وَلَا تَكْذِبُ

(٤) كشاجم (١)

قال يشكو الحظ والزمن :

الحمدُ لله نالَ الناسُ حظَّهمُ ... وأخطأَتْنِي مع اسْتحقاقها الرُّتَبُ
وعاقَنِي عن طِلابِها أُصَيْبِيَةٌ ... يأْبَى فِراقَهُمُ الإشفاقُ والحَدَبُ (٢)
ولِي قَوادِمُ لو أنّى حَذَفْتُ بها ... لأَنهضتْنِي، ولكنْ أُفْرُخى زُغُبُ (٣)
وما التعجُّبُ لو أنّى ظَفِرتُ بها ... بل فى تنكُّبِها اللأواءُ، يا عَجَبُ! (٤)
فإن يكن أدبٌ من رُتبةٍ عِوَضًا ... فقد قَضَى ما عَليه العلمُ والأَدب

وقال يهجو عَوّادة :

جاءَت بعُودٍ مثلِها ناقِرٍ ... كأَنَّهُ نَقْنَقَةُ الضِّفْدعِ
مُضطرِبُ الأوتارِ منقوضُها ... مستقبَحُ المَذْعِ والمَقْطَعِ (٥)
يَودُّ مَن يسمَعُ أَصواتَه ... لو فَقَدَ السَّمْعَ ؛ فلَمْ يَسْمَعِ
وأَقبلتْ تَضرِبُ غَيْرَ الذى ... نَسْمَعُ ، والنَّغْمَةَ لم تُتْبِعِ (٦)
كأَنَّما قِسمةُ تأليفِها ... مُثَلَّثٌ مختلِفُ الأَضلُعِ (٧)

---

(١) هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وصاف الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ . وكان من خدام سيف الدولة .
(٢) أصيبية : تصغير صبية ، جمع صبى .
(٣) الأفرخ : جمع فرخ ، وهو ولد الطائر . والزغب بسكون الغين : جمع أزغب ، وحركها الشاعر لضرورة الوزن . والأزغب : الذى ظهر أول شعره أو ريشه ، يريد أبناءها الصغار .
(٤) اللأواء : الشدة .
(٥) أى الضرب فى ابتدائه وفى انتهائه .
(٦) أى تخلط نغمة بأخرى .
(٧) أى أن حركة يدها بنقل الأوتار لا تنتج ما تسمعه . وما تسمعه ليس من نغمة واحدة ، والأمور الثلاثة مختلفة كأنها مثلث مختلف الأضلاع .

قال يتغزل :

جَعَلْتُ إليكِ الهوَى شفيعًا ، فلم تَشفَعى
ونا ديتُ مستعطِفا رضاكِ ، فلم تَسمعى
أتارِكَتى مُدْنَفا أخا جَسَدٍ مُوجع
ومُغْرِيَتِى والدُّمو عُ فد أحرقَتْ مَدْمَعِى (١)
أحِينَ سلَبْتِ ٱلفُؤا دَ بالنَّظَر المُطمِع
جَفَوْتِ وأَقصيْتِنِى فهلَّا وَقلْبِى مَعى !

(٥) أبو الفرج الببغاء (٢)

قال يصف كَتِيبةً وقائدها :

ومَوْشِيَّةٍ بالبِيض والزَّغف والقَنا مُحَبَّرَةِ الأَعطافِ بالصُّمَّر القُبِّ (٣)
بعيدةِ ما بَيْنَ الجَناحَيْن فى السُّرى قريبةِ مَا بَيْن الكَمِيَّيْن فى الضَّرب
من السالباتِ الشمسَ ثوبَ ضِيائها بثَوْبٍ تَولَّى نَسجَه عِثْيَرُ التُّرب (٤)
يُعاتِب نشوانُ القنا صابى الظبا إذا ٱلتَقيا فيها ، على قِلَّة الشُّرب (٥)

---

(١) المدمع : مجرى الدمع من العين .

(٢) هو عبد الواحد بن نصر المخزومى المعروف بالببغاء الشاعر المشهور والكاتب المجيد . كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه . وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساح فى أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ هـ . وله ديوان شعر .

(٣) الزغف : جمع زغفة ، وهى الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويقال درع زغف ودروع زغف أيضا . شبه الكتيبة وما فى وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى محبر الحواشى . ٤ العثير : الغبار .

أى تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتهما .

أعادتْ عَلَيْنا الليلَ بالنَّقْعِ فى الضُّحَى ... ورَدَّتْ علينا الصُّبْحَ فى الليل بالشُّهْب

تَبَلَّجُ عَنْ شَمْسَىْ نِزارٍ ويَعْرُب ... وتَفْتَرُّ عَن طَوْدَىْ عُلاً تَغْلِبَ الغُلْب (١)

مُوَقَّرَةً يَقْتادُ ثِنْىَ زِمامِها ... بَصِيرٌ بأَدواءِ الكَرِيهةِ فى الحَرْب

أصِحّ اعتزاما من خَؤونٍ على قِلًى ... وأَنْفَذُ حُكْماً من غَرامٍ على صَبّ

(٦) عبد المحسن الصُّورى (٢)

قال يهجو بعض من ضافه (٣) :

وأَخٍ مَسَّهُ نُزُولى بقَرْحٍ ... مثلما مَسَّنِى من الجُوعِ قَرْحُ

قيلَ لى : إنّه جَوادٌ كريمٌ ... والفَتَى يَعْتَريه بُخْلٌ وشُحُّ

بِتُّ ضَيْفًا له كما حَكَمَ الدّهْـ ... ـرُ، وفى حُكْمِه على الحُرِّ قُبْحُ

قالَ لِى إذ نَزَلْتُ، وهو مِنَ السكـ ... ـرَةِ والهَمِّ طافِحٌ ليس يصحو :

لِمْ تَغَرَّبْتَ؟ قُلْتُ : قال رسول اللـ ... ـه، والقولُ منه نُصْحٌ ونُجْحُ :

سافِرُوا تَغْنَمُوا . فقال : وقد قا ... ل تمامَ الحديث: صُوموا تَصِحُّوا !

وقال فى وصف جميل يسبح فى ماء :

رأيتُ ما لم يَرَه راءِ ... ماءً غَدَا يَسْبَحُ فى ماءِ

أومأْتُ باللحظ إلى جِسْمه ... فكاد أَن يُدْمِيَه إيمائى

---

(١) أى اجتمع فيها النزاريون والقحطانيون من العرب ؛ وتغلب وهى قبيلة سيف الدولة تسمى تغلب الغلباء لشجاعتها ؛ وتجمع الغلباء على الغلب .

(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صور من ساحل الشام ، شاعر مجيد وصاف متغزل . مات سنة ٤١٩ هـ .

(٣) ضافه : نزل عليه .

(٧) تميم بن المعز الفاطمى العُبَيْدِى (١)

قال يصف فوارة فى بستان :

وقاذِفَةٍ بالمَاءِ فى وَسْطِ بِرْكَةٍ ... قد ٱلتحفَتْ ظِلّا من الأَيْكِ سَجْسَجا (٢)

اذا ٱنبثقَتْ بالماءِ سَلَّتْهُ مُنْصُلا ... وعَادَ عَلَيْهَا ذلك النَّصْلُ هَوْدَجا (٣)

تُحاوِلُ إدراكَ النُّجوم بِقَذْفِها ... كأن لها قَلْبًا على الجو مُحْرَجا

وقال أيضا فى الفخر :

ألَقَى الكَمِيَّ فلا أخافُ لِقاءَه ... ويَفُلُّ إقدامِى شَبَا الحَدَثانِ (٤)

وأكُرُّ فى صَدْرِ الخَمِيس مُعانِقًا ... للموتِ حينَ يَفِرُّ كلُّ جَبان (٥)

ويَزيدنى كَلُّ الخُطوب تَعَظُّمًا ... وتسلُّطُ الأيامِ عزَّ مكان

وعلمتُ أخلاقَ الزمان فلم أَضِق ... ذَرْعا بأيامى وغَدْرِ زمانى

وكما يَمَلُّ الدَّهْرُ من إعطائه ... فكذا مَلالتُه من الحرمان

وكما يَمُرُّ لمَعْشَرٍ بسعادَةٍ ... فكذا يكُرّ لمعْشَرٍ بهَوان

فاذا رماك بِشِدَّةٍ فٱصبِرْ لها ... فلسوف يأتى بعدها بِلَيان (٦)

وسَلِ ٱلليالى عَنْ نفاذِ عزيمتى ... وسلِ ٱلحوادثَ عن ثَباتِ جَنانى

يُخبِرْكَ عنى أنّنى لم ألْقَها ... بين العَزائم وَاهِنَ الأركان

أصبحتُ لا أشتاق إلا للنَّدَى ... أيضا ولا أهوى سِوَى الإحسان

واذا السيوفُ قَطَعْنَ كُلَّ ضَرِيبةٍ ... قَطَعَ السيوفَ القاطعاتِ لسانى (٧)

---

(١) هو أبو على الأمير تميم بن معد المعز لدين الله الفاطمى بانى القاهرة لم يكن ولى عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق وكان فى الفاطميين كابن المعتز فى بنى العباس توفى سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) السجسج : الذى لا حر فيه ولا برد .

(٣) المنصل : السيف كالنصل . الهودج : محل له قبة كانت النساء تركب فيه .

(٤) الكمى : الشجاع المقاتل . والشبا : جمع شباة : وهى : الحد .

(٥) الخميس : الجيش . (٦) الليان : اللين والرخاء . (٧) الضريبة : المضروب .

وقال فى الغزل :

شبّهتها بالبدر فاستضحكتْ ... وقابلتْ قولِى بالنُّكر
وسَفّهتْ قولى، وقالت : متى ... سُمِجْتُ ؟ حتى صِرتُ كالبدر!
والبدرُ لا يَرْنو بعين كما ... أرنو، ولا يَبْسِمُ عن ثَغْر
ولا يُميطُ المِرْط عن ناهِدٍ ... ولا يَشُدُّ العِقْدَ فى نَحْر (١)
من قاسَ بالبدر صِفَاتى فلا ... زال أسيراً فى يَدَىْ هَجْرى!

(٨) أبو الحسن التهامى (٢)

قال يرثى ابنا له مات صغيرا :

حُكْمُ المنيّةِ فى البَرِيّة جارِ ... ما هذه الدنيا بدار قَرار
بينا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبراً ... حتى يُرَى خَبَراً من الأخبار
طُبعتْ على كَدَرٍ، وأنتَ تُريدُها ... صَفْواً من الأقذار والأكدار
ومكلِّفُ الأيّام ضِدَّ طِباعها ... مُتَطَلِّبٌ فى الماءِ جَذْوةَ نار
فإذا رجوْتَ المستحيلَ فإنما ... تَبْنِى الرَّجاءَ على شفيرٍ هار (٣)

---

(١) المرط : كساء من صوف ونحوه يتخذ إزارا .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد التهامى . أصله من بلاد العرب من تهامة . جاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء فى الشام وباديتها ، وأقام بينهم ، وبعثوه جاسوسا إلى القاهرة على الفاطميين ، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليح الشعر بديه ، وذاعت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهاره .

(٣) الشفير : حافة الشيء وطرفه . وهار : منهار ، أى فإنما تبنى الرجاء على حافة تثيب منهار ، فلا يستقر بناء ، أى لا يتحقق رجاء .

فالعيشُ نـــوْمٌ والمَنِيَّـــةُ يَقظـــةٌ ... والمـــرء بينهـــما خَيـــالٌ سار

والنفسُ إن رضِيَتْ بذلك أو أَبَتْ ... مُنـــقادةٌ بأَزمَّـــةِ ٱلمِقْـــدار (١)

فٱقضُـــوا مآربكم عِجالًا إنما ... أعمارُكم سَـــفَرٌ من الأسفار

وتراكضُوا خَيلَ الشَّباب، وحاذِروا ... أن تُسْـــتَرَدَّ فإنَّهُن عَـــوَارِ (٢)

فالدهرُ يَخدَع بالمُنَى، ويُغِصُّ إن ... هَـــنّى، ويهـــدِم ما بَنَى ببـــوار (٣)

ليس الزمانُ وان حَرَصْتَ مُسالِما ... خُلُقُ الزمان عـــداوةُ الأَحْرار

* * *

يا كوكبًا ما كان أقصَرَ عمـــرَه ... وكذاك عمـــرُ كواكب الأَسحار (٤)

وهـــلالَ أيام مضى لم يستدِرْ ... بدراً، ولم يُمْهَـــلْ لوقت سِرَار (٥)

عجِلَ الخسوفُ عليه قبـــلَ أَوانِه ... فمحاه قبـــلَ مِنَنِّـــةِ الإبدار

وٱســـتُلَّ من أترابه ولِدَاته ... كالمقلة ٱستُلَّتْ من الأشـــفار (٦)

فكأن قلـــبي قـــبرُه، وكأنه ... فى طَيِّـــهِ سِـــرٌّ من الأسرار

إن يُحتَقَرْ صِـــغَرًا فَرُبَّ مُفَخَّم ... يبـــدُو ضئيلَ الشخصِ للنُّظار

إنّ الكواكبَ فى عُلُوِّ محلِّها ... لتُرى صِغارًا وهى غيرُ صِـــغار

---

(١) المقدار : ما يقدره الله من شأن .

(٢) وتراكضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فإنه عارية .

(٣) أغصه : أذاقه الغصة ؛ وهى الهم والحزن .

(٤) الكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السنة وكعطارد كذلك ، قصيرة مدة الظهور ، لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فينسخها ضوؤها .

(٥) استدارة البدر : فى وسط الشهر ، وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة من الشهر ، وهى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .

(٦) الأتراب واللدات : من يولدون فى زمن واحد .

وَلَدُ المُعَزَّى بَعْضُه ، فاذا آنقضَى ... بعضُ الفَتَى فالكلّ فى الآثار

أبكيهِ ، ثم أقولُ معتذِرًا له : ... وُفِّقْتَ حين تركتَ ألأمَ دار

جاورتُ أعدائى ، وجاوَرَ ربَّهُ ... شَتَّانَ بَيْنَ جِواره وجِوارى

أشكو بعادَك لِى ، وأنتَ بموْضع ... لولا الرَّدَى لسَمِعْتَ فيه سِرارى (١)

والشرقُ نحو الغرب أقربُ شُقَّةً ... من بُعدِ تلك الخَمْسَةِ الأشبار (٢)

هيهاتَ قد علِقَتْك أشراكُ الردى ... واعتاقَ عمرَك عائقُ الأعمار

ولقد جريْتَ كما جَرَيتُ لغاية ... فبلَغْتَها وأبُوك فى المِضمار

فاذا نطقتُ فأنت أوَّل منطِقٍ ... واذا سكتُّ فأنتَ فى إضمارى

أُخفِى من البُرَحاء نارًا مثلَما ... يُخْفِى من النار الزِّنادُ الوارى (٣)

وأُخفِّضُ الزَّفراتِ ، وهى صواعِدٌ ... وأُكَفكِفُ العبَراتِ ، وهى جَوار

وشِهابُ زَنْد الحُزْنِ إن طاوعتَه ... وَارٍ ، وإن عاصيْتَه مُتوارِ (٤)

وأكُفُّ نيرانَ الأسى ، ولربما ... غَلَبَ التصبُّرَ ، فارتمتْ بشَرار

ثوبُ الرياءِ يشِفُّ عمّا تحته ... فاذا آلتحفتَ به فإنك عار

---

(١) السرار : المسارة ؛ أى الكلام بهمس . والمعنى أنه لولا الموت لسمع ولده صوته وهو يتكلم خافتا ، فهو فى قبره قريب منه ، ولكن الموت يجعل هذه المسافة القريبة شقة شاسعة ومكانا نائيا .

(٢) الخمسة الأشبار : مسافة بعد اللحد عن ظاهر الأرض .

(٣) البرحاء : الحزن المبرح . والوارى : المتقد بالنار .

(٤) الزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار ووورى الزند : خرجت ناره ، فهو وار .

(٩) على بن النعمان [١]

قال فى وصف صديق :

صديقٌ لِى لَهُ أَدَبٌ صداقةُ مِثْله نَسَبُ
رعَى لى فوقَ ما يُرعَى وأوجبَ فوقَ ما يَجِبُ
فَلَوْ نُقِدتْ خلائقُه لَبُهْرِجَ عِندَها الذَّهبُ

(١٠) أبو الحسن على بن عبد الرحمن [٢]

قال فى الهجاء :

وذى حِرْصٍ تَراهُ يَلُمُّ وَفْرًا لِوَارثه، ويَدْفَعُ عَن حِمَاهُ [٣]
ككَلْبِ الصيد : يُمسِكُ وهْوَ طاوٍ فريستَه ليأْكلَها سِواهُ [٤]

(١١) الحسنُ بنُ الزُّبَيْر الأسوانى [٥]

قال يشتاق الى نهر بردى بالشام :

بِاللهِ يا رِيحَ الشَّما لِ إذا اشْتَمَلْتِ الرَّوْحَ بُرْدَا [٦]
وحَمَلتِ من نَشْر الخُزَا مَى فاغتدى للنَّدِّ نِدّا [٧]
ونَسَجت ما بَيْنَ الغُصُو نِ، اذا اعتنقْنَ، هوًى ووُدّا

---

(١) هو القاضى أبو الحسن على بن النعمان ، قاضى العزيز الفاطمى ، توفى سنة ٣٧٤ هـ .
(٢) هو الشهير بابن يونس المنجم المصرى من فلكيي المصريين زمن الفاطميين، توفى سنة ٣٩٩ هـ
(٣) الوفر : المال الكثير .
(٤) طاو : جوعان .
(٥) هو القاضى المهذب الحسن بن الزبير من كبار الأدباء والشعراء فى دولة الفواطم المصريين ، توفى سنة ٥٦١ هـ .
(٦) الروح : النسيم .
(٧) الخزامى : نبت عبق الزهر . والنشر : الشذا . والند : نبت طيب الرائحة .

وهززتِ عِنْدَ الصُّبحِ مِن أجيادِها لِلزَّهرِ عِقْدا
فملأتِ صَفْحةَ وجْهِه حتى اكتسى آسًا ووَرْدا
فكأنما ألَّفْتِ فيـ ـهِ منهما صُدْغًا وخَدّا:
مُرِّى على بَرَدَى، عَسا ـهُ يُزيد فى مَسراكِ بُرْدَا (١)
نهرٌ كنَصْل السيْف تكْ ـسو مَتْنَهُ الأزهارُ غِمْدا
صَقَلَتْهُ أنفاسُ النَّسـ ـيم بمَرِّهِنَّ، فليس يَصْدَا (٢)
أحبابَنا ما بالُكم فينا مِن الأعداءِ أعْدَى!
وحياةِ حُبِّكُم، بِتُرْ بَةِ وَصْلِكم ما خُنتُ عَهْدا (٣)

(١٢) ابن الفارض (٤)

قال من قصيدة:

أَبْقِ لى مُقْلَةً لَعَلِّى يَوْمًا قبلَ مَوْتى أَرَى بها مَن رآكا
أَيْنَ منّى ما رُمتُ؟ هيهاتَ! بل أيـ ـنَ لِعَيْنِي باللحظ لَثْم ثَراكا
وبَشِيرِى لو جاءَ منك بعَطْفٍ ووُجُودى فى قَبْضَتى قُلتُ: هاكا!

---

(١) البرد بضم الراء: جمع بريد؛ وهى مسافة كل منزلة لخيل البريد، وسكن الراء للشعر.

(٢) يصدا: يصدأ. وخفف الهمز لضرورة القافية.

(٣) أقسم أولا بحياة حبه لمعشوقه، ثم أقسم بتربة مواصلة المعشوق له، أى أنه لما لم يواصله، صار حكم الوصل كالميت المدفون فى قبر، فهو يحلف به إجلالا.

(٤) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد أحد كبار الصوفية وأبلغ شعرائها وأولعهم بالجناس وأنواع البديع. ولد ومات بالقاهرة، وله ديوان شعر مشروح. وأصل آبائه من حماه. توفى سنة ٦٣٢ هـ.

قد كَفَى ما جرى دمًا مِن جُفونِ ... لِيَ قَرْحَى! فهل جَرَى ما كفاكا ؟

فَلْيَحِرْ مِن قِلاكَ فِيكَ مُعَنًّى ... قَبْلَ أن يُعرَفَ الهوىٰ يَهواكا

بِٱنْكساري بِذِلَّتِي بِخُضوعي ... بِٱفتقاري بِفاقَتِي لِغِناكا

لا تَكِلْنِي الى قُوَىٰ جَلَدٍ خا ... نَ، فإني أَصبحْتُ من ضُعفاكا

كنتَ تجفُو، وكانَ لِي بعضُ صَبْرٍ ... أحسنَ اللهُ فى ٱصطبارِي عَزَاكا !

كم صُدودٍ عَساكَ تَرحَمُ شَكْوَا ... ىَ، ولو باستماع قولى : عَساكا!

شَنَّعَ المُرْجِفُون عنك بِهَجْرِي ... وأَشاعوا أَنى سَلَوْتُ هَواكا

ما بِأَحْشائهم عِشقْتُ ، فأَسْلُو ... عنك يوما. دَعْ يَهجرُوا! حاشاكا![1]

كيف أَسْلو؟ ومُقْلَتِي كلَّما لا ... حَ بَرِيقٌ تَلَفَّتَتْ لِلِقاكا

كلُّ مَن فى حِماكَ يهواكَ لكن ... أنا وَحْدِي بكلِّ مَن فى حماكا

(١٣) عمارة اليمنى[2]

قال من قصيدة يصف فيها دارا :

أَنشأتَ فيها للعُيون بدائعًا ... دَقَّتْ فأذهل حسنُها مَن أبصرا

فمن ٱلرخام : مُسَيَّرًا ومُسَهَّمًا ... ومُنَمْنَمًا ومُدَرْهَمًا ومُدَنَّرَا

---

(١) يهجروا : يقولوا باطلا وقبيحا من الكلام .

(٢) هو نجم الدين أبو محمد عمارة الحكمى ، من أهل اليمن ، دخل مصر مؤديا رسالة من أمير مكة إلى الخليفة الفائز الفاطمى ، فأعجبته مصر فأقام بها ، وأكرمه ملوكها ، فلما أباد صلاح الدين الأيوبى ملك الفاطميين فى مصر دبر عمارة مع شيعة الفاطميين المكايد لإعادة دولتهم ، وعلم بهم صلاح الدين فصلبهم وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ .

(٣) المسير : المخطط . والمنمم : المزخرف . والمسهم والمدرهم والمدنر : ما فيه صور السهام والدراهم والدنانير .

وسقيتَ من ذَوْبِ النُّضار سُقُوفَها ... حتى يَكادَ نُضارُها أن يَقْطُرا (١)

لم يَبْقَ نَوْعٌ صامتٌ أو ناطِقٌ ... إلا غدَا فيها الجميعُ مُصَوَّرا

فيها حدائقُ لم تَجُدْها دِيمةٌ: ... كلا ولا نَبَتَتْ على وَجْهِ الثَّرَى (٢)

لم يبدُ فيها الرَّوْضُ إلا مُزْهِرًا ... والنخلُ والرُّمَّانُ إلا مُثْمِرا

والطيرُ مذ وقعَتْ على أغصانها ... وثمارِها لم تستطع أن تَنْقُرا

وبها من الحيوان كُلُّ مُشَبَّهٍ ... لِبَسَ الحريرَ العَبْقَرِيَّ مُصَوَّرا

لا تَعْدَمُ الأبصارُ بَيْنَ مُرُوجِها ... ليثًا ولا ظَبْيًا بوَجْرةَ أعفرا (٣)

أَنِسَتْ نوافرُ وَحْشِها لسباعها ... فَظِباؤها لا تَتَّقِي أُسْدَ الشَّرى (٤)

وكأن صَوْلَتَك المخيفةَ أَمَّنَتْ ... أسرابَها ألّا تخافَ فتُذْعَرا

وبها زَرافاتٌ كأن رقابَها ... في الطُّول أَلْوِيةٌ تَؤُم العَسكرا

نوبيةُ المنشا تُرِيك منَ المَها ... رَوْقًا، ومِن بُزْل المَهارِي مِشفرا (٥)

جُبِلَتْ على الإقعاءِ من أعجازها ... فتخالُها في التِّيهِ تَمْشِي القهقرَى

---

(١) النضار : خالص الذهب .

(٢) الديمة : المطر يدوم .

(٣) وجرة : اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة تسكنه الوحش من الظباء وغيرها .

(٤) الشرى : مأسدة بقرب الكوفة .

(٥) الروق : القرن . والمهارى : جمع مهرية وهى الناقة المنسوبة الى بلاد مهرة شرقى حضرموت . أى أنها أشبهت بقر الوحش فى القرون ، وأشبهت الإبل فى المشافر .

(١٤) القاضى الفاضل[١]

قال من قصيدة خمرية وصف فيها بلاغته وتلاعب فيها بالمعانى مفتخرا :

قضى نَحْبَه الصوْمُ بعدَ المطالِ ... وأُطلِقَ من قَيْد فِتْر الهِلالِ[٢]

وروَّضَ كاتبَ جَنْبى اليمينِ ... وأتعبَ كاتبَ جَنْبى الشِّمال[٣]

فدَعْ ضِيقةً مثلَ شدِّ الإسارِ ... الى فُرْجةٍ مثلِ حَلِّ العِقال

وقُمْ هاتِها مثلَ ذَوْبِ النُّضارِ ... ومَوْجِ البحارِ وطَعْمِ الزُّلال[٤]

جَزى اللهُ عنِّى عَروسَ الدَّوالِى ... ولا أَخْطأَتْها كُئُوسُ العَزالِى[٥]

بما أَطعمتْ من لَذيذِ الثِّمارِ ... وما أَلْبَستْ من نَسيجِ الظلال

وماسَلْسَلَتْ من مُذَابِ السُّرورِ ... وما خَفَضَتْ من جِماحِ التغالى[٦]

فكم زَخْرَفَت جَنَّةً لِلعَذَاب ... وكم رَفعتْ قَبَسًا للضلال[٧]

---

(١) هو عبد الرحيم بن على البيسانى الخمى . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث ألم بالعربية والأدب . ثم كتب فى الاسكندرية فى دواوينها ثم ظهر فضله فنقل الى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزيره و وزر بعده لابنه العزيز وتوفى سنة ٥٩٦ هـ

(٢) قضى نحبه : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيدا باهلال هلال شوّال فلما أهل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولما ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتى عن يمينى ، وأتعب الملك الموكل بكتابة سيئاتى عن يسارى لأن حسنات رمضان كانت كثيرة وسيئات شوّال وما يليه ستكون فى العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أى هات الخمرة فى لون الذهب مزبدة كموج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدوالى : عنب أسود غير حالك ؛ يدعو لكرمة هذا العنب . والعزالى : جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية والقربة ونحوهما . يريد بها عزالى السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظلهم بعرائشها الخ .

(٦) التغالى : المغالاة .

(٧) يشير الى آثار الخمر فى عقل شاربها وما يصوره له من أفانين التخيلات .

أغالِطُ بالكأْس حُكْمَ الزمانِ فيومٌ علىَّ ويَوْم بِمَا لى (١)

فجاءتْ بِمَا فى عُيون النساءِ ومَرَّتْ بما فى رُءُوس الرجال (٢)

وأَسْلُو الغَزَال بها إذ أَرى بكاساتِها دَمَ ذاك الغزال

* * *

وسكرانَ كرَّرَ من سُكره زمانٌ على كل عقل مُمَال

فسُكْرُ الشبابِ وسكرُ الشَّراب وسكرُ الصُّدود وسُكرُ الوِصال

فلا تذكرنَّ عُهودَ الوِصال فعهدى بها والليالى ليالى

ولم أبكِ عهدًا رجاءَ الرُّجوع ولكن أُجددهُ بالصِّقال (٣)

بعثْنَ الليالى بيأْس جديد علىَّ قديما فجاستْ خِلالى (٤)

فما جاء عَن مَنطِق ذمُّ جان ولا جاء عن جوْهرى ذم حالى (٥)

ولم أستغِثْ تحتَ ظلّ الخُطُو ب جَرْجرةَ البُزْلِ تحتَ الرحال (٦)

خَشُنتُ لحالٍ كشوْك القَتاد ولِنْتُ لأُخرى كشوك السّيال (٧)

---

(١) أى و يوم يأتى بما هو لى أى بفائدة لى .

(٢) فجاءت الكأس بما فى عيون النساء من التكسر والفتور . ومرت الخ . أى وذهبت بما فى رءوس الرجال من العقل .

(٣) أى ولم أبك عهدا من هذه العهود رجاء أن يعود كما كان ولكنى أصقله بعد ما قدم بوصفى له و بكائى عليه .

(٤) إما أن يعود ضمير بعثن على العهود المتقدمة و إما على رأى من يلحق علامة الجمع بالفعل عند سناد للجمع الظاهر .

(٥) أى أنى لا أذم أحدا جانيا كان أو حاليا بالفضيلة .

(٦) البزل : الجمال المسنة . أى لا أصبح كجرجرة البزل .

(٧) السيال : جمع سيالة ، وهو نبات له شوك أبيض طو يل ، إذا نزع خرج منه سائل مثل اللبن . وهو يلين لنا زعه على العكس من القتاد ، وهو شجر صلب له شوك كالإبر ولا يستطاع نزع شوكه إلا بمشقة واحتمال أذى

ولَستُ لِسانا لِذُل السؤال وما زِلْتُ صدرًا لِعِزّ السؤال (١)
حديثٌ يُناجِى فروعَ السحاب وأصل يُناجى أصولَ الجبال

(١٥) ابن قلاقس (٢)

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سافِر إذا ما شِئْتَ قدْرا سارَ الهِلالُ فصار بدْرا
والماء يكسِبُ ما جرَى طِيبًا، ويخبُثُ ما آستقرا
وبنُقْلةِ الدُّرَر النقـ ـيّة بُدِّلت بالبَحْر نَحْرا
وَصْلًا اذا امتلأتْ يَدا ك فإن هُما خلتا فهجْرا (٣)
فالبدرُ أنفَقَ نورَه لما بَدا ثمّ آسْتَسَرّا (٤)
حَرَكاتِ عيسكَ ما أَرَدْ تَ مِهادَ عَيْشك أن تقِرا (٥)
فالمهدُ أَسكَنُ للصبـ ـيّ بحيث جاء به ومَرّا
إما تَرَيْنِي شاحبَ الـ وجناتِ قد أُلبستُ طِمْرا (٦)

---

(١) أى أنى لا أسأل الناس ولكنهم يسألوننى .

(٢) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمى الاسكندرى الملقب بالقاضى الأعز . كان شاعرا مجيدا رحالا مداحا دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءهما كما مدح أعيان دولة الفاطميين . ثم ذهب الى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيذاب ، وكان مرسى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم (الأحمر) الى الحجاز ، سنة ٤٨٦ هـ .

(٣) وصلا : أى صل وصلا . والمعنى : ابق فى بلدك .

(٤) أنفق نوره : أى لقى محبة وإعجابا ، وهو من أنفق القوم : اذا راجت تجارتهم .

(٥) حركات عيسك : أى اعمل حركة لعيسك إذا أردت قرارا لعيشك ، أى إن الغنى بالسعى وانما يسكن الصبى فى مهده اذا اهتز وجاء به الى ناحية ومر الى أخرى .

(٦) الطمر : الثوب البالى .

فوقائعُ الأيام تُخْـ ـرِجُ أهلَها شُعْثًا وغُبرا
مدّتْ الى الأربعـ ـن يدًا، وقد قهقرتُ عشْرا
واستحدثتْ فى لِمَّتى نُقَطًا . فهَـلَّا كُنَّ حِبْرا ! (١)
ما قلتُ : أُفٍّ ! فإنها شَرَرٌ بأُفٍّ يعود جَمْرا
وكفاكَ أنى إن نظر تُ لها نظرتُ النجمَ ظُهْرا (٢)
كان الشبابُ الغضُّ لي لًا فاستنار الشيبُ فجرا
ولئن تقلب بى الزما نُ كما اشتهى بَطْنا وظَهْرا
فبما قتلتُ صروفَه وقتلتُه جَلَدًا وخُبْرا
غاض الوفاءُ، وفاض ما ءُ الغَدْرِ أنهارًا وغُدْرا
فانظر بعينك هل ترى عُرفا وليس تراه نُكْرا؟
خُلُقٌ جَرَى مِن آدَمٍ فى نَسْلِهِ، وهَلُمَّ جَرّا
ومُرَوِّعِى بالبحر يَحْـ ـسَبُ أنَّنِى أرتاعُ بحرا
أو ما دَرَى أنى بِتَسْـ ـهيل المَصَاعِبِ منه أدرَى ؟

وقال مرتجلا وقد خرّ السقف عليه من أثر مطر هاطل :

ولمَّا بَدَا رَكْبُ السحاب تَسوقُه حُدَاةُ الرياح الهُوجِ وهى تُزَمْجِر (٣)
رَكَنْتُ لبيتٍ أستجنّ من الحَيَا به، واذا غيْثٌ مِنَ السقف يقطُر (٤)
فلا فَرْقَ ما بين السحاب و بينه سِوى أن ذَا صافٍ، وذاك مُكدَّر

(١) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(٢) أى إن نظرت إلى الشعرات البيض فى لمتى اسودت الدنيا فى عينى وكأنى انظر النجوم فى الظهر ، مأخوذ من المثل العامى « يريه النجوم فى الظهر »
(٣) الهوج : جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة التى لا تتوى فى هبوبها بل تتناوح .
(٤) استجن : استتر . والحيا : المطر .

وقال يصف فوارة :

وسهمٍ فـوّارة اذا انبعثتْ عاوَدتِ الجوَّ يحتدى أرضَه
كأنها خَيْمةٌ مكلّلةٌ عمودُها من سبائكِ الفِضه

وقال يصف الشمس وهى غاربة فى النيل :

انظر إلى الشمس فوقَ النيل غارِبةً وأعجَبْ لما بعدَها من حُمرة الشفَق
غابتْ، وأبْدَتْ شُعاعا منه يخلُفها؛ كأنها احترقتْ بالماءِ فى الغرق!
وللهلال، فهل وافى لينقِذَها فى إثرها زَوْرقًا قد صِيغ من وَرِق؟

(١٦) ابن النبيه المصرى[٢]

قال يصف الحياة والموت :

الناسُ للموتِ كخَيْلِ الطِّرادْ فالسابقُ السابقُ منها الجَواد
واللهُ لا يدعو الى داره إلا مَن استصلَحَ من ذِى العباد
والموتُ نقّادٌ على كَفِّه جواهرٌ يختارُ منها الجِياد
والمرْءُ كالظلِّ؛ ولا بُدَّ أنْ يَزولَ ذاك الظلُّ بعدَ امتداد
لا تصلُحُ الأرواحُ إلا اذا سَرَى الى الأجساد هذا الفساد
أرغمتَ يا موتُ أنوفَ القَنا ودُسْتَ أعناقَ السيُوف الحِداد[٣]

وقال يتغزل من قصيدة :

أفديهِ إن حفِظَ الهوى أو ضَيَّعَا ملَك الفؤاد فما عسى أن أصنعا ؟
من لم يذُق ظُلْمَ الحبيب كظَلمِه حُلوًا فقد جَهِلَ المحبةَ وادّعى[٤]

---

(١) الورق : الفضة .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد الشهير بابن النبيه المصرى صاحب الشعر الرقيق والغزل البديع . كان من خدّام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن . توفى بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ . عن نحو ٦٠ سنة .

(٣) القنا : جمع قناة وهى الرمح . (٤) الظلم : بريق ثغر الأسنان وحسنه .

يأيها الوجهُ الجميلُ تدارك الصـ ـبرَ الجميلَ فقد عفَا وتضعْضَعا
هـل فى فؤادِك رحمةٌ لِمتيّم ضمّتْ جوانحُه فـؤادًا مُوجَعا؟
هل من سبيلٍ أن أَبُثَّ صبابتى أو أشتكى بَلْوَاىَ أو أتوجّعا؟
إنى لأستحيي كما عـوّدتنى بِسوَى رِضاك إليكَ أن أتشفّعا

(١٧) ابن مطروح[1]

قال يصف حسناء تسير بليل :

وما أَنْسَ لا أَنْسَ المليحةَ إذْ بَدَتْ دُجًى فَأَضَاءَ الافْقُ من كل مَوْضع
فخِلْتُ نَفْسِى أنها الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ وأنى قـد أوتِيتُ آيَةَ يُوشَـع (٢)

وقال يتغزل :

يامن لبستُ عليـه أَثْوَابَ الضَّنَى صُـفْرًا مُوَشَّـعَةً بِحُمْـرِ الْأَدْمُعِ
أَدْرِكْ بقيـة مُهْجَـةٍ لو لم تَذُبْ أَسَـفا عَلَيْكَ نَفيتُهَـا عن أَضْلُعِى

وقال أيضا :

مَلِكُ المِـلَاحِ ترى العيـو ـن عليـه دائـرة يَطَـقْ (٤)
ومُخَـيِّم بين الضـلو ـع وفى الفُـؤَادِ لَهُ سَـبَقْ (٥)

---

(١) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهـل صعيد مصر . ولد بأسيوط ، ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة . وكان زميلا للبهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) يوشع : هو صاحب موسى عليهما السلام ، وقد وقفت له الشمس فى قصة معروفة .

(٣) ثوب موشع : فيه خطوط وطرائق .

(٤) اليطق : كلمة تركية ، ومعناها : جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه .

(٥) السبق : خيمة الملك .

(١٨) البهاء زهير[١]

قال فى الشكوى :

ليتَ شِعْرِى هل زمانى ... بعدَ ذَا البُخْلِ يجودُ؟
ما أرى الشدّة إلا ... كلما مَرّتْ تزيدُ
يقضِى يومٌ فيومٌ ... فى حديث لا يُفيد
فمتى اليومُ الذى أَبـ ... ـلغ فيه ما أُريد ؟

وقال فى عتاب الحبيب والتشوق إليه :

يعاهدُنِى : لا خانَنِى ! ثم يَنْكُثُ ... وأحلِفُ لا كَلَّمْتُه ! ثم أَحنَثُ
وذلك دَأْبى لا يزالُ ودأبُه ... فيا معشرَ الناس اسمَعُوا وتحدّثوا
أقول له : صِلْنى ! يقُول : نَعَمْ غدا ! ... ويكسِرُ جَفْنًا هازئًا بى ويعبَثُ !
وماضرَّ بعضَ الناس لو كان زارَنِى؟ ... وكُنَّا خَلَوْنا ساعةً نتحدَّث
أمولاى، إنى فى هواكَ معذَّبٌ ! ... وحتام أَبقى فى العذاب وأمكُث ؟
فخذْ مرةً رُوحى تُرِحْنى، ولم أكن ... أموتُ مِرارًا فى النهار، وأُبعَث [٢]
وإنى لهذا الضيم منكَ لحَامِلٌ ... ومنتظِرٌ لُطْفًا من الله يَحْدُث !
أعيذُكَ من هذا الجفاءِ الذى بدا ... خلائقُك الحُسْنى أرقُّ وأدمَثُ [٣]
تردَّد ظنُّ الناسِ فينا وأكثَروا ... أقاويلَ : منها ما يَطِيبُ، ويخبُث
وقد كُرِمتْ فى الحب منِّى شمائلى ... ويسأل عنى من أرادَ ويبحث!

---

(١) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر، فنشأ بقوص نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح المتقدم ذكره فكان عنده رئيس ديوان الإنشاء (بمنزلة وزير) . وتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

(٢) يقال : أخذ الشيء مرة ، أى دفعة واحدة .

(٣) المكان الدمث : اللين السهل . ودماثة الأخلاق : رقتها .

وقال فى التغزل ، وتلاعب بالتورية والطباق ومراعاة النظير :

غيرى على السُّلْوانِ قادرْ ... وسِواىَ فى العُشاق غادر

لِى فى الغرامِ سريرةٌ ... والله أعلَمُ بالسرائر

ومُشَبَّهٍ بالغُصْن قَدْ ... بى لا يزالُ عليه طائر

حُلْوُ الحديث ، وإنَّها ... لحلاوةٌ شقَّتْ مرائر (١)

أشكُو وأشكُرُ فِعْلَه ... فاعجَبْ لشاكٍ منهُ شاكر !

لا تُنكِروا خَفَقَانَ قَلْ ... بى ، والحبيبُ لدَىَّ حاضر

ما القلبُ إلا دارُه ... ضُرِبتْ له فيها البشائر

يا تارِكِى فى حُبِّه ... مثلًا من الأمثال سائر

أبدًا حديثِي ليس بالْـ ... ـمنسوخ إلّا فى الدفاتر

يا ليلُ مالكَ آخرٌ ... يُرْجَى ولا للشوقِ آخر

ياليلُ طُلْ ، يا شوقُ دُمْ ؛ ... إنى على الحالَيْن صابر

لى فيك أجْرُ مجاهد ... إن صحّ أنَّ الليلَ كافر (٢)

طَرْفِى وطرفُ النجمِ فيـ ... ـكَ كلاهما ساهٍ وساهر

---

(١) المرائر : جمع مرارة ، وهى هنة شبه كيس لازقة بالكبد .

(٢) فى كافر تورية من الكفر ، أى أن له أجر المجاهد الذى يقتل كافرا ، لأن الشاعر يقطع الليل كله ساهرا . أو من قولهم : الليل كافر ، أى ساتر .

يَهنيكَ بدرُك حاضرٌ ... ياليتَ بدْرى كان حاضر[١]

حتى يَبينَ لناظرى ... من منهما زاهٍ وزاهر

بدرى أرقُّ محاسنا ... والفرقُ مثلُ الصبح ظاهر[٢]

وقال يتغنى بأرض الوطن : مصرَ العزيزة :

سَقَى وادِياً بين العَريش و رَفْحةٍ ... من الغَيْث هَطَّالُ الشآبيب هَتَّانُ[٣]

وحيَّا النسيمُ الرطبُ عنى اذا سرى ... هنالك أوطانا إذا قبلَ أوطانُ

بِلادٌ متى ما جئتَها جئتَ جَنةً ... لعينك منها كلُّ ما شئتَ رِضوانُ[٤]

تَمثَّلُ لى الأشواقُ أنَّ تُرابَها ... وحَصْباءَها مِسكٌ يفوحُ وعِقْيانُ[٥]

فيا ساكِنِي مصرٍ تُراكُم علِمتُمُ ... بأنِّى ما لِى عنكمُ الدهرَ سُلْوانُ؟

وما فى فؤادى موضعٌ لسواكُمُ ... ومِنْ أينَ فيه؟ وهْوَ بالشوق مَلآنُ

عسَى اللهُ يَطْوِى شُقَّةَ البُعْدِ بيْنَنَا ... فَنَهدأَ أحشاءٌ وتَرْقَأَ أجفانُ

علىَّ لذاك اليومِ صومٌ نذرتُهُ ... وعندِى ـ على رأى التصوُّف ـ شُكْرانُ

---

(١) بدر المعشوق : هو الكوكب المضىء بالليل . وبدر الشاعر : هو المعشوق .

(٢) فى الفرق تورية : فرق الشعر ، وفرق ما بين الأمرين .

(٣) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . الهتان : المنصب المتتابع

(٤) الرضوان : الرضا .

(٥) العقيان : الذهب الخالص .

(ب) النـــثر

اولا ـ النـــثر الفنى

(١) أبو الفرج الببغاء

من كتاب يهنئ فيه بولاية عمل :

" سيدى — أيده الله — أرفع قدرا، وأنبه ذكرا، وأعظم نبلا، وأشهر فضلا ، من أن تهنئه بولاية ، و إن جل خطرها ، وعظم قدرها ، لأن الواجب تهنئة الأعمال بفائض عدله ، والرعية بمحمود فعله ، والأقاليم بآثار سياسته ، والولايات بسمات كياسته . فعرفه الله يمن ماتولاه ، ورعاه فى سائر ما استرعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانيه ، والتسديد فيما يبرمه و يمضيه ... " .

ومن كتاب له فى تهنئة بعيد :

" ... عرّفك اللهُ يُمنَ هذا العيدِ و بركتَهُ ، وضاعف لك إقباله وسعادته ، وأحياك لأمثاله فى أسبغ النِّعَم وأكملها ، وأفسح المُدَدِ وأطولها ، وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز المنازل وأيفعها . وحرس منحتك من المحظور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور ... " .

وله من كتاب فى التهنئة بمولودة :

" ... ومولانا — أيده الله ، مع كمال فضله ، وتناهى عقله ، وحدّة فطنته ، وثاقب معرفته — أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو أن يتسخط مواهبه الصادرة إليه ، فيرمُقَها بنواظر الفكر ، و يسلك بها غير

مذاهب الشكر. وقد اتصل بالمملوك خبر المولودة — كرم الله غرتها ، وأطال مدتها ، وعرف مولانا البركة بها ، و بلغه أمله فيها — وما كان من تغيره عند اتضاح الخبر ، و إنكار ما اختاره له سابق القدر . فعجب المملوك من ذلك واستنكره من مولانا وأنكره ، لضيق العذر فى مثله عليه . وقد علم مولانا أنهن أقرب إلى القلوب . وأن الله تعالى بدأ بهن فى الترتيب . فقال جل من قائل : "يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ" . وما سماه الله هبة فهو بالشكر أولى، وبحسن التقبل أحرى . ولكم نسبٍ أفدن ، وشرفٍ استحدثن ، من طرق الإصهار ، والاتصال بالأخيار . والملتمس من الذكر نجابته ، لاصورته وولادته. ولكم ذكرٍ الأنثى أكرم منه طبعا ، وأظهر منه نفعا . فمولانا يصور الحال بصورتها ، ويجدد الشكر على ما وهب الله منها، ويستأنف الاعتراف له تعالى بما هُوَ الأشبهُ ببصيرته، والأولى بمثله إن شاء الله تعالى" .

(٢) على بن خلف [1]

كتب فى الدعوة إلى وليمة :

"رقعتى — أطال اللهُ بقَاء سيدى — ومجلسى بمَنْ حلهَّ من خدمه ، وتركه من صنائع كرمه ، فَلَكُّ مُزَيَّنٌ بأَنْجُمِه . فإنْ رأَى أن يُطْلِعَ فيه بَدْراً بِطُلُوعه ، و ينْقُلَ قَدَمَهُ إِلَيْهِمْ ، ويُكَمِّلَ نَقْصَهُمْ بتمامه ، و يُضِيفَ ذلك إلى تليد إنعامه — فعل ، إن شاء الله تعالى" .

---

(١) من كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية ، وله فى مصطلح الإنشاء كتاب «مواد البيان» وكثيرا ما ينقل عنه صاحب صبح الأعشى .

(٣) القاضى الفاضل

وقال القاضى الفاضل عبد الرحيم البَيْسانى رحمه الله يصف مدينة آمِد[١] من رسالة جاءَ فيها :

وآمِدُ ذِكرُها بَيْن العَالَم، مُتَعالَمٌ[٢]، وطالما صادَم جانِبَها مَنْ تَقادَم[٣]، فَرَجَع عنها مَقْدُوعًا[٤] أَنْفُه وإن كَانَ فَحْلًا، وفَرَّ عنها فريدا بِهَمِّه وان آستصحَبَ خَيْلًا ورَجْلا[٥] .

ورأى حَجَرَها فَقَدَّرَ أنَّه لا يُفَكُّ له حَجْرٌ[٦]، وسَوادَها[٧] فَظَنَّ أنه لا ينسَخُه فجرٌ، وحَمِيَّةَ أَنْفٍ أَنَفَتها فاعتَقَدَ أنه لايستجيبُ لزَجْر[٨] : مِن مُلوكٍ كلُّهم قد طَوَى صدرَه على الغَليل الى مَوْرِدِها، ووقَفَ وَقْفَةَ المُحِب السائل فلم يَفُز بما أَمَّلَ من سُؤَال مَعْهَدِها .

---

(١) وهى بلدة قديمة مبنية على مرتفع من الأرض حصينة تعدّ من أكبر مدن إقليم ديار بكر . وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر . والهضبة : التى بنيت عليها سوداء. ولذلك يسميها الترك (قره آمد) أى آمد السوداء .

(٢) متعالم : معروف مشهور .

(٣) أى من تقادم من الفاتحين .

(٤) قدع أنف الفحل : ضرب أنفه ليكفه عن النوق اذا كان غير كريم خشية أن تلد منه غير نجائب .

(٥) الخيل هنا : الفرسان . والرجل : الرجالة (البيادة) .

(٦) الحجر : الحبس والحصار .

(٧) وسوادها : أى سواد هضبتها المبنية هى عليها .

(٨) الغليل : العطش ، يريد الرغبة فى فتحها .

(٤) ابن الصَّيْرفى[١]

ومن الكتابة السلطانية فصل له من كتاب بشارة بالسلامة فى ركوب الخليفة الفاطمى إلى مُصَلَّى العيد :

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد النحر سنة كذا وكذا ، وهو يوم أظهر الله فيه قوة الدولة واقتدارها ، وأوجب فيه — رغبة ورهبة — مسارعة النفوس المتخالفة إلى الطاعة وابتدارها ، وذلك أن عساكر أمير المؤمنين توجَّهت الى قصوره الزاهرة عند انفجار الفجر . وحافظت على ما تحرزه من كريم الثواب وجزيل الأجر . واستنزلت الرحمة برؤية إمام الأمة وعدَّت الإخلاص فى خدمته من أوفى الحرمات وأقوى الأذِمَّة[٢] ، وأقامت إلى أن برز أميرُ المؤمنين والأنوارُ الساطعة طَوالِعُه ، ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتُدافعه . وقصد المصلَّى فى كتائبَ لجَبَة[٣] ومواكب للتعظيم مستوجبَة ، وعزة تتبين فى الشمائل والصفحات ، وقُوَّةٍ يشهد بطيب وصفها أرج النَّفحات ، قد غدت عُدَدُهَا مُحْكمة ، وخُيُولها مطَهَّمة[٤] ، وذَوابلُها[٥] إذا ظمئت[٦] كانت مقوَّمَة ، و إذا رَوِيَت[٧] عادت محطَّمة . تقلد صفائح متى انتضيت أنصفت من الجائر الخائف ، ومتى اقتضَبت[٨] عملا

---

(١) هو أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى كان من شيوخ الكتاب فى دواوين الدولة الفاطمية ، وله عدة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل طبع بمصر . وينقل عنه صاحب صبح الأعشى كثيرا من الكتب الديوانية . مات سنة ٥٤٢ هـ .

(٢) الأذمة : جمع ذمام ، وهو الحق والحرمة .

(٣) الكتيبة : الجيش ، ولجبة : كثيرة الجلبة والأصوات لكثرة عددها .

(٤) المطهم : التام البارع الجمال من كل شىء .

(٥) الذوابل : الرماح الذابلة القنا ، أى الجافة القصب (٦) ظمئت هنا : جفت وصلبت .

(٧) واذا رويت أى من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لكثرة ما طعن بها .

(٨) فى اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقتطاع ، أو بمعنى الخروج من غرض الى آخر فى الشعر أو الكتابة .

كان اقتضابها مبيضا للصحائف . وفى ظلها معاقل للآئذين ، وبحدِّها مصارع للمنابذين . وهى للدماء هوارق ، وللهامات فوالق ، ولمستَغْلِق البِـلاد مفاتح ، ولمستَفْتَحِها مغالق . ولما انتهى الى المُصلَّى قضى الصلاة أحسن قضاء ، وأداها أفضل تأدية ، واستنزل رحمة لم تزل بصلاته متمادية ، وانتهى إلى المنبر فَرَقِيَه ، وخطب خطبة من استخلفه الله فكان مراقِبَهُ ومُتَّقِيَهُ ، ووعظ أبلغ وعظ ، وأبان عما للعامل فى نصحه فى الدنيا والآخرة من فائدة وحظ ، وعطف على الأضاحى المعدّة له ، فنحرها جاريا فى الطاعات على فعلها المتمادى ، وأضحت تتوقع التكميل بإنجاز وعيده فى الأعادى ، فالله يقضى بتصديقه ، ويَمُنُّ بتخيُّله وتحقيقه . وعاد إلى قصوره المكرمة مشكورا سعيُه ، مضمونا نفعُه ، مرضيا فعلُه ، مشمولا عبيدُه منه بما هو أهلُه . أعلمك أمير المؤمنين ذلك ، فاعلم هـذا واعمل به ، وكُتب فى اليوم المذكور .

(٥) ابن قادوس (١)

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس بوفاء النيل فى الدولة الفاطمية :

" النعم و إن كانت شاملة للا مم فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ، فأولاها بشكرٍ تنشرُ فى الآفاق أعلامه ، واعتدادٍ تُحكِمُ بإدراك الغايات أحكامه ، نعمة يشترك فى النفع بها العباد ، وتبدو بركتها على الناطق والصامت والجماد ، وتلك النعمة : النيل المصرى (٢) الذى تبرز به الأرض الجرز (٣) فى أحسن الملابس ، وتظهر حلل الرياض على القِيعانِ والبسابس (٤) ، وترى الكنوز ظاهرة للعِيان ، متبرجة بالجواهر واللجين والعِقيان . فسبحان من جعله سببا لإنشار الموات ، ووفَّر به مواد الأرزاق والأقوات " .

---

(١) هو القاضى كافى الكفاة محمود بن أسعد قادوس من رؤساء كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية .

(٢) تمييز عن نيل الفرات ، وهو خليج منه .

(٣) الأرض الجرز : التى أكل نباتها ، ولم يصبها مطر ، فلم تنبت ثانية . أو هى الأرض التى لا تنبت .

(٤) البسابس : القفار الخالية .

ثانيا ـ النثر العلمى التأليفى

(١) المعرى

من النثر العلمى التأليفى قول أبى العلاء فى مقدمة اللزوميات :

" ... وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : " إنى رفضت الشعر رفض السَّقْب غِرسه (١) ، والرأل تريكته (٢) ، والغرض ما استجيز فيه الكذب ، واستعين على نظامه بالشبهات ، فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظا للمتوسن (٣) ، وأمرا بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغِش والمكر — فهو إن شاء الله مما يلتمس به الثواب . وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك فى هذا الأسلوب ضَعُفَ ما ينطق به من النظام ، لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب الكلمة البرة . ولذلك ضعف كثير من شعر أمية بن أبى الصلت الثقفى ومن أخذ بِضَرِيَّه (٤) من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعى كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضعف . وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح ، وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ، ونعوت الخيل والإبل وأوصاف الخمر ، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف (٥) الفكر — وهم أهل مقام وخفض — فى معنى ما يدعون أنهم يعانون : من حث الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس (٦) الشقاء .

---

(١) السقب : ولد الناقة الذكر عقب ولادته ، والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرأل : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ . وقد قال هذه الجملة فى مقدمة ديوانه : سقط الزند .

(٣) المتوسن : النائم .

(٤) أى بطريقته ومذهبه .

(٥) الأخلاف : جمع خلف بكسر الخاء ، وهى حلمة ضرع الناقة .

(٦) المراس : الممارسة والمعاناة .

وهذا حين أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلا ، لكل حرف أربعة فصول ، وهى على حسب حالات الروى من ضم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة . وربما جئت فى الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ، ليكونَ قضاءَ حقٍّ للتأليف . وبالله التوفيق » .

(٢) ابن شداد [١]

فصل من كتابه " النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية " :

« . . . . كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدو ، فيسرقون من الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلا رضيعا له ثلاثة أشهر ؛ وساروا به حتى أتوا إلى خيمة السلطان ، وعرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه ، ويعطيهم ما أخذوه .

" ولما فقدته أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور طول الليل ، حتى وصل خبرها إلى ملوكهم ، فقالوا : إنه رحيم القلب ، وقد أذنا لك بالخروج ، فاخرجى واطلبيه منه ، فإنه يرده عليك . فخرجت تستغيث إلى اليَزَك ، فأخبرتهم بواقعتها ، فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان ، فلقيته وهو راكب ، وأنا فى خدمته ، وفى خدمته خلق عظيم ، فبكت بكاء شديدا ، ومرّغت وجهها فى التراب . فسأل عن قصتها ، فأخبروه ، فرق لها ودمعت عينه ، وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع فى السوق ، فارتده ، وأمر بدَفْع ثمنه إلى المشترى ، وأخذه منه ، ولم يزل واقفا حتى أحضر الطفلُ وسُلِّم إليها ، فأخذته وبكت بكاء شديدا ، وضمته إلى صدرها ، والناس ينظرون إليها ويبكون ، وأنا واقف فى جملتهم ، فأرضعته ساعة .

ثم أمر لها ، فحُمِلَتْ على فرس ، وألحقت بعسكرهم مع طفلها . فانظر إلى هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر " .

---

(١) هو القاضى بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ . وكان من خاصة صلاح الدين بن أيوب ، وملازمى ركابه .

عصر المماليك والعثمانيين

(١) الشـــعر

(١) شمس الدين محمود الكوفى

قال فى رثاء بغـــداد :

إنْ لم تُقَرِّحْ أدمُعِى أجفـانى ... من بَعْدِ بُعْدِكُمُ — فما أَجْفانى (١)

إنسانُ عينى مذ تناءتْ دارُكُمْ ... ما راقَهُ نظـرٌ الى إنسان (٢)

يا ليتنى قد متُّ قبـلَ فِراقِكمْ ... ولساعةِ التوديع لا أحيـانى!

مالى وللأيامِ شتَّتَ خَطْبُهـا ... شملِى؟ وخَلَّانِى بلا خُـلان

ما للمنـازلِ أصبحتْ لا أهلُها ... أهـلى، ولا جيرانُهـا جيرانى

وحياتِكم ما حلَّها من بَعْـدِكم ... غيرُ البِـلَى والهـدمِ والنيران

ولقدقصدتُ الدارَ بعدرحيلِكُمْ ... ووقفتُ فيها وِقْفَـةَ الحيران

وسألتُها لكن بغـيرِ تكلـم ... فتكلمتْ لكن بغـيرِ لسانِ

ناديتُها يا دارُ، ما صنع الأُلَى ... كانوا هُمُ الأوطارَ فى الأوطانِ ؟ (٣)

أينَ الذين عَهِـدْتُهم ولعزِّهم ... ذُلًّا تَخِـرُّ مَعَاقِدُ التِّيجان ؟

كانوا نجومَ من آقتدَى فعليهمُ ... يبكِى الهُـدَى وشعائرُ الإيمـانِ

---

(١) أجنى ، أفعل تفضيل من جفا الرجل يجفو ، أى : غلظ وثقل .

(٢) إنسان العين : سوادق .

(٣) الأوطار : جمع وطر ، وهو البغية والغرض

قالت : غدوا لما تبدد شملهم وتبدلوا من عزهم بهوان
كَدَمِ الفِصَادِ يُراقُ أرذلَ موضع أبدًا ويَخْرُجُ من أعزّ مكانِ
أفنتْهم غِيَرُ الحوادث مثلما أفنتْ قديما صاحبَ الإيوان (١)
لما رأيتُ الدارَ بعد فِراقِهِمْ أضحتْ مُعطَّلَةً من السكانِ
مازلتُ أبكيهم وألثمُ وَحْشَةً لجمالهم مُتَهَدِّمَ الأركان
حتى رثى لى كلُّ مَنْ : ما وَجْدُهُ وجدى، ولا أشجانُه أشجانى
أتُرَى تعودُ الدارُ تجمعنا كما كنا بكلِّ مَسَرَّةٍ وتهانى ؟
إذ نحنُ نغتنمُ الزمان وَنَجْتَنِى بيد الأمانِ قُطوفَ كلِّ أمانِ (٢)

(٢) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى (٣)

قال فى الصبابة والتحزن :

وتنبَّهتْ ذاتُ الجَناحِ بسُحْرَة بالوادِيَيْنِ فَنَبَّهَتْ أشواقى (٤)
ورْقاءُ قد أخذت فُنونَ الحُزْنِ عن يعقوبَ والألحانَ عن إسحاق (٥)
قامت تطارِحُنى الغرامَ جَهالةً من دون صَحْبى بالحِمَى ورِفاقى
أنَّى تُبارِينى جَوًى وصَبابةً وكآبةً وأَسًى وفَيْضَ مآقِى
وأنا الذى أملِى الجَوَى من خاطرى وهى التى تُملِى من الأوراقِ

---

(١) صاحب الإيوان : كسرى ، والإيوان قصره المشهور .

(٢) الأمان (الأولى) : الأمن والدعة . والأمانى (الثانية) : جمع أمنية .

(٣) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبه يستخدم المحسنات البديعية مات سنة ٦٨٠ هـ .

(٤) ذات الجناح : الحمامة والسحرة : قبيل الفجر .

(٥) الورقاء : الحمامة . يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة فى القرآن الكريم عليهما السلام ، وإسحاق أبو يعقوب عليه السلام وإسحاق بن ابراهيم الموصلى ، وهو المراد .

الأوراق : أوراق الأشجار التى تعلوها الحمامة وفى الكلمة توربة واضحة .

وقال فى الروض :

الرَّوْضُ أَحْسَنُ ما رَأَيْـ ... ـتُ إذا تَكاثَرَتِ الهمومُ

تَحْنُو علىَّ غُصُونُه ... ويرِقُّ لى فيه النسيمُ

(٣) الشاب الظريف[١]

قال من قصيدة فى الشكوى والحكمة :

أَبَتْ رِقَّتى إلَّا الذى يقتضى الهوَى ... وعَزْمِى إلَّا ما اقتضَى الرأْىُ والعقلُ

فوا عجبا أنّى خَفِيتُ، ولم أَبِنْ ... وقد راحَ مملوءًا بِىَ الحَزْنُ والسَّهْلُ ؟

طريدٌ ولى مَأْوًى، مُباحٌ ولى حِمًى، ... وحيدٌ ولى صَحْبٌ، غريبٌ ولى أهلُ

سأَجهَدُ : إمَّا للمنايا، أو المُنَى ... قُصارايَ : إمَّا النَّصرُ، أوماجَنَى النَّصْلُ[٢]

فإن لم تَصِلْنِى هِمَّتِى بِمَطالبِى ... ولم يُنْتَسَجْ للشَّيْبِ فى لِمَّتِى غَزْلُ

فلا نَظَرَتْ عَيْنِى، ولا فاهَ مِقْوَلِى ... ولا بَطَشَتْ كَفِّى، ولا سَعَت الرِّجْلُ

ومَنْ عَرَف الأمرَ الذى أنا عارفٌ ... رأى كلَّ صَعْبٍ كُلَّ إدْراكِهِ سَهلُ

خُذِ العِزَّ من أىّ الوُجُوهِ رأيتَهُ ... فلا خَيْرَ فى عيْشٍ يكونُ به الذُّلُّ

وللْمَرْءِ من داعِى الطبيعةِ قائدٌ ... إذا لم يذُدْهُ دونَه الحِلْمُ والنُّبْلُ

من التُّرْبِ هذا الطبعُ، والنفسُ من عُلًا ... فللمرءِ أنْ يَدْنو، وللمرءِ أنْ يَعْلُو

وقال فى التغزل :

يا ساكنًا قلبَىَ المُعَنَّى ... وليس فيهِ سِواكَ ثانى

لأىِّ مَعْنًى كسرْتَ قلبى ... وما اتَّقَى فيه ساكنانِ[٣]

---

(١) هو محمد بن سليمان التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١ هـ . والمتوفى سنة ٦٩٥ هـ . ويمتاز شعره بالرقة وجمال الصياغة .

(٢) قصارايَ : أى غايتى ، وبين النصر والنصل جناس غير تام . ويريد بما يجنيه النصل الموت .

(٣) فى قوله كسرت قلبى تورية ، والمقصود : إيذاء القلب بالهجر ، ويورى لذلك بالكسرة المعروفة للتخلص من التقاء الساكنين ، وكذلك فى قوله : ساكنان : يريد محبوبين .

وقال فى زيارة الحبيب :

ولقد أتيتُ الى جنابكَ قاضياً ... باللَّثْمِ للعَتَبَاتِ بعضَ الواجب (١)
وأتيتُ أقصدُ زَوْرةً أحيا بها ... فُرِددتُ - ياعَينِي - هناكِ بِحَاجِبَ (٢)

وقال فى التغزل :

بَدَا وجهُهُ من فوْق أسْمَرِ قَدِّهِ ... وقد لاح من سُودِ الذَّوائِبِ فى جُنْحِ
فقلتُ : عجيبٌ ! كيف لم يَذْهَبِ الدُّجَى ... وقد طلعتْ شَمْسُ النهارِ على رُمْحِ ؟ (٣)

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع :

لا تُخفِ ما فعلتْ بكَ الأشواقُ ... وآشرحْ هواكَ فكُلُّنا عُشَّاقُ
فعسَى يُعِينُكَ من شكوتَ له الهَوى ... فى حَمْلِهِ، فالعاشقون رِفاقُ
لا تَجْزَعَنَّ ؛ فلستَ أوَّلَ مُغْرَمٍ ... فتكتْ به الوَجَنَاتُ والأحْداقُ
واصبِرْ على هَجْرِ الحبيب فربَّما ... عاد الوِصالُ وللهَوى أخْلاقُ (٤)
كم ليلةٍ أسهرتُ أحداقِي بها ... وجْداً وللأفكارِ بى إحْداقُ (٥)
يا ربِّ قد بَعُدَ الذينَ أُحِبُّهُمْ ... عنِّى وقد أَلِفَ الفِرَاقَ فِرَاقُ
وأسودَّ حظى عندهم لمَّا سَرَى ... فيهِ بنارِ صَبابَتِى إحْرَاقُ
عُرْبٌ رأيتُ أصحَّ مِيثاقٍ لهم ... ألَّا يَصِحَّ لَدَيْهِمُ مِيثاقُ

---

(١) الجناب : الناحية والكنف .
(٢) كذلك التورية هنا فى كلمة حاجب .
(٣) يقصد بالدجى : الشعر الأسود الذوائب . وشمس النهار : الوجه . والرمح : القد .
(٤) أى من أخلاق كل معشوق أن يهجر دلالا وتجنيا ، ثم يصل بعد ذلك .
(٥) أحدق به : أحاط . أى أن الأفكار كانت تحيط بى وتساورنى .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

ومَعْشَرٍ لم تَزَلْ للحربِ بِيضُهُمُ ... حُمْرَ الخُدُودِ وما من شأنها الخَجَلُ (١)

إذا انتَضَوْها بُرُوقًا صُيِّرَت سُحُبًا ... يسيلُ من جانبَيْها عارِضٌ هَطِل (٢)

يَثْنِي حديثُ الوغَى أعطافَهم طرباً ... كأنَّ ذِكْرَ المنايا بينهم غزل (٣)

كم نارِ حربٍ بهم شُبَّتْ، وهم سُحُبٌ ... وأرضِ قومٍ بهم فاضت، وهم شُعَل (٤)

ضاءت بحسنِهِمُ تلك الخِيامُ كما ... ضاءت بوجهِ ابنِ عبدِ الظاهرِ الدُّوَل

أَغَرُّ ما أبدتِ السحبُ الحَيَا لِسوَى ... تقصيرِها عن مَدَاهُ حينَ يَنْهَمِل (٥)

تُوحِي إلَى كُلِّ قِرطاسٍ بلاغتُهُ ... سِحْرَ البيانِ، ومن أقلامِهِ الرُّسُل

سُمْرٌ تَرُوقكَ رأى العينِ عاريةً ... ومن بديعِ معانيه لها حُلَل

من كل معتدلٍ كالميلِ إنْ رَمَدَتْ ... عينُ المعالى ففيها نِقْسُه كَحَل (٦)

فللعُداةِ لديه كلُّ ما حَذِروا، ... وللعُفاةِ عليه كلُّ ما سألوا

أضحتْ يداه لِعِقْدِ الجودِ واسطةً، ... فليس يُدْرَى لجودٍ بعدَها عَطَل (٧)

وقال فى الغزل، وسلك مسلك الرسائل السلطانية فى الافتتاح بدعاء خاص

أَعَزَّ اللهُ أَنْصارَ العُيونِ ... وَخَلَّدَ مُلْكَ هاتيكَ الجُفُونِ

وضاعَفَ بالفُتُورِ لها اقتدارًا، ... وإنْ تَكُ أَضعفتْ عقلى ودِينى

---

(١) البيض : السيوف، وجعلها حمر الخدود لما يسيل فوقها من دماء الاعداء .

(٢) انتضى السيف : استله من غمده . والعارض : السحاب، و يقصد به الدماء .

(٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .

(٤) وهم سحب أى فى الكرم، وهم شعل، أى كالنار فى استئصال أعدائهم .

(٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء؛ ففى البيت توربة وحسن تعليل .

(٦) الميل : حديدة أو نحوها يكتحل بها . والنقس : المداد . والكحل : مصدر كحل .

(٧) الواسطة من القلادة : الجوهرة فى وسطها، وهى أجود الجواهر . والعطل : الخلو من الحلية .

وأبقَى دولةَ الأعطافِ فينـا، وإن جارتْ على قلبى الطَّعِين
وأسبَغَ ظلَّ ذاك الشَّعْرِ منـه على قَـدٍّ به هَيَفُ الغُصُونِ
وصانَ حِجابَ هاتيك الثَّنَايَا، وإنْ ثَنَتِ الفؤادَ إلى الشُّجُونِ
حَمَلْتُ تَسَهُّدِى والشَّيْبَ، هذا على رأسِى وذاكَ على عُيُونى

(٤) سراج الدين الوراق المصرى الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ .

قال فى شكر الله على نعمائه :

إلٰهى لقد جاوَزْتُ سبعين حِجَّةً فشكراً لنُعْماكَ الّتى ليس تُكْفَرُ!
وعُمِّرْتُ فى الإسلامِ فازددتُ بَهْجَةً ونُوراً لِذا قالوا : السِراجُ المُعَمَّرُ (١)
وعمَّمَ نُورُ الشيبِ رأْسى فَسَرَّنِى وما ساءَنى أنَّ السِراجَ مُنَوَّرُ

وقال فى لوم النفس على المعصية :

يا نَجْلَتِى وصحائِفِى سـود غَدَتْ وَصَحائفُ الأبْرَارِ فى إشْراقِ
ومُوَبِّخٌ لِى فى القيامَـةِ قال لِى : أكَذَا تكُونُ صحائِفُ الوَرّاقِ ؟ (٢)

وقال فى الترفع :

أَصُون أَدِيم وَجْهى عن أناسٍ لِقاءُ الموت عندهم الأَدِيبُ (٣)
وَربِّ الشِّعْرِ عندَهم بَغِيضٌ ولو وَافَى به لهُمُ حَبِيبُ (٤)

---

(١) البهجة : الحسن .
(٢) الوراق : مورق الكتب . وهنا تورية ظاهرة .
(٣) الأديم : البشرة .
(٤) حبيب : اسم أبى تمام الشاعر المشهور، والحبيب : المحبوب، ففى الكلمة تورية .

وقال فى الحنين إلى الأحباب :

وَقَفْتُ بأَطْلالِ الأَحِبَّـةِ سائلًا ... وَدَمْعِى يَسْقِى ثَمَّ عَهْدًا ومَعْهَـدا (١)

وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّى أُرَوِّى دِيارَهـم ... وَحَظِّى منها حينَ أَسْأَلُها الصَّدَى (٢)

(٥) نصير الدين الحمامى المصرى المتوفى سنة ٧١٢ هـ

قال :

رأيتُ شَخْصًا آكِلًا كِرْشَـةً ... وهو أَخو ذَوْقٍ، وفيـهِ فَطَنْ (٣)

وقال : ما زلتُ مُحِبًّا لَهَا، ... قلتُ: من الإيمان حبُّ الوَطَن!

وقال فى داره :

ودارِ خَرَابٍ بهـا قد نزلتُ ... ولكنْ نزلتُ الى السابِعَـهْ (٤)

طريقٌ من الطُّرْقِ مسلوكَةٌ ... مَحَجَّتُهَـا للورَى شاسِـعَه (٥)

فلا فَرْقَ ما بَيْنَ أَنِّى أَكُونُ ... بها ، أو أكونُ على القارِعَه (٦)

تُساوِرُها هَفَواتُ النسـيم ... فتُصْغِى بلا أُذُنٍ سامعـه (٧)

وأَخْشَى بها أَنْ أُقيمَ الصلاةَ ... فَتَسْجُدَ حيطانُها الرَّاكِعَه

إذا ما قرأتُ: "إذا زلزلتْ" ... خشيتُ بأن تقرأ: "الواقعة"

---

(١) العهد والمعهد : المنزل الذى لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا اليه .

(٢) الصدى : الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها ، والصدى أيضا : العطش .

(٣) الفطن : الفطنة .

(٤) نزلت (الأولى) : حللتُ . ونزلت (الثانية) : هَوَيت وسقطت ، والسابعة : أى الأرض السابعة .

(٥) المحجة : جادة الطريق . شاسعة : بعيدة .

(٦) قارعة الطريق : أعلاه . وقارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .

(٧) تساورها : توائبها .

(٦) عُمر بن الوردى[١]

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أأقتلُ بينَ جِدِّكَ والمِزاحِ ... بِنَبْلِ جُفُونِكَ المَرْضَى الصِّحاحِ[٢]

يكدِّرُنى نَواكَ ، وأنتَ صافٍ ... ويُسكِرنى هواكَ ، وأنتَ صاحى

وأبكى للغـــرامِ ، وأنت لاهٍ ... وأعْذَرُ فى الأُوامِ ، وأنت لاحى[٣]

فما لِسَراحِ دمعى من إسارٍ ... وما لإسارِ وجْدى من سَراحِ[٤]

وما لصَباحِ وجهِكَ من مَساءٍ ... وما لِمَساءِ شَعْرِكَ من صباحِ

رضاكَ الى رُضابِكَ لى دليلٌ ... أليسَ كلاهما رُوحى وراحى؟[٥]

ولى لحظٌ يطيرُ إليك شَوْقا ... فها قد طار مبلولَ الجَناحِ!

ووجهُك فوق قدِّك عرَّفانى ... بإثْمارِ البُدور من الرِّماحِ[٦]

لقد أصبحتُ من سِرِّى ودمْعِى ... لَقًى بينَ ٱستتار وٱفتضاحِ[٧]

يَحِقُّ لمن لَحَانى فيــك ذمِّى ... وحَقَّ لكاتب السِّرِّ ٱمتداحى[٨]

ولستُ سوى ٱبنِ فضلِ اللهِ أعنى ... شهابَ الدين ذى الغُرَرِ المِلاحِ

---

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات بحلب سنة ٧٤٩ هـ ، وكان شاعرا نحويا فقيها مؤرخا قاضيا

(٢) المرضى : الفواتر الناعسات والصحاح الجميلات ليس فيها مرض . وبين اللفظين : طباق .

(٣) الأوام : العطش ودوار الرأس .

(٤) أى فما لدمعى ما يوقف سيله ؛ وليس ما يخلصنى من الوجد .

(٥) الرضاب : الريق . والراح : الخمر .

(٦) الرماح : القدود .

(٧) اللقى : المطروح من الشىء .

(٨) لحانى ، عابنى ولامنى .

له قلمٌ بفضلِ اللهِ يَحيا ... لنا يحيي به بعدَ انتزاح
فما أدرِى أنقشًا فوق طِرْس ... يُطَرِّزُ أم مَسَاءً فى صباح؟
أشدُّ من القضاءِ مَضَاءَ أمرٍ ... وأجرَى فى الخُطُوبِ من الرياحِ

* * *

خذْها بنتَ ليلتها عَروسًا ... تُزَفُّ اليك كالخَوْدِ الرَّداح (١)
وما أنا شاعرٌ حاشا علومى ... ولستُ أرَى التكسبَ بالمتداح
فلى من أنْعُمِ الرحمن مالٌ ... يصونُ عن احتياجٍ واجتياح
ولم أقصدْ بمدحِكَ غيرَ ردٍّ ... أروضُ به الزمانَ عن الجماح

وكتب الى القاضى جمال الدين يوسف معاتبًا له على قصد الرحلة :

عَلامَ أردْتَ تهجُرُنى علاما ... وتُوقِظُ بالنَّوى إبِلًا نياما؟
لعلَّكَ يا جليدَ القلب تَبْغِى ... رحيلًا يُورِث الدمعَ انسجاما (٢)
فهل لاقيتَ فى حَلَبٍ هُمُومًا ... فتُزْمِعَ عن نواحِيها اهتماما؟
فلا تأخذْ دِمَشْقَ لها بَديلًا ... أغيظًا ذاك منك أمِ انتقاما؟
وإن تَكُ بالتفرُّقِ لا تُبالى ... فهذا يمنعُ العينَ المناما
وإن تَرْحَلْ لنَيْلِ غِنًى فسَهْلٌ ... غِناك هنا إذا أمسكتَ عاما
وإن ترحلْ تريدُ تمامَ جاهٍ ... فمَهْ، إنى أحذِّرُك التَّماما
وإن ترحلْ رجاءَ لاشتهار ... فكم من شُهْرَةٍ تُوهِى العِظاما
أقِمْ فى الأهلِ فى رَغَدٍ وطِيب ... بأمْرِى، واغتنمْ ذاك اغتناما

---

(١) الرداح : البدينة . والخود : الفتاة الغضة .
(٢) القلب الجليد : الغليظ الشديد . وانسجام الدامع : انصبابه .

(٧) صفى الدين الحلّى (١)

من مُلَحه :

إنّما الحَيْزَبُون والدَّرْدَبِيس ... والطَّخَا والنُّقَاخ والعَلْطَبِيس (٢)

لُغَةٌ تَنْفِر المَسامعُ منها ... حِين تُرْوَى وتَشْمَئِزُّ النفوس

وقبيحٌ أن يُذكرَ النافرُ الوَحْ ... شِيُّ منها ويُتْرَك المأْنُوس (٣)

أينَ قولِي : هذا كَثِيبٌ قديمٌ ... ومَقَالى عَقَنْقَلٌ قُدْمُوس (٤)

خَلِّ للأَصْمَعِيِّ جَوْبَ الفيافى ... فى نِشَافٍ تَخِفّ فيه الرءُوس (٥)

إنما هذه القلوبُ حديدٌ ... ولَذيذُ الألْفاظِ مِغْناطِيس

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خَلَعَ الربيعُ على غُصونِ البانِ ... حُلَلًا فواضِلُها على الكُثْبان (٦)

ونَمَتْ فروعُ الدَّوْح حتى ضَاقَتْ ... كَفَلَ الكثيب ذوائبُ الأغصانِ (٧)

---

(١) هو عبد العزيز بن على شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية . وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون . وتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) الحيزبون : العجوز أو التى لا خير فيها . الدردبيس : العجوز الفانية والداهية . والطخاء : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافى . العلطبيس : الأملس البراق .

(٣) الوحشىّ من الألفاظ : الغريب غير المألوف .

(٤) العقنقل : الكثيب المتراكم . قدموس : قديم .

(٥) الفيافى : مفردها فيفاء ، وهى المفازة لاماء فيها . جوب الفيافى : قطعها . ونشاف : جمع نشفة مثلثة النون ، وهى حجارة الحرة . وهى سود كأنها محترقة .

(٦) الكثبان : جمع كثيب ، وهو التل من الرمل .

(٧) الكفل بفتحتين : العجز .

وتتوجت هامُ الغصون ، وضرّجت ... خدَّ الرياض شقائقُ النُّعمانِ

وتنوّعت بُسُط الرّياض ؛ فزهرُها ... متباينُ الأشكال والألوانِ:

من أبيض يققٍ ، وأصفرَ فاقع ، ... أو أزرقٍ صاف ، وأحمرَ قانِي

والظلُّ يسْرق فى الخمائلِ خطوَه ... والغُصْن يخْطِر خطرةَ النشْوان (١)

وكأنما الأغصانُ سوقُ رَواقص ... قد قُيّدتْ بسلاسل الرَّيحان (٢)

والشمسُ تسْفُرُ من خلال فروعها ... نحوَ الحدائق نظرةَ الغيْران (٣)

والطّلْعُ فى خَلَلِ الكِمام كأنه ... حُلَلٌ تفتّقُ عن نُحورِ غوانِي (٤)

والأرضُ تعجب كيف تضحك ، والحيا ... يبكى بدمع دائمِ الهملان (٥)

فاصرفْ همومَك بالربيع وفضلِه ؛ ... إن الربيعَ هو الشبابُ الثانى

أنّى؟ وقد صفتِ المياه وزُخرفتْ ... جناتُ مصرَ ، وأشرقَ الهرمانِ ،

واخضرّ واديها ، وحدّق زهرُه ... والنيلُ فيه ككوثرٍ بجنانِ

وبه الجوارى المُنشآتُ ، كأنّها ... عندَ المسير تهُمّ بالطيران

والماء يُسْرِع فى التدفّق كلّما ... عجلتْ عليه يدُ النسيم الوانى (٦)

---

(١) الخمائل : جمع خميلة ، وهى رملة تنبت الشجر . يخطر : يتمايل . النشوان : السكران .

(٢) سوق رواقص مفرد السوق : ساق ، وهى : ما بين الركبة والقدم .

(٣) الغيران : شديد الغيرة .

(٤) الطلع : طلع النخلة . والخلل بفتحتين : الفرجة بين الشيئين والجمع خلال ، والكمام : وعاء الطلع . الغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الحلى .

(٥) الحيا : المطر . والهملان : الجريان .

(٦) الوانى : الضعيف

حتى إذا كُسِرَ الخليجُ وقُسِّمتْ ... أمواهُ لُجَّتِهِ على الخُلْجَانِ

ساوى البلادَ كما تُساوِى فى النَّدى ... بين الأنام مَواهبُ السلطان

مَلِك إذا ٱكتحلَ الملوكُ بنُوره ... خَرُّوا لهيبته إلى الأذقان (١)

قد عَزَّ دِينُ محمد بسَمِيِّه ... وسَمَا بنُصْرته على الأديان

شاهدتُه فشَهِدتُ لُقمانَ ٱلحجا ... ونظرتُ كِسْرَى ٱلعدْلِ فى الإيوان (٢)

ورأيتُ منه سماحةً وفصاحةً ... أعْدَى بفيْضهما يَدِى ولسانِى (٣)

وقال يهنئ المؤيد بالقدوم من الصيد :

مرحبًا بالحَيَا لكلِّ جديب ... لا عَدِمْنا نوالَه وظِلالَهْ (٤)

مَلك الجُود والثنا والمعالى ... والسجيات كلها والأصالهْ

رُقِمَتْ حُلَّةُ ٱلرياض نخِلْنا ... أنّ روْضًا قد ٱستعار خِلالَهْ

وٱبتغَى ٱلأفقَ للعلا فحسِبْنا ... أنه يُنْعِلُ الجوادَ هِلالَهْ (٥)

جاء من صيْده السعيد كبَدْر ... ما رأى الطَّرْفُ فى السَّناء مِثالَهْ (٦)

كم غزالٍ رمَى، فلو أمَّنَ الشمْـ ... ـسَ من الخوْف ما تسمَّتْ غزالَهْ (٧)

ولَعمرى لو ٱستجار به ٱلوحْـ ... ـشُ ثَنَى ـ بعدما ٱستقلَّتْ ـ نِبالَهْ (٨)

أيَّد اللهُ ملكَه ووقاه ... وحمَى سِرْبه وصان جَلالَه (٩)

---

(١) الأذقان : مفرده ذقن ، وهى فى الإنسان مجمع لحييه .

(٢) الحجا : العقل ، يريد لقمان الحكيم .

(٣) أعدى : من العدوى ، يريد أكسب يده سماحة ولسانه فصاحة مثل سماحة الملك الممدوح وفصاحته .

(٤) الحيا : المطر . النوال : العطاء .

(٥) ينعل الجواد هلاله : يجعل الهلال نعلا للجواد .

(٦) السناء : الرفعة .

(٧) الغزالة : اسم من أسماء الشمس ، والمعنى أن الملك كلف بصيد الغزلان ، فلو أراد ألا يجعل الشمس مما يصطاد ، لما كان من أسمائها : الغزالة .

(٨) ثنى : أرجع . واستقلت : يريد فارقت القوس .

(٩) حمى الله سربه : حفظ نفسه .

وقال يحرض الأمير نورالدين على ملتقى المغول وحربهم عند ما أغاروا على ماردين:

أَمِنْ حَجَرٍ فـؤادُك أَم حديدُ ... فَفِيه على الوغَى بأسٌ شـديدُ (١)

وأَطـوادٌ حُلومُكَ أم جِبـالٌ ... تَمِيـد الراسـياتُ ، ولا تميـدُ (٢)

لأنكَ كلّمـا حاولْتَ أمرًا ... يُصَوِّبُ فِعْلَك الرأْىَ السـديدُ

طلَعْتَ على العُداة، وأنتَ شمسٌ ... فذَابَ بحـرّ موقِعِها الجليـدُ

أَغَرْتَ على حِمـاهُم غيرَ عادٍ ... ولاقَوْا منكَ ما لا قتْ ثمـودُ (٣)

بجيشٍ ترجُفُ الرَّايـاتُ فيـه ... وتخفـق دونَ مَقْدَمِهِ البُنـودُ

وتهـتزُّ الذوابلُ فيـه عُجْبـا ... كما اهتزَّتْ من المَرَح القُـدودُ (٤)

عَجِلْتَ الى قراعِهِـم بعـزمٍ ... به يَدْنو لك الأَمَـدُ البعيـد

وكم وَانٍ يَعُـدُّ العجزَ حِلْمًـا ... فينـدَمُ، والنَّدامَة لا تُفيـدُ (٥)

ومَنْ يَرَ ما يُرِيدُ وكَفَّ جُبْنًـا ... رأَى مِنْ بَعْـده ما لا يُرِيدُ

---

(١) الوغى : الحرب . والبأس : القوة .

(٢) الطود : الجبل . حلوم : مفرده حلم بالكسر وهو الأناة والعقل . تميد الراسيات : تضطرب الجبال الشامخة الثابتة .

(٣) عاد : معتد ظالم . وفى الكلمة إشارة إلى (عاد) المذكورين فى القرآن الكريم وهم قوم هود الذين أهلكوا لما عصوه . وثمود قوم سيدنا صالح الذين عصوه فأخذتهم الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين .

(٤) الذوابل : الرماح الرقيقة اللاصقة بالجلد . المرح : شدة الفرح مع الإعجاب بالنفس .

(٥) وان : ضعيف . حلما : أناة وعقلا .

وقال فى فرس أدهم محجل :

ولقد أروح الى القنيص وأغتدى ... فى متن أدهم كالظلام محجل
رام الصباح من الدجى استنقاذه ... جسدا، فلم يظفر بغير الأرجل (١)
فكأنه صبغ الشبيبة هابه ... وخط المشيب، فجاءه من أسفل

وقال فى وصف عود طرب :

وعود به عاد السرور لأنه ... حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم
يغرب فى تغريده فكأنه ... يعيد لنا ما لقنته الحمائم

(٨) جمال الدين بن نباتة المصرى (٢)

قال يرثى ولدا له مات صغيرا :

الله جارك إن دمعى جارى ... يا موحش الأوطان والأوطار (٣)
لما سكنت من الترابِ حديقةً ... فاضت عليك العين بالأنهارِ
شتان ما حالى وحالك : أنت فى ... غرف الجنان، ومهجتى فى النارِ
خف النجا بك يا بنى إلى السرى ... فسبقتنى، وثقلت بالأوزار (٤)

---

(١) رام الصباح من الدجى استنقاذه : أى طلب الصباح أن ينقذه فلم يفز بغير الأرجل ، وتفسير ذلك أن الفرس أسود الجسم (أدهم) أبيض الأرجل (محجل) فالصباح له تلك الأرجل البيض ، فى حين أن الليل له سائر الجسد الأسود .

(٢) هو جمال الدين أبو بكر ولد بمصر وتوفى بها سنة ٧٦٨ هـ . ويظهر فى شعره ذوق سليم ورقة ممتازة . وهو فى هذه القصيدة يعارض أبا الحسن التهامى فى قصيدته التى رثى بها ولدا له مات صغيرا كذلك وهى من البحر والقافية ، وقد تقدمت لك فى هذا الجزء .

(٣) الأوطار : جمع وطر ، الحاجة تهتم لها وتعنى بها

(٤) النجا : مقصور النجاء ، وهو السرعة .

ليتَ الردى إذْ لم يَدَعْكَ أَهابَ بى ؛ حتى نَدُومَ معًا على مِضمارِ (١)

ليتَ القضا الجارى تَمهَّلَ وِرْدُهُ ؛ حتى حَسِبْتُ عواقبَ الإصْدارِ

ما كنْتَ إلَّا مِثْلَ لمحةِ بارقٍ ولَّى . وأَغْرَى الجفْنَ بالإمطارِ

أَبكيكَ ما بَكَتِ الحمامُ هَديلَها وأَحنُّ ما حَنَّتْ إلى الأَوْكارِ (٢)

أبكى بُحُمَّرِ الدموعِ ، وإنما تَبْكِى العيونُ نظيرَها بنُضارِ

قالوا : صغيرٌ! قلتُ : إنّ! وربما كانتْ به الحَسَرَاتُ غيرَ صِغارِ (٣)

وأحقّ بالأَحزان ماضٍ لم يُسِئْ بِيَدٍ ولا لِسْنٍ ولا إضمارِ (٤)

نَأْى اللِّقَا ، وحِماه أقربُ مَطْرَحاً يا بُعْدَ مجتمعٍ وقربَ مزارِ !

لَهَفِى لغُصنٍ راقنى بنباته لو أمهلتْه التربُ للإثمارِ

لهفى لجوهرةٍ خفَتْ ؛ فكأننى حَجَّبتُها من أدمعى بحارِ

لهفى لسارٍ حارَ فيه تجلدى وَاحيرتى بالكوكب السيارِ!

سكن الثَّرى ؛ فكأنه سكن الحشا من فرْطِ ما شُغِلَتْ به أفكارى

أَعزِزْ علىّ بأنّ ضَيْفَ مسامعى لم يحظَ من ذاك اللسان بقارى ! (٥)

أعزز علىّ بأن رحلتَ ولم تخُضْ أَقدامُ فكرِكَ أَبْحُرَ الأَشعارِ

أَعزز علىّ بأن نُثِرْتَ على الثَّرى وعليك من دمعى كُدَّرِ نِثارِ (٦)

---

(١) أهاب بى : دعانى .

(٢) الهديل هنا : أب للحمام زعموا أنه هلك فى القدم فهى تبكيه .

(٣) إن : أى نعم .

(٤) اللسن بكسر اللام : اللسان .

(٥) أعزز على : أى ما أعز ذلك على وما أصعبه . وقارى : من القرى وهو ما يقدم للضيف الطعام ، أو من القراءة ففى الكلمة تورية .

(٦) نِثار : أى منثور .

أبنيَّ، إنْ تُكْسَ التراب فإنه غاياتُ أجمعنا، وليس بعار
ما فى زمانك ما يَسُرُّ مؤمِّلًا فاذهبْ كما ذهب الخيالُ السارى
لو أنّ أخْبارى لديك توصلتْ لبكيتَ فى الجنّاتِ من أخبارى
أحزانُ مذكِرٍ، وسَلْوةُ مُفْرَدٍ، ومُقامُ مَضْيَعَةٍ، وذُلُّ جِوارِ
أبُنَيَّ، إنّى قد كَتَرْتُك فى الثَّرَى فانفع أباكَ بساعة الإقتار (١)
أبنيَّ، قد وقفتْ علىّ حوادثٌ فوقفنَ من طَلَلٍ على آثارِ
ومَضَى البياضُ من الحياة وطيبها لكنها أبقتْه فوق عِذارى (٢)
نَمْ وادِعًا، فلقد تقرَّح ناظِرِى سهرًا، ونامتْ أعينُ السُّمّارِ
أرعَى الدُّجَى وكأنّ ذيلَ ظلامِهِ مُتَشَبِّثٌ بالنَّجْم فى مِسْمارِ
خَلَعَ الصباحُ على المَجَرَّةِ سَجْفَه أم قُسِّمَتْ شمسُ النهارِ دَرارى ؟ (٣)
تبًّا لعادِيَةِ الزمانِ على الفَتَى، فلقد حذِرْتُ وما أفاد حِذارى
وحويتُ دينارًا بوجهك فانتحى صَرْفُ الزمانِ، فراحَ بالدينارِ (٤)

وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه فى والده المؤيد :

هَنَاءٌ محا ذاك العَزاءَ المقدّمَا فما عبَسَ المحزونُ حتى تبسما
ثغورُ ابتسامٍ فى ثغورِ مدامعٍ شبيهانِ لا يمتازُ ذو السبقِ منهما

---

(١) لعله يريد بساعة الاقتار يوم الحساب ، أى الاقتار من الحسنات ، وأن طفله سيكون له فى ذلك اليوم ذخرا .

(٢) يشير الى مشيبه . والعذار : الشعر المحاذى للاذن .

(٣) المجرة : منطقة فى السماء ذات نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، فترى كرقعة بيضاء . والسجف : الستر . والدرارى : النجوم . والمعنى : هل خلع الصباح بياضه على المجرة ، فهو ما تراه من بياضها ، ولا صباح بعد ذلك ، أم أن الشمس تناثرت نجوما ، هى التى أراها . وعلى ذلك لا تطلع الشمس ؟

(٤) يشبه وجه ابنه بالدينار بهجة وصفاء .

تفيضُ مجارى الدمع والبِشرُ واضحٌ ... كوابلِ غَيْثٍ فى ضُحَا الشمس قدهمى

سقى الغيثُ عنا تربةَ الملكِ الذى ... تدانَتْ له الدُّنيا وعزَّ به الحِمَى

مليكان : هذا قد هوى لضريحِهِ ... برَغْمِى ، وهـذا للا سِرَّةِ قد سما

ودوحةَ ملكٍ شاذوِىٍّ تكافأت ... فغصنٌ ذوى منها ، وآخرُ قد نما[1]

فقدنا لأعناقِ البريةِ مالكا ... وشِمنا لأنواعِ الجميلِ مُتَمِّمَا

إذا الأفضل المَلْك اعتبرتَ مَقامه ... وجدتَ زمانَ المُلْكِ قد عاد مثلما

أعاد معانى البيتِ حتى حسبتُه ... بوزنِ الثنا والحمد بيتا منظما[2]

وناداهُ مُلْكٌ قد تقادَمَ إرثُهُ ... فقام كما تَرْضى العُلا وتقدَّما

تُقَابِل منه مقلةَ الدَّهرِ سُؤْدَدًا ... صميمًا ، وتنضُو الرأى عَضْبًا مُصمِّمَا

ويقسِم فينا كل سهمٍ من الندَى ... ويبعث للا عداءِ فى الروعِ أسهما[3]

كأنَّ ديارَ المُلكِ غابٌ إذا انقضَى ... به ضيغم أنشا به الدهر ضيغما[4]

كأن عماد البيتِ غيرُ مقوضٍ ... وقد قمت يا أزكى الأنامِ وأحزما

نهضتَ فما قلنا : سيادةُ معشرٍ ... تداعَتْ ، ولا بنيانُ قومٍ تَهدَّما

أما والذى أعطاك ما أنتَ أهلُهُ ... لقَدْ شاد من عليَاكَ ركْنًا مُعَظَّما

وقد انشَرَ الإسلامَ بالخلَفِ الذى ... تمكَّن فى عليائِهِ وتحكَّما

فإن يكُ مِنْ أيوبَ نجمٌ قد انقَضَى ... فقد أطلعتْ أوصافُك الغرُّ أنجما

وإن تكُ أوقات المؤيد قد خَلَت ... فقد جدَّدَتْ عليك وقتًا ومَوْسِمَا

عليه سلامُ الله ما ذرَّ شارق ... (ورحمتُهُ ما شاء أن يترحما)[5]

---

(١) شاذوى : نسبة الى يوسف بن أيوب بن شاذى ، وهو السلطان صلاح الدين الأيوبى .

(٢) البيت : أى بيت الملك .

(٣) سهم من الندى : أى نصيب .

(٤) الضيغم : الأسد .

(٥) ذر : طلع ، والشارق الشمس .

وقال فى الناصر حسن وقد أمره أن ينسخ له ديوانه :

أحبابَنا دارُكمْ والعيشُ نَعْمانُ ... والسَّفْحُ دَمْعِى ، ودارُ القلْبِ حَرَّانُ (١)

أشكو اشتياقًا ، وما بالوصْل من قدَمٍ ... كأنَّ وصْلى لفَرْطِ الحُبِّ هِجرانُ

وربَّما رُمْتُ أن أشكو السُّهاد إلى ... عَذْل المنام ، وقلتُ : النومُ سُلْطان

يا أيها الناصِرُ السلطانُ لا غَمَضتْ ... عينٌ لها عن سَنى مَرْآكَ سُلْوانُ (٢)

كم فى ملوكِ الورَى فضلٌ ومعرِفةٌ ... كانوا ، ومثلَكَ فى ذا النحْوِ ما كانوا

إن يمضِ كِسْرَى فكم إيوانِ مَعْدَلةٍ ... لديكَ قد زانه يُمْنٌ وإيمانُ

أمَّرْتَ شِعْرَى يا خيرَ الملوكِ على ... أشعارِ قومٍ ؛ فلى أمْرٌ وديوانُ

(٩) محيي الدين بن قرناص الحموى

قال يصف روضا :

سَقْيا له رَوضا قُدودُ غصُونِهِ ... تختَال فى الأبْراد من أوْراقِها (٣)

جُنَّتْ بهِ وُرْقُ الحَمامِ صَبابةً ... أوَ ما ترى الأغْلال فى أعْناقِها؟ (٤)

---

(١) العيش : الحياة . نعمان بالفتح : واد فى طريق الطائف يخرج الى عرفات ، يقال له نعمان الأراك . ونعمان أيضا : صفة مشبهة من الفعل نعم ينعم أى صار ناعما لينا . حران : بلد بشمالى الشام .

(٢) السنى : ضوء البرق .

(٣) قدود غصونه : قامات فروعه . تختال : تعجب بنفسها مرحا ، الأبراد : الثياب ، ومفردها برد .

(٤) ورق الحمام : جمع أورق و ورقاء . والحمامة الورقاء : التى لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة الشوق وحرارته . الأغلال : مفرده غل وهو طوق من حديد يجعل فى العنق لأن المجنون كان يوضع فى أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال أيضا :

قد أتينا الرياض لمّا تجلّت ... ونحلّت من النّدى بجُمَانِ [١]

ورأينا خواتم الزّهر لمّا ... سقطت من أناملِ الأغصان

وقال يصف نهرا :

ورُبّ نهرٍ له عيونُ ... تحارُ فى وَصْفه العيُون

لمّا غدَا الريقُ منه عَذْبا ... مَالتْ إلى رَشْفه الغُصُونُ [٢]

(١٠) على بن محمود المبارك[٣]

قال يذم دار سكناه :

دارٌ سكنتُ بها أقلُّ صِفاتها ... أن تكثُرَ الحشراتُ فى جَنَباتها

الخيرُ عنها نازحٌ متباعدٌ ... والشّر دانٍ مِن جميع جهاتها

مِن بعضِ ما فيها البعوضُ عدِمته ... كم أعدمَ الأجفانَ طيبُ سباتها

وتبيتُ تُسعِدها براغِيثٌ متى ... غنّت لها رَقَصَتْ على نغماتها [٤]

رقص بتنغيص ولكن قافه ... قد قدمت فيه على أخواتها

وبها ذُبابٌ كالضّبابِ يسدُّ عين ... الشمسِ ماطَرَبى سِوَى غُنّاتها

أين الصوارمُ والقَنَا من فَتْكِها ... فينا وأينَ الأسْدُ من وَثَباتها ؟

---

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة اللآلى .

(٢) الرشف : المص .

(٣) هو على بن محمود المبارك كمال الدين بن الأعمى الشاعر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٤) تسعدها : تعاونها .

وبها خفافيشٌ تطـيرُ نهارَها مع لَيْلِها ليست على عاداتها
شوكاتها فاقتْ على سُمْـرِ القنَا فاعجَبْ لِشـدة فتـكِها وثباتها
وبها من الجُرذانِ ما قد قصَّرتْ عنه العِتـاق الجُرْدُ فِي حَمَلاتها[1]
ولها زنابير تُظَنّ عقاربا لا برءَ للمسـمومِ من لدغاتها
ولها عقاربُ كالأقارِبِ رُتَّعٌ فينـا حمانا الله لدغ حُمَاتها[2]

(١١) ابن سعيد المغربى[3]

قال يصف الجيزة :

إن للجيزةِ فى قلبى هوى لم يكن عِندىَ لِلوجه الجميل
يرقصُ المـاء بها مِن طربٍ ويميل الغصن لِلظل الظلِيل
وتود الشمس لو باتت بها فلذا تصفر فِي وقتِ الأصِيل

(١٢) محمد بن سليم المصرى[4]

كتب إلى السَّرَّاج الورَّاق فى حمار له سقط فى بئر فمات :

يَفْدِيكَ جَحْشُك إذ مَضَى مُتَرَدِّيا وبتالِدٍ يفْدى الأديبُ وطارِف
عدِم الشعِير فـلم يجِده ولا رأى تبنـا وراح مِن الظما كالتالِف
ورأى البـؤيرة غير خافٍ ماؤها فرمى حشاشـة نفسهِ لِمخاوِف
قوم يموت حِمارهم عَطَشًا لقـد أزروا بحـاتم فى الزمانِ السالف

---

(١) العتاق : الخيل . والجرد : جمع أجرد وهو السباق منها .
(٢) الحمات : جمع حمة ، وهى إبرة العقرب التى تضرب بها .
(٣) توفى سنة ٦٧٣ هـ .
(٤) هو محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم المصرى المتوفى سنة ٧٠٧ هـ .

(١٣) ابن الجنان[١]

قال يصف روضا على نهر :

ودوحٍ بدتْ معجزاتٌ له ... تبينُ عليه وتدعو إليه
جرى النهرُ حتى سقى غصنه ... فمال يقبِّل شكرا يديْه
وكفُّ الصَّبا صنعت حَلْيَه ... فأضحى الحمامُ ينادِى عليه
كساه الأصيلُ ثيابَ الضَّنَى ... فحلَّ طيبُ الدياجى لديه
وجاء النسيمُ له عائدا ... فقام له لاثِماً مِعطفيه

(١٤) محمد بن الحسين[٢]

قال فى نوح الحمام :

ولقد رأيت على الأراكِ حمامةً ... تبكى فتُسعِدُنى على أحزانِى[٣]
تبكى على غُصْنٍ وأندُبُ قامةً ... فجميعُنا يبكى على الأغصان
صَرَعَ الزمانُ وحيدَها فتعلَّلتْ ... من بعده بالنوح والأحزان
تخشَى من الأوتارِ وهى مَرُوعَةٌ ... منها ، فلِمْ غَنَّتْ علَى العيدان؟

---

(١) توفى سنة ٦٧٥ هـ .

(٢) هو الشاعر النديم ، صاحب الموصل ، توفى سنة ٦٥٨ هـ

(٣) الأراك : شجر يستاك به .

(١٥) محمد بن الحسن الصائغ العروضى[١]

قال يتشوق — وهو بمصر — إلى دمشق :

لى نحو ربعِك دائما يا جِلّقُ شوقٌ أكادُ به جوًى أتمزقُ
وهمولُ دمع مِن جوًى بأضالعٍ ذا مُغرِقٌ عينى وهذا محرِقُ[٢]
أشتاقُ مِنك منازلا لم أنسَها إنّى وقلبى فى رُبُوعِك موثقُ

(١٦) ابن دقيق العيد[٣]

قال يتمنى الجمع بين الشباب والشيب :

تمنيت أن الشيب عاجل لِمّتى وقَرَّبَ مِنى فى صِباى مَزَارَه
فآخُذ مِن عَصْرِ الشَّبابِ نشاطَه وآخُذُ من عصْرِ المشيبِ وقَارَه

وقال فى الشكوى :

لعمرِى لقد قاسيت بالفقرِ شِدَّةً وقعتُ بها فى حَيْرةٍ وشَتَاتِ
فإنْ بحتُ بالشَّكوى هتكتُ مُرُوءتِى وإنْ لم أَبُح بالصَّبرِ خفتُ مَمَاتِى
وأَعظِمْ بِهِ مِنْ نازِلٍ بمُلِمَّةٍ يزِيلُ حيائِى أو يزِيلُ حياتِى

وقال فى بعض الوزراء :

مقبِلٌ مدبرٌ بعيدٌ قرِيبُ محسِنٌ مذنِبٌ عدوٌّ حبِيبُ
عجبٌ مِن عجائِب البرِّ والبحْـر ونوع فَرْدٌ وشكلٌ غرِيبُ

---

(١) توفى سنة ٧٢٢ هـ

(٢) الجوى : شدة الوجد .

(٣) هو محمد بن على بن وهب الامام أبو الفتح بن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ

(١٧) مجير الدين بن تميم

قال يصف روضاً :

بَعَثَ النسيمُ رسالةً بقُدومه ... للرَّوْض فهْوَ بقُرْبِه فَرْحانُ

ولِطيبِ ما قرأ الهَزَارُ بِشَدْوِهِ ... مضمُونَها مالتْ له الأغصانُ (١)

وقال فى وكيل بدار القاضى بدمشق :

لا تَقْرَبِ الشرْعَ إذا لم تكنْ ... تَخْبُرُهُ فَهْوَ دقيقٌ جليلْ

ووَكِّل العِزَّ الذى وَجْهُهُ ... على نجاحِ الأمْرِ أقوى دليلْ

ولا تَمِلْ عنه الى غيرِهِ ... وحسبنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلْ

وقال فى روضة :

أرْضٌ كساها القَطْرُ حُلَّةَ سُنْدُسٍ ... رُقِمَتْ لها طُرَرٌ من الغُدْرانِ (٣)

وَفْدُ النسيم أضاعَ نَشْرَ رياضِها ... فالوُرْقُ تَنْشُدُه بكلِّ مكانِ (٤)

وكتب إلى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق :

كمالَ الدين يا مَوْلاىَ يَا مَنْ ... يُعِزُّ البحرَ فى بَذْلِ النوالِ

أتيتُ لحاجة ، فاغنَمْ ثنائى ... عليك بها وشُكْرِى وابْتِهالى

---

(١) الهزار بفتح الهاء : طائر .

(٢) يخبره : يعلمه دقيق : أمره مص .

(٣) القطر : المطر . والمعنى أن المطر كسا الأرض حلة خضراء من النبات ، رسمت لهذه الحلة طرر أى جوانب من الغدران ، أى المياه التى غادرها المطر .

(٤) أضاع : إما ضيعه أى أفقده ، وإما بثه فى الجو ، تقول : ضاع الطيب : انتشرت رائحته والنشر : الريح الطيبة . والورق : جمع ورقاء وهى الحمامة .

(٥) يعزه : يفوقه ويزيد عليه .

ولا تجعلْ سواكَ لها، فإنّى عليــكَ بِنُجْحها وَقَعَ اتّكالى
أيَحْمُـل أن يَقُول الناسُ : إنّى أتيتُ لِحَاجةٍ لم تَقْضِها لى ؟
وأُصْبِحُ بينهـم مَثَـلًا لِأنى أتانى النقْصُ من جِهَةِ الكَمال

وقال فى رثاء صديق له اسمه قطب الدين :

نأَيتم فلا قلبى عن الحـزْن مُقْصرٌ عليكم ولا جفنى يجِفُّ له غَرْب (١)
وأفلاكُ لذّاتى تَعطّل سَـيْرُها وهل فلكٌ يسرى إذا عدمَ القُطْبُ (٢)

وقال فى التشوق :

لا تبعثُـوا غيرَ الصّبـا بتحيةٍ مِن أرضكم ! فلها على جميل (٣)
خاضت دموعَ العاشقين وعَرّجت عنهم إلىّ وثوبها مبْلول

وقال فى الغزل :

وعيرنى بالشـيبِ قوم أحِبهم فقلت وشأن العاشقين التجمُّلُ :
بعثتم إلى رأسى المشيبَ بهجرِكم ومهما أتى منكمُ على الرأس يُحمل

وقال فى ليلة سكر :

وليـلةٍ بت أسقى فى غياهبها راحا تسل شبابى من يدِ الهرَمِ (٤)
مازِلت أشربُها حتى نظرتُ إلى غزالة الصُّبْحِ ترعَى نرجِسَ الظُّلَمِ (٥)

---

(١) مقصر : مقلع وكاف عن الحزن عليكم . والجفن : يريد العين . الغرب : انهلال الدمع من العين .
(٢) الفلك : واحد أفلاك النجوم . والقطب : كوكب بين الجدى والفرقدين يدور عليه الفلك .
(٣) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس . وهى ندية بليلة .
(٤) الغياهب : الظلمات . الراح : الخمر .
(٥) غزالة الصبح : الشمس . ونرجس الظلم : النجوم .

وقال يهجو :

لَمَّا جَسَسْتُكَ بالمديح ولَمْ أَكُنْ ... أَدرِى بِأَنك خاملٌ فى الناسِ (١)
ناديتُ لَمَّا أنْ جَسَسْتُك بالهِجا: ... أَكليبُ خُذْها منْ يَدَىْ جسَّاسِ!

وقال يمدح النرجس :

مُذْ لاحظَ المنثورُ طَرْفَ النَّرْجِسِ الْـ ... ـمُزْوَرِّ قال ، وقولُه لا يُدْفَعُ : (٢)
فَتِّحْ عُيونك فى سِوَاىَ ؛ فإنَّنى ... عندِى قُبَالَةَ كلِّ عينٍ إصْبَعُ

وقال فى روضة :

أيا حُسْنَها من روضةٍ ضاعَ نَشْرُها ... فنادتْ عليه فى الرياض طيورُ (٣)
ودُولابُها كانت تُعَدُّ ضلوعُه ... لكثرة ما يَبْكِى لها ويَدُورُ

وقال أيضا :

لِمَ لا أَميل إلى الرِّياض وحُسْنها ... وأَعيشُ منها تحت ظِلٍّ ضافى (٤)
والزَّهْرُ يلْقانِى بثَغْرٍ باسِمٍ ... والماءُ يَلْقانى بقلْبٍ صافى

---

(١) الجس بالشىء : المس به ، كليب : لقب وائل سيد تغلب ، وهو تصغير كلب ، جساس بن مرة : سيد بكر وقاتل كليب ، وهو أيضا صيغة مبالغة من جس ففى كل من كليب وجساس تورية .

(٢) المنثور : المتفرق وهو وصف لنوع من الزهر . طرف النرجس : عينه . المزور : المنحرف . لا يدفع : لا يرد . قبالة الشىء : تجاهه .

(٣) ضاع نشرها : يعنى انتشرت رائحتها الطيبة . الدولاب : المنجنون التى تديره الدابة .

(٤) الظل الضافى : المتسع

(١٨) الشهاب الخفاجى[١]

قال يتغزل ويتطرق إلى مدح محمد بن القاسم الحلبى[٢] :

حَتَّامَ يَغـزُونى صُدودُهْ ... والصبرُ قد كثُرتْ جُنودُه[٣]

لم أدرِ فاتـرُ جَفْنِـهِ ... والخَصْرُ أسْقمُ أم عُهودُه ؟[٤]

نَشْوانُ يَعبَثُ بى كما ... عَبِثَتْ بآمالى وُعُـودُه[٥]

لـوْلَا ميـاهُ الحُسْن جا ... لتْ فيه لاحترقتْ خدُودُه

كالصَّبّ لـولا دمْعُـهُ ... يَهْمى لأَحرقَـهُ وقُـودُه[٦]

يُخفِى الهـوَى وعيـونُه ... بغرامه المُضْنِي شُـهودُه

فسَـقَى رياضَ الحُسْن من ... دمْعِى حَيًا يَهْمى مَـديدُه[٧]

زمنٌ بِجِيـدِ اللّهْو قـدْ ... نُظِمتْ على نَسَـقٍ عُقودُه[٨]

إذْ دَوْح أُنسى يانـعٌ ... بكئوسنا انفتحتْ وُرُودُه[٩]

والكأْسُ نجـمٌ لاحَ فى ... فَلَكِ المسَرَّة لِى سُـعُودُه

---

(١) ولد فى سريا قوس وتعلم بمصر، ثم رحل الى الحرمين فالآستانة، وكان من رجال اللغة والأدب . توفى سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) أجابه محمد على هذه القصيدة بقصيدة تأتى فى ص ١٣٨

(٣) حتام أصلها (حتى ما) فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزونى يسير إلى قتالى وانتهابى. والصدود : الإعراض .

(٤) جفن فاتر : غير حادّ النظر . والخصر : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٥) النشوان : السكران . و يعبث بى : يلعب بى .

(٦) الصب : المشتاق الذى يكابد حرارة الشوق . يهمى : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله .

(٧) الحيا : المطر . المديد : الممدود المتصل .

(٨) نسق : نظام واحد .

(٩) لدوح : الأشجار العظيمة . والورود : جمع ورد .

يَصْفُو فيُحْلِي ذِكْرَ مَن ... قد زين الدنيا وُجُودُه
ذاكَ ابنُ قاسمِ الذِى ... ما زَال فى تَعَب جَسُودُه

(١٩) السيد عبد الرحيم العباسى

قال يصف ضعفه :

أرْعَشَنِي الدهرُ أىَّ رعْشِ ... وكنتُ ذا قوةٍ وبَطْشِ
قد كنتُ أمشِى ولستُ أعْيا ... فصرتُ أعيا ولستُ أمشى

وقال يشكو من الأصدقاء :

مالى أرى أحبابَنا فى الناس ... صاروا كمثْلِ حَبَابِنا فى الكاس (١)
بينا يَرُوقُك عند أوّل نَظْرةٍ ... كاللُّؤلُؤ المتناسقِ الأجْناس
فإذا أعدْتَ الطرفَ فيهم لم تجد ... شَيْئًا، وصار رَجَاؤُهم كاليَاس

وقال يصف الصداقة الحق :

لستُ عن وُدّ صديق سائلًا ... غيرَ قلبى فهو يَدْرِى وُدَّهُ
فكما أعلَمُ ما عندى لهُ ... فكذا أعلم مالى عنْدهُ

وقال فى لئيم ابتدأه بالتحية :

رأيتُ لئيمَ قومٍ فى ممَرّ ... وبين يديْه أشْخَاصٌ لِئامُ
فسلّمَ مِنْ جهالتِهِ ابتداءً ... فقلتُ لهُ : متَى كَسَد السَّلامُ؟ (٢)

---

(١) الحباب : ما يرى على الماء من الفقاقيع ولا يلبث أن يفنى .
(٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج ، يريد : متى امتنع ؟

وقال فى الحكمة :

حالُ المُقِلِّ ناطِقٌ عَمَّا خَفِى مِنْ عَيْبِهِ
فإن رَأيْت عاريًا فلا تَسَل عن ثوْبه

(٢٠) محمد بن القاسم الحلبى

قال يجيب الشهاب الخفاجى على قصيدته التى تقدمت [١] :

للظبى لفتته وجِيـــده والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهـــو بالذى فى ثغره منـــه نضيده[٢]
وبوجهه شرك العقو ل ، فأى عقل لايصيده ! ؟[٣]
فى كل يومٍ للهـــوى من حسنِه معنًى يزيده
يستوقف الأبصـار حتى لا يسوغ لهـا وروده
ملِك تحكم فى الجما ل فنال منه ما يريده
ما زال يسطو فى الورى من فعـــل مقلته جنـوده
حتى ظننـــا أنه بالأجر آثره شهيـــده
يبـــدى الصـدود وكلما صانعته عنـــه يعيـده[٤]
أتراه يجحد ما لقيـــــت به وهل يغنى جحوده
وهـــو النهـار إذا بدا من نفسهِ قامت شهوده
كضيـاء مولانا "شِهـا ب" الفضل إذ طلعت سعوده
ما زال يسمو فى سمـا ء المجدِ زيَّنها وجوده ؟

---

(١) انظر ص ١٣٦ (٢) النضيد : المتسق المرصع (٣) الشرك : المصيدة
(٤) صانعته عنه : أى حاولت أن أرده عنه ، وأغريه بالوصل .

حتى تقطعتِ المطا مِع عنه واستعفى حسوده
وقَاد فِكرٍ ، أى خطـ ـيب ليس يُطفئه وُقوده[1]
كرمت له همم إلى غير العلا ليست تقوده
يزهو على جِيدِ الزما ن بما ينمقه فريده[2]
مِن كل سجع من مزا يا الحسنِ قد نظمت عقوده
وإذا ذكرت الشعر فهو كما سمعت به لَبيده[3]
قد كنت أجهد فى ابتغا ءِ لقاءِ أيام تُفيده
حتى وفَتْ لِي بالذى قد كان فى أملى وعوده
فلقيتُه البَحرَ الخضـ ـمَّ يفيضُ للعافين جُوده
متدفِّقًا بالفضْل تخشَى ان يُفرِّقها وُفُوده
مولاى ، عذرًا إنها من خاطِرٍ قد جفَّ عوده
بعدَتْ بقولِ الشِّعرِ فى عَهْدِ الصِّبا حِينًا عهوده
لبي دُعاك ، وأىُّ مو لًى لا تُلَبيه عبيدُه ؟
ما ضرَّه عيدٌ نأى ما دَامَ مِنْ لقيَاك عيده

(٢١) أحمد بن على العلقمى

قال يتمدح :

بأبصارِنا وجهك المذهب يكاد سَنَى برقِهِ يذهب
وأشواقنا فيك لا تنقضِى وشمسُ حمالك لا تغرب

---

(١) وقوده : اتقاده .

(٢) الفريد : صغار اللؤلؤ تفصل بين العقد المنظوم من اللؤلؤ والذهب ، ويريد الشاعر أن ما يكتبه الممدوح من نثر وشعر يكون كالعقد المفصل فى جيد الزمن .

(٣) لبيد : شاعر جاهلى وأحد أصحاب المعلقات .

وحبك فِي المـاءِ مستودع واشربه كل من يشرب
وفى كل عينٍ وقلبٍ به مشيرا لك المنزل الأرحب
وذاتك جنـــة أهلِ النهى ونفسك عنصرها أطيب
فمن غيرِ نطقِك لا نشتفِى ومن غيرِ ذاتِك لا نطرب
وكم لك مِن رتبٍ فى العلا تعالى العـــلا إذ لها ينسب(١)

(٢٢) عبد الرحمن بن عماد الدين

قال فى الموت وطلب الرحمة :

قدشاب فودِى حين شاب فؤادى فـكأنما كانا على مِيعـادِ(٢)
حسن الخواتم أرتجِى مِن محسنٍ قد منَّ لِى قِدما بحسن مبـادِى
وعمادِى التوحيد فهو وسِـيلتى فِى نيلِ ما أرجوه عند معـــادى(٣)
إن قِيل : أى سـفينةٍ تجرِى بلا ماءٍ وليس لأهلِهـا مِن زادِ
قل : رحمة الرحمن من أنا عبده تسع العباد ، فمن هو ابن عِمادِ

(٢٣) الأمير محمد بن منجك

قال متغزلا :

تناهى عنـــده الأمل وقصر دونه العـــذل(٤)
رشا يفـــتر عن بردٍ تكاد تذيبـــه القبل(٥)

---

(١) أى أن العلا يشرف ويسمو إذا حصلت على رتبة عالية .
(٢) الفود : الشعر على جانب الرأس مما يلى الأذنين .
(٣) المعاد : الحياة الأخرى . (٤) تناهى : انتهى ، والعذل : اللوم والعتاب .
(٥) رشا : أصله رشأ فسهلت همزته وهو الظبى إذا قوى ومشى مع أمه ، يفتر : يضحك ضحكا حسنا . البرد : حَبّ الغمام يشبه به الأسنان . القبل : جمع قبلة .

يخامرُ عطفه ثَمَلٌ يميل به ويعْتدلَ (١)

يُمثّلُ ما يروقُ لنا بِصَفْحةِ حدّه الخجَلُ

فليْتَ به كما اتصلَتْ حَشَايَ الطَّرْفَ يتصلُ (٢)

إذا مَا الخِدْرُ أبرزَهُ تَنَاهَبُ حُسْنَهُ المُقَلُ (٣)

لقَدْ أغراهُ فى تَلَفِى شبابٌ ناضرٌ خَضِلُ (٤)

وقدٌّ حَشْوُه هَيَفٌ وطَرْفٌ ملؤُه كَحَلُ (٥)

(٢٤) ابراهيم بن المبلط

قال من قصيدة طويلة فى الغزل :

حَدَّثَتْ بَانَةُ الحِمَى عن صَبَاها عن ثَنِيَّاتِ مَكَّةٍ عَنْ صَفَاهَا (٦)

أَنَّ عَصْرَ اللِّقَاءِ آنَ وَوَافَى ، وزَمَانَ النوَى انْقَضَى وتَنَاهَى (٧)

ونَسِيمِ الصَّبَا يُؤَدِّى الأَمَانَا تِ إلَى أهْلِهَا كما قَدْ رَوَاهَا

كَمْ نَسِيمٍ سَرَى فَسَرَّ قُلُوبًا شَفَّهَا البُعْدُ والنَّوَى فَشفَاهَا (٨)

---

(١) يخامر : يخالط . والعطف : الجانب . والثمل : السكر .

(٢) أى فليت عينى تراه وتتصل به ، كما اتصل به قلبى عشقا ومحبة .

(٣) الخدر : ستر يمد للمرأة من ناحية البيت . وتناهب أصلها ، تتناهب ، حذفت إحدى التاءين تخفيفا . ويجوز أن تكون فعلا ماضيا . أى نهبت .

(٤) الخضل ، الندى المبتل ، يريد النعومة واللين .

(٥) القد : القامة . الهيف : ضمور البطن والخصر .

(٦) البانة : واحدة البان ، شجر معروف . الحمى : مايحمى ويحفظ من كل شىء . الصبا : ريح . ثنيات مكة : جبالها . والصفا من مشاعر مكة فى جنوب المسعى

(٧) آن : حان وقرب . ووافى : أتى . تناهى : انتهى .

(٨) شفها البعد : هزلها .

تَعرِفُ العاشقينَ منها نَسيمًا ... تُ ، وَهُمْ يَعرِفُونَهَا بِشَذَاها

إِنَّ أَيْدِى الفِرَاقِ جَارَتْ عَلَيْنَا ... فى قَضَاءٍ فَحَسْبُها وكَفَاها

آه وَاوَحْشَتِي لأَحْشَاءِ قَلْبِي ... وَقَلِيلٌ قَوْلِي على البُعْدِ : آهَا

(٢٥) نور الدين العسيلى

قال يصف دولابا[٢] :

ودُولَابٍ مَرَرْتُ به سَحَيْرًا ... يَئِنُّ كأَنَّهُ الصَّبُّ المَرُوعِ[٣]

غَدَتْ أَضْلَاعُه تنهد سُقْمًا ... ويُفْنِي جِسْمَهُ صَبُّ الدُّمُوعِ[٤]

يَدُورُ كَمَنْ أَضَلَّ الإِلْفَ مِنْهُ ... وذَاقَ تَشَتُّتَ الشَّمْلِ الجَمِيعِ[٥]

فقلتُ لهُ : فَدَيْتُكَ مِنْ كَئِيبٍ ... كَسَاهُ الهَمُّ أَثْوابَ الخُشُوعِ

علامَ أَراكَ تبكى كلَّ وَقْتٍ ... وتهتِفُ فى المنازِلِ والرُّبُوعِ[٦]

فقَدْ قَرَّبْتَ لى حُزْنًا بعيدًا ... ونَحَّانى نُوَاحُكَ عن هُجُوعِى[٧]

فقالَ : أَمَا علمتَ بأَنَّ مِثْلِى ... خَلِيقٌ بالصَّبَابَةِ والوُلُوعِ؟[٨]

فإنى كنت فى روضٍ رفيعٍ ... أَبِيتُ مِنَ الأَزَاهِرِ فى جُمُوعِ[٩]

---

(١) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .

(٢) الدولاب بضم الدال وفتحها : الساقية ، وهى كلمة دخيلة عربها العرب .

(٣) سحيرا : تصغير سحر ، وهو قبيل الصبح . والمروع : من راعه الهم وأفزعه .

(٤) صب الدموع : انسكابها .

(٥) أضل الألف : أفقده ، تشتت الشمل الجميع : تفرق ما اجتمع من أمره .

(٦) تهتف : تصيح . والربوع : جمع ربع وهو الدار .

(٧) نحانى : أبعدنى . الهجوع : النوم ليلا .

(٨) الصبابة : رقة الشوق وحرارته .

(٩) الرفيه : المستريح المتنعم .

ولِي فى المُنْتَمَى أعْراقُ صِدْقٍ ... أُصُولٌ أنْجبتْ أزْكَى فُرُوعِ (١)

إذَا مَا الْوَرْدُ قابَلَنِي وَحَيَّا ... تَضَرَّجُ وجْنَتاهُ بالنَّجِيعِ (٢)

ويَصْفَرُّ الْبَهَارُ لَدَىّ خَوْفًا ... كَصُفْرَةِ عاشِقٍ صَبٍّ مَرُوعِ (٣)

وإنْ قصَدَتْ بنُو الآدابِ رَبْعِى ... أَجُودُ مِن النِّثَارِ على الجَمِيعِ (٤)

فَقَيَّضَنِى الشَّقاءُ إلَى غَبِيٍّ ... شَدِيدِ البطْشِ جَبَّارٍ قَطُوعِ (٥)

فألقانى على رَأسِى صَرِيعًا ... وأنتَ مشاهِدٌ حالَ الصَّرِيعِ

وقَطَّع لُطفَ أوْصالى بعُنْفٍ ... وصار يَدُقُّ عَظْمِى فى ضُلوعِى (٦)

فَصِرتُ أرَى الَّذِى قَدْ كانَ دُونِى ... أنَافَ ، وصَارَ ذَا شأْوٍ رَفِيعِ (٧)

عَلَى قَلْبِى أدُورُ عَنًا وأَبْكِى ... عَلَيْهِ أَسًى كَمُقْلاتٍ هَلُوعِ (٨)

فكَيْفَ أُلَامُ؟ إنْ أَدْمَنْتُ نَوْحِى ... وَجُدْتُ بمَدْمَعِ الطَّرْفِ الهَمُوعِ (٩)

وحَالِى ناصِحٌ أبْنَاءَ جِنْسِى ؛ ... فَلَا تَعْتَدَّ بِالجِذْعِ المَنِيعِ (١٠)

فانَّ الدَّهْرَ كالصَّيَّادِ كَيْدًا ... وأسْبَابُ القَضا شَرَكُ الوُقُوعِ (١١)

---

(١) المنتمى : النسب والأصل . (٢) النجيع : الدم الضارب الى السواد .

(٣) البهار : نوع من النبات يسمى العرار .

(٤) ربعى : دارى . النثار : المنثور ، يريد نثار الأزهار .

(٥) فقيضنى : جاء بى . (٦) لطف أوصالى : دقة مفاصلى .

(٧) أناف : ارتفع . الشأو : الغاية ، والرفيع : العالى .

(٨) العنا : أى العناء ، وهو هنا الخضوع والذلة . والمقلات : ناقة تلد واحدا ، ثم لاتحمل بعده ، وامرأة لايعيش لها ولد . الهلوع : كثير الجزع .

(٩) أدمنت نوحى : أدمته . الطرف الهموع : العين الكثيرة سيل الدموع .

(١٠) الجذع : ساق النخلة . والمنيع : القوى الحصين الذى يمتنع على من رام اقتلاعه .

(١١) الشرك : حبائل الصائد ، الواحد شركة

(٢٦) الأستاذ الإمام أبو المواهب البكرى

قال يصف يوم مرح وأنس :

يا يَوْمَ بُـولَاقَ وأُنْسِى بِهِ ... حَكَاكَ مِنْ شَوَّالَ يَوْمُ الْهِلَالْ

وأقبَلَ النيـلُ جَنُـوبًا، وَمَا ... مِنْ عَارِضٍ إلَّا نسيمُ الشَّمَالْ (١)

يا عَارِضًا أوْجبَ للنيـل مَا ... سَلْسَلَهُ ، وهْوَ طليقُ المجَالْ (٢)

وقَهْـوَةٍ تَنْضَحُ مِسْـكًا ، وَلَا ... بِدْعَ ؛ ففِى الفنْجَانِ شكْلُ الغَزَالْ (٣)

حَبَابُهَا مِنْ فوقِها مانعٌ ... نِفَارَهُ ؛ فَهْـو شِبَاكُ اللآلْ (٤)

تُدِيرُهَا هَيْـفَاءُ مَمْشُـوقَةٌ ... خَـوْدٌ تَثَنَّتْ فى بُرُودِ الدَّلالْ (٥)

كادَ حِجَا مَنْ أقْبلَتْ نحوَهُ ... يَذْهَبُ مِنْ رَنَّاتِ تِلك الحِجَالْ (٦)

بِغُـرَّةٍ أوْ طُـرَّةٍ وَزَّعتْ ... أفكارَنا بينَ الهُدَى والضَّلَالْ (٧)

تَقولُ للشمس، وقَدْ أقبلتْ: ... تَلَثَّمِى ما أنْتِ إلَّا خَيَـالْ

---

(١) عارض : مانع يمنع من المضى .

(٢) سلسله : أجراه فى حدور . طليق المجال : غير مقيد فى جولانه وسيره .

(٣) القهوة : من أسماء الخمر . لابدع : معناه لا عجب . والمسـك : من دم دابة كالظبى يقال لها غزال المسك . والمعنى : أن هـذه الخمر يفوح منها طيب كالمسك ، ولا عجب ، فان صورة الغزال على الفنجان الذى فيه الخمر .

(٤) الحباب : نفاخات الماء التى تعلوه . واللآل : اللآلئ .

(٥) الهيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر . ممشوقة : حسـنة القوام . الخود : الحسنة الخلق الشابة . تثنت : تمايلت . البرود : الثياب . الدلال : هو جرأة المرأة فى تكسر ، كأنها مخالفة وليس بها خلاف .

(٦) الحجال : الخلاخيل .

(٧) الغرة : الوجه . والطرة : الناصية .

(٢٧) الشيخ عبد الله الشبراوى[١]

قال فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف الذى حضر من البلاد الرومية ، و بعد أن بات ليلة وجد مذبوحا :

أيها القومُ وَيْحَكُمْ ! قد هَدَمْتُمْ ... بِنْيَةَ اللهِ ، واتّهمتُمْ عِبادَهْ[٢]

وذَبَحْتُمْ هذا المهذَّبَ غَدْرًا ... وقَطَعْتُمْ بِغِلْظَةٍ أوْرَادَه[٣]

ثم نُحتُم عليه زُورًا : ولكنْ ... ذاكَ أمرٌ قَضَى الإلٰه نَفَادَه[٤]

أيها النائحون مَهلًا ! فَمَنْ ذَا ... نَالَ من دهرِه الحَنُونِ مُرادَه

لا تُطِيلوا على النقيبِ نحيبًا ... فهو بالذَّبْحِ نال أعلَى سَعادَه[٥]

كم نبيٍّ وصالحٍ ووَلِيٍّ ... ماتَ قتلا ، ونال أَجْرَ الشهادَه

هذه سُنَّةُ الأماجِدِ قِدْمًا ... لِحُسَيْنٍ وسَعْدِ بْنِ عُبادَه

حازَ هذا الشريفُ لُطفًا من اللـ ... ـهِ وساوَى فى حَوْزِه أجداده

لوُفورِ الأُجُور والرتبةِ العلْـ ... ـيا وحُسْنَى من ربِّنا وزِيادَه

يا خليلِي لا تأسفنَّ وأرِّخْ ... قَدَّرَ اللهُ قتلَهُ وأراده

٢٢ ١١ ٣٠٤ ٦٦ ٥٣٥ ٢١٧

---

(١) توفى سنة ١١٧٣ هـ .

(٢) بنية الله : ما بناه الله .

(٣) الغدر : ترك الوفاء . الوريدان : عرقان فى العنق والجمع : أوردة وورود ، لا أوراد ، كما جمع الشاعر .

(٤) نفاده : فناءه ، يريد : وقوعه .

(٥) أى أنه مات مقتولا مظلوما ، فكان جزاؤه الجنة ، ونال سعادة الدار الأخرى ، وهى الباقية الخالدة .

وقال فى بعض أسفاره متشوّقاً الى مصر :

أعِدْ ذِكْرَ مصرٍ، إنَّ قَلْبَى مُولَعٌ ... بمصرَ، ومَنْ لى أنْ ترَى مُقْلَتِى مِصرا؟ (١)

وكرّر على سمْعِى أحاديثَ نِيلِها، ... فقد ردَّتِ الأمواجُ سائلَهُ نَهْرَا

بلادٌ بها مدَّ السماحُ جَنَاحَهُ ... وأَظْهَرُ فيها المجدُ آيتَه الكُبْرَى (٢)

رُوَيْدًا إذا حدَّثْتَنِى عن رُبُوعِها، ... فتطويلُ أخبارِ الهَوَى لذةٌ أُخْرَى

إذا صاحَ شُحْرورٌ على غُصنِ بانَةٍ ... تذكَّرتُ فيها اللحظَ والصَّعْدَةَ السَّمْرَا (٣)

عَسَى نحوَها يَلوِى الزمانُ مَطِيَّتِى ... وأَشهدُ بعد الكسْرِ من نِيلِها جَبْرَا

لقد كان لى فيها مَعَاهِدُ لذةٍ ... تَقَضَّتْ وأَبْقَتْ بعدَها أَنْفُسًا حَسْرَى

---

(١) مولع : مغرم . المقلة : شحمة العين التى تجمع سوادها وبياضها .

(٢) السماح : الجود والكرم كالسماحة .

(٣) الشحرور : طائر . الصعدة : القناة المستوية يشبه بها قد الفتاة .

(ب) النـــثر

أولا ــ النـــثر الفنى

(١) الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى[١]

قال يصف بستانا :

" فوصلنا إلى بستان قد أخذ زخرفه وتزين ، وفاضت عيونه غيرة من نازليه وتلوّن ، تنساب جداولُ جوانبه كالأراقم[٢] ، ويصفّق النهر لرقص الغصون على غِناء الحمائم ، ويهُبّ النسيم فينقّطُها من الزّهر بدنانيرَ ودراهم ، قد تطاولَ فيـه من ألبان كلُّ قدٍّ مخطوف ، وخجِل فيه من الوَرْد كلُّ خدٍّ موصوف ، فأجلسنا النَّرْجِس على عينيـه وأحداقه ، وظلّلنا الغُصنُ بستائر أوْراقه ، وحيّـا منثورُه الأبيضُ والأزرقُ بالأَصابِع ، وفتح كفوفَه الصُّفْرَ وهو مِنّا غَيْرانُ[٣] فاقع ، وجرَى النَّهْرُ بين أيدينا متواضِعًا بسجوده ، وشبَّ الشُّحْرور بِمِنقاره لمّـا تَغنّى الهزَار على عُوده ، قد رقّ نسيمه وراق ، وجذب الحمائم الى الغِناء بالأطواق :

أظنُّ نسيمَ الرَوْض لِلزَّهْر قد رَوَى ... حديثًا فطابتْ من شـذاه المسالكُ

وقال :

إذا ما دنا فصل الربيع ؛ فكلُّه ... ثغورٌ لمـا قال النسيم ضواحكُ

---

(١) ولد بصفد سنة ٦٩٦ هـ . وتلقى العلم بدمشق عن ابن نباتة وعن أبى حيان اللغوى وغيرهما ، وتولى ديوان الإنشاء بصفد والقاهرة وحلب ، وهو كاتب شاعر مؤرخ . توفى سنة ٧٦٤ هـ .

(٢) الأراقم : جمع أرقم ، وهو الحية .

(٣) غيران : من الغيرة والتحسر ، وفاقع الصفرة شديد .

قد شابَ ذلك الزهرُ قبل شَبابه، وغناه الطيرُ فتساقطَ من طَربه وإعجابه، ومرّ عليه النسيمُ بذيْله البَليل، فشبَّ حتى عجِبنا من حصول الشفاء من العليل. فيالها روْضةً صدحتْ أطيارُها فأطربت الأشجار، وألبستْنا ثوبَ الخَلاعة عند خلْع العِذار:

انظرْ إلى الروْض النضير كأنما ... نُشِرَتْ عليه مُلاءةٌ خَضْراءُ

أنّى سَرحْتَ بلحْظ عيْنك لا ترَى ... إلا غديراً جَال فيه الماءُ

وترَى بنفْسك عِزةً فى دوْحه ... إذ فوْق رأْسِك حيث سِرتَ لِواءُ (١)

والماءُ قد رقّ وراق، وتَسلْسل وهو فى الإطلاق، وجرَى فتكسَّر، وصفا ولم يتغيَّر، وصاحَبَ النَّسَماتِ وحالَفها، وقاطعَ الأغصانَ وخالفها؛ وأتتْه الرياحُ للزيارة من شِعابها وهِضابها، وسَرَق حُلِيَّ الأغصان فضمَّها فى صدره وجَرَى بها؛ والعيونُ ترمُقه فى جريه ومسيره، وهو لا يفترُ عن تصفيقه وخريره؛ حتى خشينا عليه التكسير من التمادِى، ورجوْنا من ماء عينيْه رِىَّ كلِّ صادِى (٢):

يا حُسْنَه من جَدْوَلٍ متدفقٍ ... يَلْهو بِرَوْنق حسنِهِ مَنْ أبصرا

ما زِلْتُ أنْذِرُه عيوناً حوْله ... خوفًا عليه أن يُصابَ فيعثُرا

فأبَى وزادَ تمادِيًا فى جَرْيه ... حتى هوَى من شاهقٍ فتكسَّرا (٣)

ولم يزل الطير يَسعى بين النهر والغصن فى الاتفاق، ويكرِّر ألحانَه ويُراسِل فى الأوراق، ويجتهد فى الصلْح ويَدْعو اليه، ويَحرِص على الوفاء ويحرِّض عليه.

---

(١) أى تشعر كأنك قائد جيش، لما يطلك من شجر عظيم كأن الألوية فى مقدمة الجيش.

(٢) الصادى: العطشان.

(٣) الشاهق: المكان العالى.

وقام الشحرور بينهما واعظًا وخطيبا ؛ فأجدَتْ مَواعظُه وكان قلبُ النهر صافيًا وقريبا . وقامَ النَّسْرين[1] من السُّرور على ساق ، وجذب كلَّ صَدوح للغِناءِ بالأطواق ، وتبسمُتْ من الأُقحوان[2] الثغور ، ونَسمَتْ نفحاتُ المِسك والكافور ؛ واعتلّ النسيمُ غَيْرةً وتغيُّر ، فتولّى وهو بذيله يَتعثَّر ، وجعل يجرُّ من الحياء ذيولًا على الأغصانِ ، فتعتنق أعناق المواصل الغضبان :

فى روْضةٍ علّم أغصانُها ... أهلَ الهوَى العذرىّ كيفَ العِناقْ

هبَّتْ بها ريحُ الصَّبا سُحْرةً ... فالتفّت الأغصان ساقًا بساق

وبكى النهرُ على مُواصَلةِ الغُصون ، وخرَّ لديها وفاضتْ منه العيون ، ومثَّلها فى قلبه شغفًا وحبًّا ، وصار بها من دون الصَّبَا صَبًّا :

والنهر قد عَشِق الغُصونَ فلم يزل ... أبدًا يمثِّل شخصَها فى قلبه

حتى إذا فطَن النسيم بفَاءه ... من غَيْرةٍ فأزالها من قُرْبه

وغدا عليه مُهَيْنِمًا بعِتَابه ... سِرًّا بجِدّ وجْهَه من عَتْبه[3]

فلم يَزْجُرِ النهرَ عن حُبِّ الغُصون زاجرٌ ولا عاذِل ، ولم يُجِب العَذْل إلا بدمعه السائل ، وصار يردّ بَرْد الهَوَى بحرِّ هواه العُذرى ، وغدا ساعيًا بسعادة الأغصان يَجرِى ، فقنع منها بأدنى وِصال ، وربما اقتصر منها فى الحب على الخيال :

---

(١) النسرين بكسر النون وقيل بفتحها : ورد أبيض طيب الرائحة

(٢) الأقحوان : نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة ، تشبه بها الأسنان .

(٣) الهينمة : الصوت الخفى

ونَهْرٍ يُحِبُّ الدوْح أصبحَ مُغرمًا يروحُ ويغـدُو هائمًا بوصالها
إذا أبعدت عنـه شكا بخريره جفاها وأضحى قانعا بخيالها

(٢) القلقشندى[١]

من رسالة للقلقشندى عن الملك الناصر فرج بن برقوق الى صاحب فاس فى ذكر وقعة تيمرلنك :

وتحركنا من الديارِ المصرية فى جيوشٍ لا يأخذها حصر ، ولا يلحقها هصر[٢] ولا يظن بها على كثرةِ الأعداد كسر، ولم نزل نحث السير ونسرع الحركة للقاءِ العدو إسراع الطير ، حتى وافينا دِمشق المحروسة فنزلنا بظاهِرِها[٣] ، مستمطِرين النصر فى أوائل حركتنا وأواخرِها ،وانضم من عساكر الشامِ وعربانها ، وتركمانها الزائدة على العـدّ وعشرانِها ، مالا ينقطع له مدد ، ولا يدخل تحت حصر ولا عدد ، وأقبـل القوم فى لفِيف[٤] كالجراد المنتشِر ، وأمواج البحرِ التى لاتحصر : من أجناسٍ مختلِفة ، وجموع على تباينِ الأنواع مؤتلِفة . وتراءى الجمعانِ ، فى أفسحِ مكان ، ورأى كل قبيل الآخر رأى العين وليس الخبر كالعِيان . واعتد الفريقان

---

(١) هو أبو العباس احمد بن على القلقشندى ، صاحب كتاب " صبح الأعشى فى كتابة الإنشا " ولد فى قرية قلقشندة من قرى القليوبية بمصر سنة ٧٥٦ هـ . من بيت عربى ، وقد تأدب فى القاهرة وألف مؤلفات عدة أشهرها ما ذكرنا ، وعاش فاضلا مبجلا حتى توفى سنة ٨٢١ هـ .

(٢) الهصر : الكسر . أى لاتلحقها هزيمة ولا انكسار .

(٣) ظاهرها : ضواحيها .

(٤) اللفيف : الجماعة ، أى فى جيش

للنزال ، واحتفروا خنادق للاحتراس ، وتبوأنا مقاعد للقتال ، ولم يبق إلا المبارزة والتقاء الصفوف والمناجزة[١] ، إذ ورد وارد من جهتهم بطلب الصلح والموادعة ، والجنوح إلى السلم وقطع المنازعة ، فأجبناهم بالإجابة ، ورأينا أن حقن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأى إصابة ؛ وكتبنا إليهم فى ضمن الجواب :

لما أتانا منكم قاصد يسأل فى الصلح وكف القتال

قلنا له : نعم الذى قلته والصلح خير ، وأجبنا السؤال

(٣) القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر[٢]

من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشرا بفتح صافيتا :

فمن ذلك حصن الأكراد الذى تاه عطفه على المماليك والحصون ، وشمخ بأنفه عن أن تمتد إلى مثله يد الحرب الزبون[٣] ، وغدا جاذبا بضبع[٤] الشام ؛ وآخذا بمخانق بلاد الإسلام ؛ وشللا فى يد البلاد ، وشجا فى صدر العباد ، تنقض من عشه صقور الأعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة ، وتربض بأرضه[٥] آساد تحمى تلك الآجام[٦] وتفوق من قسيه[٧] سهام تصمى مفوقات السهام ؛ تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفى كرام أموالهم وهم صابرون

---

(١) المناجزة : المدافعة .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامى المصرى أحد المتعصبين لطريقة القاضى الفاضل فى اتباع البديع ، وخاصة التورية فى الشعر والنثر ، وكان من رؤساء ديوان الإنشاء فى دولة المماليك البحرية . وتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٣) الحرب الزبون : التى يدفع المتحاربون فيها بعضهم بعضا من الكثرة . (٤) الضبع : العضد .

(٥) الأرباض : جمع ربض ، وهو المأوى ، والمراد هنا بالأرباض : النواحى والجهات .

(٦) الآجام : جمع أجمة ، وهى بيت الأسد .

(٧) القسى ، جمع قوس . وتفوق : أى تصيب وتسدد .

لا مُصابِرون . كم شكتْ منه حماةُ[١] قِلةَ الإنصاف ، وكم خافتــه معَرَّةُ وما من معَرَّةٍ خاف . ما زالت أيدى الممالك تمتدُّ الى الله بالدعاء عليه تشكو من جَوْرِ جِوَاره تلك الحصونُ والصَّيَاصِى[٢] ، وتبكى بمدمع نهرها من تأثيرِ آثارِه مع عِصيانها وُناهيك بمَدْمَع العاصِى[٣] ؛ حتى نَبَّــه اللهُ ألحاظَ سيوفِ الإســلام من جُفونها ، وَوَفَّى النُّصْرَةَ ما وجب من دُيُونها . وذاك بأنّا قَصَدْنا فسيحَ ربْعه ، ونزلْنا ونازَلْنــا محمىَّ صُقْعِه[٤] ، وختمنا بنِصالنا على قلبه وسمعِه ، وله مدن حوله خَمس هو كالراحةِ وهى كالأَنامِلِ ، وتكاد بُرُوجه تُرَى كالمطايا المُقَطَّرَةِ[٥] وهى منهــا بمنزلةِ الزَّوامل[٦] ؛ ما خَيَّمْنا به حتى استَبَحْنا محمىَّ تلك المدائنِ المكنِىِّ عنها بالأرباض ، وأسَحْنا بساحاتها بحرًا من الحديد ما اندفَعَ حتى فاض ، وأخذنا الثُّقُوب فى أَسْوارٍ لا تُنْقَضُ ولا يَنْقَضُّ بُنيانُها المَرْصُوص ، ولا تَقرأ المعاوِلُ ما لِخَوَاتِم أبراجِها من نُقُوشِ الفُصوص ؛ ونَصَبْنا عليها عِدَّةَ مجانيقَ[٧] حُمِلَتْ فى شواهق الجبال ، على رُءُوس الأبطال ؛ فتغَيَّظتِ السَّمْهَرِيَّةُ[٨] أنَّ الذى تقومُ به هــذه تلك به لا تقوم ، وأنّ ما منها إلا له مِن الأيدى والرءوس مقامٌ معــلوم ؛ وصار يَرْمِى بهــا كلُّ كمىٍّ مختَلِس وأَرْوَعَ منتَهِسٍ[٩] ، وكلُّ ليثِ غابة يحميها وتحميــه !

---

(١) حماة اسم بلد ، وكذلك المعرة .
(٢) الصياصى : الحصون الرفيعة .
(٣) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماه .
(٤) الصقع : الناحية والجهة .
(٥) المقطرة : المصفوفة واحدا خلفه واحد . فهى قطار .
(٦) الزوامل : جمع زاملة وهى الدابة التى يحمل عليها من الابل وغيره .
(٧) المنجنيق : آلة كانت تستعمل فى الحروب ترمى بها الحجارة .
(٨) السمهرية : الرماح وهى صفة لها .
(٩) النهس : النهش ، والمنتهس مشتق منه ، المختلس : اليقظ المتحين للفرصة حتى يتمكن من القتل .

فشكرًا لأسود حتى غاباتُها تفترس ؛ الى أن جَثَتْ أسوارُها على الرُّكب وكانت سِهامُ مجانيقِها تَميلُ من العُجْب[1] فصارتْ تَميدُ من العَجَب[2] ، وكانتْ تَطْلُبُ فصارتْ تَهْرُب من الطَّلَب الخ .

(٤) الإمام ابن حبيب الحلبي[3]

قطعة من كتابه نسيم الصبا ، الفصل السادس فى البحر والنهر :

هزتنى رياح الأمل البسيط[4] ، الى امتطاء ثَبَج[5] البحر المحيط ، فأتيتُ سفينةً يطيب للسَّفْرِ مَثواها ، وركبت فيها بسم الله مَجْراها ومُرْساها ، مُوقِنا بأن المقدور صائر ، معرضا عن قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ أخْشَى ... على منه المعاطبْ[6]

طِين أنا ، وهْو ماء ، ... والطين فى الماء ذائب

يا لها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذات دُسر[7] وألواح ، تجرى مع الرياح ، وتطير بغير جَنَاح ، وتعتاض عن الحادى بالملّاح[8] ، تخوض وتلعَب ، وتردُ ولا تشرَب ، لها قِلاع كالقِلاع[9] ، وشِراع يحجُب الشُّعاع ، وسكينة وسُكّان[10] ، ومكانة وإمكان ، وجُؤْجُؤ[11] وفَقار[12] ، وأضلاع محكمة بالقار ، وجسم عار عن الفؤاد ، وهو فى عين الماء

---

(١) تميل من العجب : تهتز من الزهو والخيلاء .
(٢) تميد من العجب : تضطرب وتتزلزل من الدهشة والتحير .
(٣) المتوفى سنة ٧٧٩ هـ .
(٤) البسيط : المبسوط الفسيح . (٥) الثبج : وسط الشىء ومعظمه .
(٦) المعاطب : جمع معطب وهو موضع العطب والهلاك .
(٧) الدسر : جمع دسار ، وهو خيط من ليف تشدّ به ألواح السفينة .
(٨) من يسوق الإبل ويغنى لها . (٩) جمع قلعة . (١٠) سكان السفينة : ذَنَبها .
(١١) الجؤجؤ : الصدر . (١٢) القار : الزفت .

نزلة السواد، بعيدة مابين السَّحْر[1] والنحر، من احسن الجوارى المنشئات فى البحر، مقود بنواصيها الخير كالخيل، لا تَمَلُّ من سير النهار ولا من سُرَى الليل

مارأى الناس من قصور على الما ء سواها تَسير سيْرَ القِداح[2]

كأنها وَعِلٌ[3] يَنحط من شاهق، أو عِرْباض[4] سابق يحثه سائق، أو عقربٌ شائلة[5]، أو عُقاب صائلة، أو غراب أَعْصَم، أو تمساح أو أرقم، أو ظَليم[6] نفر فى الظلام، أو جواد فز مستنكفًا من صحبة الأنام. حاكمها عادل فى حكمه، عارف بنقض أمرها وبَرْمه، يهتدى بالنجوم، ويبتدئ بآسم الحى القيوم[7]، يبرز من نواتيها[8] فى جنود، ويشمل إحسانهم أهلها أيقاظا وهم رقود، يتأنقون فيما يعملون ويفعلون ما يؤمرون:

يُكثرون الصِّياح حتى كأنّ السـ ـفْنَ تجرى من خوْفِ ذاك الصِّياح

---

(١) السحر: الرئة.

(٢) جمع قدح وهو السهم، أى تنطلق مسرعة.

(٣) الوعل: تيس الجبل.

(٤) العرباض: الغليظ من الإبل

(٥) شائلة: أى رافعة إبرتها التى تلسع بها.

(٦) الظليم: ذكر النعام.

(٧) القيوم: من أسمائه تعالى، ومعناه: الذى لاند له، أو القائم بذاته.

(٨) جمع نوتى: وهو الملاح فى البحر.

(٥) شهاب الدين محمود الخفاجى (١)

"المقامة الساسانية"

حدّثنا مالكُ بنُ دينار ، عن مُسافِر بن يسار، قال : كنتُ والشبابُ غُرابُه لا يُطار ، وثمراتُه الجَنِيَّةُ تُجنَى من رياض الأخبار ، أهوَى السّياحَة والناسُ ناس والديارُ ديار، والدهرُ غِرٌّ لم يَفْطُنْ لتلوُّن الليل والنهار :

ولم أر يومًا فى ظلامِ مَفارِقى ... شِهابَ مَشيبٍ لاحَ فى الإثرِ مُنْقَضًّا

فسِرْتُ فى الأرض لأنظرَ آثارَ رحمته ، وأرَى مآثرَ الطرازِ الأول فى أعلام حُلّته ؛ فإن من جَدّ وجَد ، ومن توانى فَقَدْ فَقَد ، رافعًا عصا التَّسيار ، على كاهل الاعتبار ، رافضًا الاستراحةَ فى مَهْدِ الدَّعَة ، مشيِّعًا قلبًا فارَقَ حبيبًا وَدَّعه ، فاطِمًا أملا عن دَرِّ أنيس ارتضعه . أَضرب كرة الأرض بِصَوْلجَان الهمَّة ، لا أعبأ بقامَةٍ غير قائمة وهِمَّةٍ هِمَّة (٢) . أتدرَّع بُرْد الليل ، لأنه أخفَى للوَيْل ، وأشُقُّ أديمَ النهار للسيْر ، ولم أقُل ليس للعصا سير ، كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور ، ورَقٍ جفَّ فألوَتْ به (٣) الصَّبا والدَّبور . كأننى

---

(١) ولد فى سرياقوس ، وتعلم بمصر ، ثم رحل الى الحرمين فالآستانة . وكان من رجال اللغة والأدب ، وله تواليف معروفة ، وهو ممن كتبوا المقامات . توفى سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) الهم والهمة بالكسر : الشيخ الفانى . أى همة ضعيفة .

(٣) ألوت به : أى طارت به . والصبا والدبور : ريحان .

على غُصن بانةٍ خَضِل[1] تَثْنيه ريح الصَّبا هنا وهنا أو قَذًى فى عيون البلاد، أو عَيْر شَرُود ترميه الروابى للوِهاد[2]

كأنى من الوَجْناءِ[3] فى مَتْن مَوْجةٍ ... رمتْنى بحارٌ مالهنّ سواحل

حتى أتيت كُورة[4] خُراسان، فإذا بها قَيْلٌ[5] نَصَبَ عِرْضَه لِسهام الهوان، مقلِّداً فى ترجيح البخْل مذهبَ سهلِ بن هارون، كأنه لم يَسمع قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولئك هُمُ الْمُفْلِحُون ﴾ فطويتُ حديثَه على عَرِّه[6]، وأتيته لأقف على جَلِيَّة أمره، فلما جُسْتُ خِلالَ إيوانه، قرأتُ عُنوانَ حَالِه على وُجوه غِلمانه. وسمعتُه يقول لِمَنْ آمترى أخلاف درَّته[7]، وشبِع من خُلَّته[8] وحَمْضه برؤْية جَرَّته: يا هذا صناعتُنا واحدة، لو لم تدرُج من عُشِّك كانت الراحة فائدة!

ثم قال لى: أىُّ البلادِ تُهدى سلامَها، وأىُّ زهرةٍ تحيّةٍ فتحتْ لك النسماتُ أكمامَها؟ قلتُ: الكِنانةُ المُعزِّية، والخطَّةُ التى هى فى حَضانة نيلها مَحْمِيَّة، رياضُها تَحيا بأنهاره، وأصابعُه[9] تُشير لكنوز خِصْبٍ تُسْتَخْرج من معادن أقطاره، إلّا أنّ أصابع الناس فى الراحة[10] والأيادى، وفى أصابعه أيادٍ[11] وراحةٌ لكل حاضر وبادى.

---

(١) الخضل: الندى المبتل.

(٢) العير: الحمار. والروابى: الأمكنة العالية. والوهاد: الأمكنة الواطية.

(٣) الوجناء: الناقة الشديدة.

(٤) الكورة: الناحية، وتطلق على المدينة.

(٥) القيل: الأمير المتولى أمور الكورة.

(٦) العر: العيب والشر.

(٧) امترى: جذب الضرع للحلب. والأخلاف: جمع خلف، وهو حلمة ضرع الناقة، والدرة: اللبن أو سيلانه وكثرته.

(٨) الخلة: ما فيه حلاوة من النبات، والحمض ما فيه ملوحة.

(٩) فى الأصابع تورية، لأنها تطلق على الأصابع المعروفة، وعلى أجزاء يقاس بها النيل

(١٠) الراحة: الكف.

(١١) الأيادى هنا: النعم والآلاء.

فإن سألتَ عن حالى ففؤادى بها فؤادُ أُم موسى فارغٌ من آمالى . وما حالُ وِرْدة فارقت نَسَماتِ القَبُول[1] ؟ فحداها السَّمُوم وقادها الذُّبول :

فتأملْ كيف يَغْشَى مُقلَةَ المجـدِ نُعاسُ ؟

فأما حالُ سكّانها ومَن ألقى جِرانه بأعطانها[2]، فقد ذهب أرباب الهمم العاليـة ، ولم يبق إلا مَن يفتخر بالرِّمم الباليـة ، رُوحُ الشُّوم ، ونتيجة اللوم ، وخليفة البوم ، وبعيْن الله ما يصنع الليـلُ والنهارُ ، ويستُر الثوبُ والجِدار ، وما يستتر فى ضمـائر البيوت ، وإن طال التحمُّلُ والسكوت . فكم بكت السماء أرضًا فقـدتْ حبيبا ، وساعدتها سحب آنتحبت بها نحيبا :

ولطَّمَتِ الخدودَ بها بروقٌ وشقَّقَت آلرعودُ بها جُيوبا

فقل لمن آفتخر بالعِظام ، ما وراءك ياعِصام ؟

ولْنعطفْ على هـذا النسق ، لبيان من بَقِىَ منهم طَبَقٍ على طبق[3] ، من أصناف لا تُعدّ ، وأجناس لا تُرْسَم ولا تُحَدّ : من كل سائل بالإلحاح التَحَف ، أو دَارَ بِمِزْمار ودُفّ ، أو تغنَّى بأنكرِ الأصوات ، فَنَهَق إذ رأى شـيطانًا يدَّعى الكرامات ، يُقيم به المعتزلىُّ دليلَ إنكار الكرامة ، ويقول : هل علىّ بعد هذا ملامة ؟ أو حامِل راية وعَلَم ، جعل القناعةَ عَلَما لسقوط الهِمَم . ومنهـم من كَبِر وتكَسَّرت قَواريرُه[4] ، وخبا نُوره حين هبَّت أعاصـيرُه ، وهو أعظمهُم جُرما ، وأقلُّهم دِينًـا وحَزْما ، حُمْرُ

---

(١) القبول : ريح الصبا ، وهى تهب فى بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدّم عنق البعير من جهة صدره .

(٣) الطبق من الناس : الكثير والجماعة .

(٤) يقال للشيخ الكبير : كبر وتكسرت قواريره ، وهو من ألفاظ أهل بغداد ، كأنهم يعنون فرقعة الظهر .

مُسْتَنْفِرة، يقرءون القرآن فى بقاع مُسْتَقْذَرة، بين رَهْط لا يتدبرون ولا يستمعون، ولا يمتثلون قول الله : ﴿ وإذا قُرئ القرآنُ فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرحمون ﴾. وَتُجَّارٍ رأسُ مالهم الإفلاس، يضربون الأخماس(١) للأسداس، يُزَكُّون كَذِبَهم بالأَيْمان الفاجرة، فيربَحون خَسَارة الدنيا والآخرة، إن خاشنتَ أحدهم فى تقاضيه، بادر بالحَلِف على دَيْنه فيَقْضيه .

يقول : أستمع حَلْفَتِى كاذبًا ... إذا ما اضطُرِرْتُ، وفى الحال ضِيقُ
وهل من جُنَاحٍ على مُسلم ... يدافِعُ بالله ما لا يطيق(٢)

وقد فُقِدَ العلمُ لولا نفحةُ أُنْس من نفَرٍ بقايا، فتح الله بهم خزائنَ كنوز هى خبايا فى الزوايا : من كل نَقِىِّ العِرض أبيض السجايا، إذا تدنَّست الأعراض فأعراضهم من العار عرايا :

أبدتْ مآثرُهم نقصَ الزمان ففى ... خَدِّ الربيع طلوعُ الوَرْد من خجل

حَمَتْ شوكتُهم رياضًا فى رُبا الدين العوالى، وأحيا الله بأنفاسهم العِيسَوِيَّة مَوَاتَ المعالى . ولما شرح اللهُ بهم صدرَ الدين، وفتح ببصائرهم عينَ اليقين، أيّدهم بأبناء الأعيان من أُمرائها، فقالت الخلافة تحت أفياء لِوائها، حتى حَمَوْهم من نوائب الحُتُوف، وزهت جَنَّةُ مثواهم تحت ظلال السيوف ؛ فصارت بهم الأطراف، من مَنَازِهِ منازلِ الأشراف . ولهذا يشير البديع(٣)، بقوله فى معنى بديع(٤) :

---

(١) يضرب أخماسا لأسداس : أى يسعى فى المكر والخديعة ، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئا ويريد غيره .
(٢) البيتان لابن الرومى ، ويرويان ببعض اختلاف فى اللفظ .
(٣) قال يقيل : نام وقت القائلة ، وهو الظهر .
(٤) هو البديع الهمذانى .

قيل لى: لِمْ جلستَ فى طَرَفِ القو ... مِ، وأنت البديعُ ربُّ القوافى

قلتُ : آثرتُه؛ لأن المنادِيـ ... ـلَ يُرى طِرْزُها على الأطراف

وكفانى من المفاخِرِ أنّى ... نازلٌ فى منازلِ الأشراف

فأَوَوْا من ذلك الظل لِركن مُعْتَمَد، ونزلوا فيه بين العَلْياء والسَنَد . متّعنا الله بهذه الدوْلة وجعلها أطولَ الدول عُمرا ، وأرفعَها مَنَارًا وأعظمَها قدْرا ، سماء مجدهم مُكلَّلة بنجوم تهتدى بها الأمانى ، ويستقر رجاء كل قلب عانٍ (١) ، والدهر لسعدهم من الخدَم، وفيضُ أياديهم يُغْنِي عن الدِّيَم (٢) ، وسُحُبهم مُغْدِقة على الراجين بالكرم :

قلتُ لِلْبرق إذ تألق فيها: ... يا زِنادَ السماء مَنْ أَوْراكا

إن تَشَبَّهتَ بالكرام وما قد ... كان من جُودهم فلستَ هُناكا

ومذ كَلَّتْ دُهْمُ (٣) الأقلام من المشْى فى الكتابة شكرتُ مشيَها على الرءوس، وقلتُ لا عِطْرَ بعد عَرُوس، فقد جف القلم، وكل شىء بلغ الحدّ انتهى وتم .

---

(١) العانى : الذى تغلبت عليه الهموم فصار أسيرها .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهى المطر يتتابع .

(٣) جمع أدهم، وهو الفرس الأسود ، وقد حسن تشبيه القلم بالأدهم ، لأن الكتابة غالبا تكون بالمداد الأسود .

ثانيا ـ النثر العلمى

(١) الشيخ كمال الدين الدميرى[١]

قطعة من كتابه " حياة الحيوان " :

(الحَمَام) قال الجوهرى هو عند العرَب ذواتُ الأطواق ، نحو الفواخِت[٢] والقَمارِى[٣] وساقُ حُرٍّ[٤] والقَطا والوَرَاشين[٥] وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى ؛ لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للتأنيث ؛ وعند العامة أنها الدَّواجن فقط ، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالى من أبيات :

وما هاج هذا الشوقَ إلّا حمامةٌ ... دعتْ ساقَ حرٍّ بُرْهَةً فترنّما

والحمامة هنا : القُمْرية . وقال الأَصْمَعِىّ فى قول النابغة :

وأحكُمُ كحكم فتاةِ الحَىِّ إذ نَظرتْ ... الى حمام شِراع واردِ الثَّمَدِ

قالت : ألا ليتَما هذا الحمامُ لنا ... الى حمامَتِنا أو نصفُهُ فَقَدِ

فحَسَبوه فألفَوْه كما زعمتْ : ... تسعا وتسعين لم يَنْقُص ولم يَزِدِ

---

(١) توفى سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) جمع فاختة . وهى الحمامة ذات الطوق .

(٣) جمع قمرية بضم القاف . (٤) ذكر القمارى .

(٥) مفرده ورشان بالتحريك ، وهو طائر من نوع الحمام .

(٦) الثمد : الماء القليل .

هذه زَرقاءُ اليمامة نظرتْ إلى قَطا واردٍ فى مضيق الجبل ، فقالت : ياليتَ هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا ، فيكُمَّل لنا مائة قطاة ؛ فأُتبِعَت وعُدَّت على الماء فاذا هى ستٌّ وستون ، قال أبو عبيدة : رأَتْه عن مسيرة ثلاثة أيام ، وأرادتْ بالحمام القَطا ، فقالت ذلك ، انتهى . وقال الأموى : الذواجنُ التى تُستفرَخ فى البيوت تُسمّى حماما أيضا . وأنشد للعَجّاج :

إنى وربِّ البلدِ المحرَّم والقاطناتِ البيتَ عند زمْزم

* قواطنًا مكةَ من وُرْق الحَمِ *

يريد الحمام : وجمع الحمامة حمام وحَمائم وحمامات . وربما قالوا حمام للفرد . قال جِرانُ العَوْد :

وذكّرنى الصِبا بعد التنائى حمامةُ أيكةٍ تدعو حَماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير الكبير : أن اليمام هو الحمام البَرِّىُّ ، الواحدة يَمامة ؛ وهو ضُروب . والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفلَ ذنَب الحمامة مما يلى ظهرَها فيه بياضٌ ، وأسفلَ ذنب اليمامة لا بياضَ فيه ، انتهى . ونقل النَّوَوِى فى التحرير عن الأصمعى : أن كل ذات طوْق فهى حمام . والمراد بالطوق الحُمْرة أو الخُضْرة أو السواد المحيط بعُنُق الحمامة فى طوقها . وكان الكسائى يقول : الحمام هو البَرِّى ، واليمام الذى يألف البيوت ؛ والصواب ما قاله الأصمعى . ونقل الأزهرىُّ عن الشافعىّ : كلُّ ما عَبَّ وهَدَر وإن تفرّقت أسماؤه فهو حمام ، والعَبُّ

بالعين المهملة شِدّة جَرْع الماء من غير تنفُّس، قال ابن سِيدَه : يقال فى الطائر : عبّ ، ولا يقال : شَرِب ، والهدير : ترجيع الصوت ومُواصلتُه من غير تقطيع له ؛ قال الرافعىّ : والأشبه أنّ ما عبّ هدر، قال : فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العبِّ لكفاهم ؛ ويدل عليه أنّ الإمام الشافعى قال فى عيون المسائل : وما عبّ من الماء عبًّا فهو حمام، وما شرب قَطرة قطرة كالدَّجاج فليس بحمام .

(٢) ابن خلدون[1]

فصل من مقدّمته فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق إفادته :

اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدريج شيئًا فشيئًا، وقليلًا قليلا، يُلْقِى[2] عليه أوّلًا مسائلَ من كل باب من الفنّ هى أصول ذلك الباب ، ويُقَرِّبُ له فى شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعِى فى ذلك قوّةَ عقله واستعدادَه لقبول ما يَرد عليه، حتى ينتهىَ الى آخر الفنّ . وعند ذلك يحصُل له مَلَكة فى ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتُها أنها هيّأته لفهم الفنّ، وتحصيل مسائله . ثم يَرْجِعُ به إلى الفن ثانية فيرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها، ويستوفى الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف

---

(١) هو أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه و بمقدمته التى ننقل منها هذا الفصل . نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ . وتعلم هناك وترقى فى مناصب عدّة حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) أى المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتى : وعليه، أى على المتعلم.

ووجهِهِ، الى أن ينتهىَ الى آخر الفنّ، فتجود ملكتَه . ثم يرجع به وقد شدا[1]، فلا يترك عويصا ولا مُبْهَمًا ولا مُغْلَقًا إلا وضّحه، وفتح له مُغلَقه فيخلُص من الفنّ وقد آستولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد، وهو — كما رأيت — إنما يحصل فى ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض فى أقل من ذلك بحسب ما يُخْلَق له ويتيسّر عليه . وقد شاهدنا كثيرًا من المعلّمين لهذا العهد الذى أدركنا، يجهلون طرق التعليم وإفاداتِه، ويُحْضِرون المتعلم فى أوّل تعليمه المسائلَ المقفلة من العلم، ويطالبونه بإحضار ذهنه فى حلّها، ويحسبون ذلك مرانة على التعليم وصوابًا فيه ، ويكلفونه وَعْىَ ذلك وتحصيلَه ، ويخلِطون عليه بما يلقُون له من غايات الفنون فى مباديها، وقبل أن يستعدّ لفهمها؛ فإنّ قبولَ العلم والآستعداداتِ لفهمه تنشأ تدريجا؛ ويكون المتعلم أوّل الأمر عاجزًا عن الفهم بالجملة إلا فى الأقل، وعلى سبيل التقريب والإجمال، وبالأمثال الحِسية، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرّج قليلا قليلا بمخالفة[2] مسائلِ ذلك الفنّ وتكرارها عليه؛ والآنتقال فيها من التقريب الى الآستيعاب الذى فوقه، حتى تتم الملكة فى الآستعداد، ثم فى التحصيل؛ ويحيط هو بمسائل الفن . واذا ألقيت عليه الغايات فى البدايات، وهو حينئذٍ عاجز عن الفهم والوعى، وبعيد عن الاستعداد له، كَلَّ ذهنه، وحسِبَ ذلك من صُعوبة العلم فى نفسه ، فتكاسل عنه ، وآنحرف عن قبوله ؛ وتمادَى فى هِجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

---

(١) شدا : أخذ طرفا من العلم والأدب .

(٢) المخالفة هنا : المداولة ، وهى تستلزم التكرار .

(٣) المقـــريزى[1]

من خطبة كتابه "المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار" :

وبعد، فإنّ علمَ التاريخ من أجلّ العلوم قدْرا، وأشرفِها عند العقلاء مكانة وخَطَرا، لما يحويه من المواعظ والإنذار، بالرحيل الى الآخرة عن هـذه الدار، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليُقْتَـدَى بها، واستعلامِ مَذَامِّ الفعال لِيَرْغَبَ عنها أولو النُّهَى. لا جَرَم أنْ كانت الأنفس الفاضلة به وامِقةً[2]، والهِمَمُ العالية إليه مائلةً وله عاشقةً. وقد صنف الأئمة فيه كثيرا وضمّن الأجلّة كتبهم منهم شيئا كبيرا.

وكانت مصر هى مسقط رأسى، وملعبَ أترابى، ومجمع ناسى، ومَغْنَى عشيرتى وحامّتى[3]، وموطِنَ خاصّتى وعامّتى، وجوّى الذى رَبَّى جناحَىَّ فى وكْره، وعشّ مآربى فلا تهوَى الأنفس غيرذِكره، لازلتُ مذ شدوت العلم، وآتانى ربى الفطانة والفهم، أرغب فى معرفة أخبارها، وأُحب الإشراف على الكثير من آثارها، وأهوَى مساءلة الركبان عن سكان ديارها؛ فقيّدتُ بخطّى فى الأعوام الكثيرة من ذلك فوائد قلّما يجمعها كتاب، أو يحويها لِعِزّتها وغرابتها إهاب؛ إلا أنها ليستْ بمرتّبـة على مِنوال، ولا مُهَذبةٍ بطريقة واحدة ومثال. فأردتُ أن أُلخِّص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية، عن الأمم الماضية والقُرون الخالية؛ وما بقى بفُسْطاط مصرَ من معاهد

---

(١) هو تقى الدين المقريزى المولود سنة ٧٦٦ هـ. وكان شاعرا كاتبا مؤرخا توفى سنة ٨٤٥ هـ.

(٢) وامقة : محبة.

(٣) الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده.

غيَّرها ـ أو كاد ـ البِلَى والقدم، ولم يبقَ إلا أن يمحو رسمها الفناء والعَدَم؛ وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار العصور الزاهرة، وما اشتملتْ عليه من الخِطَط والأصقاع، وحوته من المبانى البديعة الأوضاع؛ مع التعريف بحال مَنْ أسّس ذلك من أعيان الأماثل، والتنويه بذكرى الذى شادها من سَراة الأعاظم الأفاضل؛ وأنثُر خِلال ذلك نُكَتًا لطيفة، وحِكَمًا بديعة شريفة، من غير إطالة ولا إكثار، ولا إجحاف يُخِل بالغَرَض ولا اختصار، بل وَسَطٌ بين الطرفين، وطريق بَيْنَ بَيْن... الخ .

(٤) شمس الدين محمد النواجى[1]

قطعة من كتابه " حلبة الكميت " فى أنواع الرياح وخصائصها :

والنسيم هى الريح الطيّبة، ونسيم الريح أولها حين تُقبل بِلين قبل اشتدادِها، وفى الحديث «بُعِثْتُ فى نسيم الساعة» أى حين ابتدأتْ وأقبلتْ، وما أحسن قول بعضهم : نسيم الريح نَسيبُ الرُّوح، والرياح المعروفة أربع، الصَّبا وتسمى القَبول وهى تُنَفِّس عن المكروب، والجنوب وهى تجمِّع السحاب، والشَّمال وهى تُفرِّقه، والدَّبور وهى تَهْدم البُنيان، وتقلع الشجر، وهى القاصف والصَّرْصَر . وكلُّ ما فى القرآن من لفظ الريح، فالمراد به الدَّبور، ولازمها العقوبة، وكل ما فيه من لفظ

---

(١) ينسب الى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع فى الأدب والشعر وله عدة مؤلفات وتوفى سنة ٨٥٩ هـ .

الرياح فهى راجعةٌ الى الثلاثة الأُوَل، ويراد بها الرحمة. ومن الحديث «نُصِرتُ بالصَّبا وأُهلِكَتْ عاد بالدَّبور»، وقيل الرياح ثمانية: أربع فى الجهات الأربع، وأربع تسمى النَّكْباء لميلها ونكْبها عن الجهات الأربع؛ والشَّمال من ناحية الشام، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قِبلةَ العراق، فهُبوبها من تحت بنات نَعْش، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر تشدّ الأعضاء، وتسُدُّ المسامَّ، وتحصُر الحرارة فى الباطن، فينهضم الغِذاء وتصفو بها كُدُورة الروح الحيوانى، الذى فى القلب من الأبخرة الدُّخانية، وتديمُ الصحة، وتقوّى حواس الدماغ، وذلك إذا وصلت الى الجسم بآعتدال، وهى قليلة الهُبوب ليلا، وكان الصاحب بن عبّاد يترنم بقول أبى فراس:

هبَّتْ لنا ريحٌ شَمَاليـــة ... متّت إلى القلب بأسباب

أدّتْ رِسالاتِ الهوى بيْننا ... عرّفتُها من بين أصحابى

قلت: والله إن الصاحب بن عبّاد لمعذور، فان هذا مما يريح الجماد، وتجمع الشمال على شمائل، ولذلك يحسن فيه التَّوْرية. ومنه قول الشيخ تقى الدين بن حجة:

جاد النسيمُ على الرُّبا ... بنـدَى يديْه وقال لى:

أنَا ما أقصِّر عن نَدًى ... وكما علمتَ شمائلى

والصَّبا تَهُبّ من مطلَع الشمس وتُسمى القَبول، ويقابلها الدَّبور وهى معتدلة ولا سيَّما إن هَبَّت قبل طلوع الشمس فى زمن الربيع، وهى لطيفة صافية وتُذكى الأذهان، وتنفع الأبدان، وتبسُط الأخلاق، لا سيما إن مرت بمُرُوج الأزهار فانها تحمل قُواها الى القلب والدماغ ... الخ.

(٥) ابن خلكان[١]

قطعة من كتابه "وفيات الأعيان" :

كتب يترجم لأبى طالب يحيى بن أبى الفرج سعيد بن أبى قاسم بن زيادة الشَّيبانى البغدادى المتوفى سنة ٥٨٣ هـ :

كان من الأعيانِ الأماثِل[٢]، والصدور الأفاضل، انتهت إليه المعرفة بأمور الكتابة والإنشاءِ والحساب، مع مشاركته فى الفِقْه وعلم الكلام[٣] والأصول وغير ذلك. وله النظم الجيد. جالَس أبا منصور بن الجَوَالِيقى، وقَرأ عليه وعلى من بعدَه، وسمِع الحديثَ من جماعة. وخدم الديوان — من صباه إلى أن تُوُفِّىَ — عدّة خدمات. وكان مليح العِبارة فى الإنشاء، جيدَ الفِكرة حُلْو الترصيع، لطيف الإشارة. وكان الغالب فى رسائله العناية بالمعانى أكثر من طلب السجْع. وله رسائل بليغة، وشعر رائق، وفضله أكثر من أن يذكر. وتولى النظرَ بديوان البَصرة وواسط والحِلة، ولم يزل على ذلك الى المحرم سنة ٥٧٥ هـ. ورُتِّب حاجبا بباب المتولى، وقُلِّد النظرُ فى المظالم ثم عُزل عن ذلك.

---

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين الأربلى. ولد سنة ٦٠٨ هـ. ثم تنقل فى البلاد حتى نزل دمشق سنة ٦٣٣ هـ. وتولى قضاء الشام ودرس فى عدة مدارس. وتوفى سنة ٦٨١ هـ. اشتهر بكتابه "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" وهو كتاب مفيد فى تاريخ الأشخاص.

(٢) الأماثل : جمع أمثل أى أفضل.

(٣) علم الكلام : علم التوحيد.

(٦) الديار بكرى [1]

وصف استيلاء التتار على بغداد ، من كتابه : " الخميس ، فى أحوال أنفس نفيس " .

وفى سنة أربع وخمسين وستمائة خرج الطاغية العنيد مبيد الأمم هولاكو ، فأخذ قلعة الموت من الإسماعيلية ، وقتلهم وأخرب نواحىَ الرى ، وبذلت السيوف على عوائدهم ، فتوجه الكامل محمد ، صاحب مَيَّافارقين ، إلى خدمة هولاكو ، فأعطاه الفرمان ، ثم نزل هولاكو بأذربيجان وأخذها .

وفى سنة خمس وخمسين وستمائة ثارت فتنة مهولة ببغداد بين السنية والرافضة أدت إلى نهب عظيم وخراب ، وقتل عدّة من الرافضة ، فغضب لها وتمر ابن العلقمى الوزير ، وجسَّر التتارَ على العراق ليشتفىَ من السنِّية .

وفى أول سنة ست وخمسين وستمائة وصل الطاغية هولاكو ، ابن تولى بن جنكيزخان المغلى ، بغدادَ بجيوشه وبالكرَجَ وبعسكر الموصل ، فخرج الدُويدار بالعسكر ، فالتقى بطلائع هولاكو وعليهم ياجنوس ، فانكسر المسلمون لقلتهم . ثم أقبل ياجنوس فنزل على بغداد من غربيِّها ، ونزل هولاكو من شرقيِّها . فقال الوزير ابن العلقمى للخليفة المستعصم بالله : إنى أخرج إلى القاءان الأعظم فى تقرير الصلح . فخرج الكلب وتوثق لنفسه ورجع . فقال : إن القاءان قد رغِب فى أن يزوّج بنته بابنك ، وأن تكون الطاعة له كالملوك السلجوقية ويرحل عنك ، فخرج المستعصم فى أعيان دولته وأكابر الوقت ليحضُروا العَقْد ، فضربت رقاب الجميع وقتلوا

---

(١) هو حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، نسبة الى ديار بكر ، تولى قضاء مكة ، وتوفى بها سنة ٩٨٢ هـ

الخليفة : ورفسوه حتى مات . ودخلت التتار بغداد واقتسموها، وأخذ كلٌّ ناحية وبقى السيف يعمل أربعة وثلاثين يوما ، وقلَّ من سلِم ، فبلغت القتلى ألف ألفٍ وثمانمائة ألفٍ وزيادة . فعند ذلك نادوا بالأمان ، ثم أمر هولاكو بضرب عنق ياجنوس ، لكونه كاتب الخليفة ، وأرسل إلى صاحب الشام يهدّده إن لم يخرب أسوار بلاده .

كذا فى " دول الإسلام " .

وفى تاريخ الجمالى يوسف : سبب قتل المستعصم بالله أنه لما ولى الخلافة لم يتوثق أمره ؛ لأنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازلَ الهمة ، مهملًا للأمور المهمة ، محبا لجمع المال . أهمل أمر هولاكو وانقاد إلى وزيره ابن العلقمى ، حتى كان فى ذلك هلاكه وهلاك الرعية ، فإن وزيره ابن العلقمى الرافضى كان كتب كتابا إلى هولاكو ملك التتار فى الدشت : إنك تحضر إلى بغداد وأنا أسلمها لك ، وكان قد داخل قلب اللعين الكفر . فكتب هولاكو : إن عساكر بغداد كثيرة ، فإن كنت صادقا فيما قلته ، وداخلا فى طاعتنا ، فرق عساكر بغداد ونحن نحضرُ ، فلما وصل كتابه إلى الوزير، دخل إلى المستعصم وقال : إن جندك كثيرة وعليك كلفة كبيرة ، والعدو قد رجع من بلاد العجم ، والصواب أنك تعطى دستورا لخمسة عشر ألفا من عسكرك ، وتوفر معلومهم ، فأجابه المستعصم لذلك . فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ، ثم نفاهم من بغداد ومنعهم من الإقامة بها . ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم عشرين ألفا من الديوان ، ثم كتب إلى هولاكو بما فعل . وكان قصد الوزير بمجىء التتار أشياء منها : أنه كان رافضيا خبيثا ، وأراد أن ينقل الخلافة من بنى العباس إلى العلويين ، فلم يتم له ذلك من عظم شوكة بنى العباس وعساكرهم ، فأفكر أن هولاكو إذا قدم بقتل

المستعصم وأتباعه ثم يعود إلى حال سبيله ، وقد زالت شوكة بنى العباس ، وقد بقى هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر وتدبير المملكة ، فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانعٍ لضعف العساكر ولقوته ، ثم يضع السيف فى أهل السُّنَّة .

فهذا كان قصده لعنه الله .

ولما بلغ هولاكو ما فعل الوزير ببغداد ركب وقصدها إلى أن نزل عليها ، وصار المستعصم يستدعى العساكر ويتجهز لحرب هولاكو ، وقد اجتمع أهل بغداد وتحالفوا على قتال هولاكو ، وخرجوا إلى ظاهر بغداد ، ومشى عليهم هولاكو بعساكره فقاتلوا قتالا شديدا ، وصبر كل من الطائفتين صبرا عظيما ، وكثرت الجرحى والقتلى فى الفريقين ، إلى أن نصر الله تعالى عساكر بغداد وانكسر هولاكو أقبح كسرة ، وساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة ، وعادوا بالأسرى ورءوس القتلى إلى ظاهر بغداد ، ونزلوا بخيمهم مطمئنين بهروب العدو ، فأرسل الوزير ابن العلقمى فى تلك الليلة جماعة من أصحابه فقطعوا شطر الدجلة . فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون ، فغرقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم ، وصار السعيد منهم من لقى فرسا يركبها . وكان الوزير قد أرسل إلى هولاكو يعرفه بما فعل ، ويأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجعت عساكر هولاكو إلى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من يردّهم ؛ فلما أصبحوا استولوا على بغداد ، وبذلوا فيها السيف ، ووقع منهم يطول شرحها .

والمقصود أن هولاكو استولى على بغداد وأخذ المستعصم أسيرا ، ثم بذل السيف فى المسلمين ، فلم يرحم شيخا كبيرا لكِبرِه ، ولا صغيرا لِصغره .

ولما أخذ الخليفة أسيرا هو وولده أحضر بين يديه ، وأمر به هولاكو، فأخرج من بغداد ، وأنزله بخيم صغير بظاهر بغداد هو وولده . ثم فى عصر ذلك اليوم وضع الخليفة وولده فى عِدلين (١) وأمر التتار برفسهما إلى أن ماتا فى المحرم سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم نهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لا ما قل ولا ما جل . ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها ، حتى قيل إن عدّة من قتل فى نوبة هولاكو يزيد على ألفِ ألفٍ وثلاثين ألف إنسان. وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا ، وبقيت الدنيا بلا خلافةٍ سنين إلى أن اقام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بعض بنى العباس فى الخلافة ، حسبما يأتى ذكره على سبيل الاختصار .

وكانت خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما ، وتقدير عمره سبع وأربعون سنة . وزالت الخلافة من بغداد .

قال الشاعر :

خلت المنابر والأسِرة منهم فعليهم حتى الممات سلام

أما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد من أن التتار يبذلون السيف فى أهل السنة ، فجاءوا بخلاف ما أراد ، وبذلوا السيف فى أهل السنة والرافضة كلهم ، وهو فى منصبه مع الذل والهوان، وهو يظهر قوة النفس والفرح وأنه بلغ مراده، فلم يلبث أن أمسكه هولاكو بعد قتل المستعصم بأيام ووبخه بألفاظ شنيعة معناها : أنه لم يكن له خير فى مخدومه ولا فى دينه ، فكيف يكون له خير فى هولاكو ؟ ثم إنه قتله شر قِتلة ، فى أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة .

إلى سقر ، لا دنيا ولا آخرة !

---

(١) العدل بكسر العين : الجوالق (الشوال) .

(٧) الشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهى [١]

قطعة من كتابه " المستطرف ، من كل فن مستظرف " فى علو الهمة وشرف النفس :

أما علوُّ الهِمة فهو أصل الرياسة، فِممَّن علتْ همتُه وشرُفتْ نفسُه عُمارة بن حمزة، قيل إنه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه ؛ فقام رجل وقال : مظلومٌ يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة غصبَنى ضَيْعتى ! فقال المنصور : يا عمارة قم فاقعد مع خَصْمك ، فقال : ما هُوَ لى بخصم ، إن كانت الضيعةُ له فلستُ أنازعه فيها ، و إن كانتْ لى فقد وهبْتها له ؛ ولا أقوم من مقام شرّفنى به أمير المؤمنين ، و رَفعَنى وأقْعَدنى أدنى منه ، لأجْلِ ضيعة !

وتحدّث السفّاح هو وأم سلمة يوما فى نزاهة نفْس عمارة وكبره ، فقالت له : أدع به وأنا أهَب له سُبْحَتِي هذه ، فانّ ثمنَها خمسون ألف دينار ، فان هو قَبِلها عَلِمْنا أنه غير نزه النفس . فوجه اليه بالدعوة فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت : هى من الطرف ، وهى لك . فجعلها عمارة بين يديه ، ثم قام وتركها . فقالت : لعله نَسِيَها . فبعثتْ بها اليه مع خادم ، فقال للخادم : هى لك . فرجع الخادم ، فقال : قد وهبها لى ، فأعطتْ أمُّ سلمةَ للخادم ألفَ دينار ، واستعادتْها منه .

وأهدى عُبيد الله بنُ السرى إلى عبد الله بن طاهر لما وَلِىَ مِصْرَ مائةَ وصِيف ، مع كل وصيف ألف دينار ، ووجه اليه بذلك ليلا ، فردّه وكتب اليه : لو قبِلتُ هديّتَكَ ليلا ، لقبِلْتها نهارا ؛ « فما آتانِىَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ » .

---

(١) من أدباء النصف الأول من القرن التاسع .

(وكان) سببُ فتح المعتصم عَمُّورِيَّةَ أن امرأةً من الثَّغْر سُبِيَتْ فنادتْ : واامعتصماه! وامعتصماه! فبلغه الخبرُ. فركِبَ لوقْته، وتبعه الجيش. فلمّا فتحها قال : لَبَّيْكِ أيتها المنادية!

(١)

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نَخْوة وهمة، قيل له فى مَرَضِه : إنّ المريض يستريح الى الأَنين، والى شرح ما به الى الطبيب. فقال : أما الأنين فهو جَزَع وعار، والله لا يسمَع اللهُ منى أنينا، فأكونَ عنده جَزُوعا. وأما وصف ما بى الى الطبيب فوالله لا يحكم غيرُ الله فى نَفْسى، إن شاء أَمْسَكَها، وإن شاء قبضها.

ومن كِبَر النفْس ما رُوى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة، فكان يأكل الحنظل حتى قتله، ولم يخبر أحدا بحاجته.

(٢)

ومن الشرف والرياسة حِفظُ الجوار وَحَمْىُ الذِّمار. وكانت العرب ترى ذلك دِينا تدعو اليه، وحقا واجبا تحافظ عليه. وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هذا إنك آخَتْرْتَنِى جارا، واخترتَ دارى دارا، فجنايةُ يَدِكَ علىّ دونك، وإن جنَتْ عليك يدٌ فآحتكم حكم الصبىّ على أهله.

(٣)

وكان الفَرزْدق يُجير من عاذَ بقبر أبيه غالب بن صَعْصَعة؛ فمن آستجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بنى جعفر بن كلاب، خافتْ لمّا هجا الفرزدق بنى جعفر أن يُسمِيَها وينسبَها، فعاذتْ بقبر أبيه، فلم يذكر لها آسما ولا نسبا ولكن قال :

عجوزٌ تصلى الخمسَ عاذتْ بغالبٍ ... فلا والذى عاذت به لا أضيرُها

وقال مَرْوانُ بنُ أبى حفصة :

(٤)

هُمُ يمنعون الجارَ حتى كأنما ... لِجَارهم بين السِّماكَيْنِ مَنزِلُ

---

(١) النخوة : الافتخار والتعظم، يريد هنا : شجاعة النفس (٢) الذمار : كل ما يلزمك حمايته من أهل الوطن. (٣) أى اقض بما شئت، فنحن نالون على حكمك.
(٤) السماكان، كوكبان نيران، يقال لاحدهما السماك الرامح، وللآخر السماك الاعزل.

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ٢٨ رمضان سنة ١٣٦٤
(١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٥) ٦

مدير المطبعة الأميرية
حامد خضر

المطبعة الاميرية ٦٩٧-١٩٤٥-٨٧٠٠